مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

الجمهورية التونسية
كتابة الدولة للتربية القومية

نصوص أدبية

لتلاميذ السنة الثالثة

من

التعليم الثانوي

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقى
www.lisanarb.com
twitter مكتبة لسان العرب
facebook مكتبة لسان العرب
instagram مكتبة لسان العرب

الجمهورية التونسية

كتابة الدولة للتربية القومية

نصوص أدبية

لتلاميذ السنة الثالثة

من

التعليم الثانوي

منشورات الديوان التربوى

1964

جميع الحقوق محفوظة لكتابة الدولة للتربية القومية

دار كلو مبي للطباعة ـ ميلانو ـ ايطاليا

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

المحور الاول

النفـــــــس

1 ـ العقـــــــــل

قَالَ بزر جمهر : اما بعد فإنّ الله تبارك وتعالى خلق الخلق اطوارا برحمته ومنّ على عباده بفضله ورزقهم ما يقدرون به على اصلاح معائشهم في الدنيا وما يدركونَ به استنقاذ ارواحهم من اليم العذاب .فافضل ما رزقهم ومن به عليهم العقل الذي هو الدِعامة لجميع الاشياء فما يقدر احد منهم على اصلاح معيشته ولا احراز نفع ولا دفع ضرر الا به . وكذلك طالب الآخرة ٱلمجتهد على استنقاذ روحه من الهلكة . فالعقل هو سبب كل خير ومفتاح كل سعادة وليس لاحد غنى عنه . وهو مكتسب بالتجارب والاداب وغريزة مكمونة في الانسان كامنة ككمون النارفي الحجروالعود لا ترى حتى يقدحها قادح من الناس . فاذا قدحت ظهرت بضوئها وحريقها . كذلك العقل كامن في الانسان لا يظهر حتى يظهره الادب وتقويه التجارب . فاذا استحكم كان هو السابق الى الخير

والدافع لكل ضُر. فلا شيء افضل من العقل والادب. فمن منّ عليه خالقه بالعقل واعان هو نفسه بالمثابرة على الادب وَالحرص عليه سعد جده وادرك امله في الدنيا والآخرة.

عن « كليلة ودمنة »

2 ـ تأثير الفكر في اللغة

للفكر اثـر في اللغة عظيم ، ولولا الفكر لفقـدت اللغـة خواصها ولم يكن لوجودها اية فائدة . فان الفكر هو الذي يربط الالفاظ بمعانيها .فيعيد اليها وهي اصوات فارغة، فيردها كالاصداف تحمل من درر المعاني ما يبهر العقل او كالاغصان تحمل من الثمار ما تشتهيه النفس . والفكر هو الذي يتوصل به الانسان الى توسيع نطاق اللغة وتنظيمها ، فيدخل فيها عند الحاجة كلمات جديدة، او يبتدع فيها اساليب طريفة، ويضع لها قواعد تساعد الناس على تعلمها ، وتحفظهم من الخطإ عند النطق بها . ومن شواهد تاثير الفكر على اللغة ان اللغة لايرتفع شانها وتظهر فصاحة الفاظها وغزارة مادتها وحسن بيانها الا ان تلد أرضها رجالا ذوي عقول نيرة وقرائح جيدة .

وهذا لا يمنع من ان يكون للغة تاثير في الفكر من بعض الوجوه اذ اللغة تصور ما يخطر في الفكر من المعاني، وهي التي تجعل المعاني محفوظة باقية. والافكار التي لا تودع في الالفاظ كالشرارات التي لا تبرق الا لتموت .

محمد الخضر حسين

(بتصرف)

3 ـ الـرأي والعقيـدة

فرق كبير بين ان ترى الرأى وان تعتقده، اذا رأيت الرأي فقد ادخلته في دائرة معلوماتك، واذا اعتقدته جرى في دمك، وسرى في مخ عظامك، وتغلغل الى اعماق قلبك .

ذو الرأي فيلسوف يقول : انني ارى الرأي صوابا وقـد يكون باطلا، وهذا ما قامت الادلة عليه اليوم وقد تقوم الادلة على عكسه غدا ، وقد اكون مخطئا فيه وقد اكون مصيبا. اما ذو العقيدة فجازم بات لاشك عنده ولا ظن، عقيدته هي الحق لامحالة هي الحق اليوم وهي الحق غدا، خرجت عن ان تكون مجالا للدليل، وسمت عن معترك الشكوك والظنون . ذو الراي فاتراو بارد، ان تحقق ما رأى ابتسم ابتسامة هادئة ززينة، وان لم يتحقق ما رأى فلا باس، فقد احترز من قبل بان رأيه صواب يحتمل الخطأ ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب . وذو العقيدة حار متحمس

لا يهدأ الا اذا حقق عقيدته، هو حرج الصدر، لهيف، تتناجى في صدره الهموم، أَرّق جفنه وأَطال ليله تفكيره في عقيدته، كيف يعمل لها، ويدعو اليها ، وهو طلق المحيا مشرق الجبين، اذا ادرك غايته، او قارب بغيته . ذو الرأي سهل ان يتحول ويتحور، هو عبد الدليل او عبد المصلحة تظهر في شكل دليل، اما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله : « لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان ادع هذا الذي جئت به ماتركته »، وكما يتجلى في دعاء عمر : « اللهم ايمانا كايمان العجائز ».

أحمد أمين

(بتصرف)

4 ـ ابن ثوابة يتعلم الهندسة

قال ابن ثوابة : ان أبا عبيدة ـ لعنه الله، بنَحْسه ودسّه وحدسه،اغتالني ليكلم ديني من حيث لا أعلم،فقال لي ذات يوم : « انّك بحمد الله ومنّه ذو أدب وفصاحة . فلو أكملت فضائلك بأن تضيف اليها علم الهندسة، وقرأت إقْليدِس وتدبّرته ؟ » فقلت : « وما كان اقليدس ومن هو ؟ » قال : « رجل من علماء الرّوم ،وضع كتابا يشحذ الذّهن ويدقّق المعرفة . ثم أتاني بشيخ دَيراني شاخص النّظر، متزمّل في مَكة. فاستعذت بالرّحمان اذ نزغني الشيطان،ومجلسي غاصّ بالاشراف وكلّهم يرمقونه ويعظّمونه ويحيّونه . فأخذ مجلسه ولوى أشداقه فتبيّنت في مشاهدته النّفاق فقلت : « بلغني أن عندك معرفة من الهندسة فهلمّ أفدنا شيئا منها، عسى أن يكون عونا لنا على دين أو دنيا » « فقال :

« فأحضرني دواة وقرطاسا ». فأحضرتهما. فأخذ القلم ونكت نكتة نقط منها نقطة كأصغر من حبّة الذرّة، فزمزم عليها من وساوسه ثمّ قال : « أيّها الرّجل ان هذه النّقطة شيء لا جزء له ! » فقلت: « أضللتني وربّ الكعبة ! وما الشيء الّذي لا جزء له ؟ » فقال : «كالبسيط» فأذهلني وكاد يأتي على عقلي لولا أن هداني ربّي لانه أتاني بلغة ما سمعتها من أعرابيّ ولا أعجميّ. فقلت : « وما الشيء البسيط ؟ » فقال : « كالله، وكالنّفس ». فقلت : «انّك من الملحدين ! أتضرب بالله الأمثال ؟ لعن الله دالاّ دلّني عليك. فما ساقك الّي الاّ قضاء سوء . » وأمرت باخراجه الى آخر نار الله وسعيره وغضبه ولعنته . »

لياقوت الحموى

(عن معجم الادباء)

5 ـ السمكات الثـلاث

زعموا ان غديرا كان فيه ثلاث سمكات : كيسة، وأكيس منها وعاجزة. وكان الغدير بنجوة من الارض، لا يكاد يقربه أحد وبقربه نهر جار. فاتفق انه اجتاز بذلك النهر صيادان، فأبصرا الغدير، فتواعدا أن يرجعا اليه بشباكهما، فيصيدا ما فيه من السمك. فسمع السمكات الثلاث قولهما. فأما أكيسهن لما سمعت قولهما ارتابت بهما، وتخوفت منهما، فلم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النهر الى الغدير. وأما الكيسة فإنها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبتْ لتخرج من حيث يدخل الماء فاذا بهما قد سدّا ذلك المكان. فحينئذ قالت : فـرطت، وهذه عـاقبة التفريط، فكيف الحيلة على هذه الحال ؟ وقلما تنجح حيلة العجلة والارهاق. غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي، ولا ييأس على حال، ولا يدع الرأي والجهد، ثم انها تماوتت، فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة، وتارة على بطنها فأخذها الصيادان فوضعاها على الارض بين النهر والغدير، فوثبت الى النهر فنجت. وأما العاجزة فلم تزل في اقبال وادبار حتى صيدت.

« كليلة ودمنة » (باب الاسد والثور)

6 ـ العبقرية والقريحة

القريحة ملكة يملك بها صاحبها الابانة عن نفسه باسلوب يقرّه الفن ويرضاه الذوق، ومن خصائصها الوضوح والاتساق والاناقة والسهولة والطّبعيّة والدّقة.

اما العبقرية فضرب من الالهام يستمر استمرارا تجرديا فتلازم احيانا وتنفك حينا. ومن اخص صفاتها الاصالة والابداع والخلق. فالرجل العبقرى اذن يعلو ثم يسفل تبعا لقيام العبقرية به او انفكاكها عنه وهو يَخشِب الشعر غالبا فَيُسيلُهُ من فيض الخاطر كما يَجِيءُ دون تنقيح له ولا تأنق فيه. ثم هو في عظام الامور سبّاق وفي محاقرها متخلف، لان الجليل الرفيع يوقظ خاطره ويحفز طبعه، والحقيرَ الوضيعَ ينخزل عن مكانه فلا يبلغ موضع التاثير فيه.

وقد يُعنى لسبب من الاسباب بعامّي الاشياء او سُوفّي الآراء فيبعث فيه من روحه ما يحييه ومن حرارته ما يقوّيه ومن اشعته ما يظهر فيه الصراحة والجدة كما تظهر الشمس كرات التبر في عروق الصخور.

فالقريحة كما ترى توجد الصورة والعبقرية تُبدِع المخلوق، ومزية الاولى في الصنعة وتقديرُها في التفصيل، ومزية الاخرى في الابتكار وتقديرُها في الجملة.

فاذا قرأت قصيدة لذي قريحة راقك منها جَرْس الحروف ونغم الكلمات واتساق الجمل وبراعة البيت ولكنك تفرغ منها وليس لها اثر في نفسك ولا صورة في ذهنك. اما العبقريات فحسبك ان تذكر عنوانها لتشعر بها وتتصور موضوعها وتتأثر منها.

ذو القريحة يقول ما يقول الناس، ولكنه يصوره بقوة، ويؤديه بدقة، وينسقه بذوق، ويهذبه بفن، وذو العبقرية على نقيضه ينظر ويشعر ويفكر ويقدر على طريقته الْخاصة فاذا وضع خطة او رسم صورة او بحث فكرة اخرجها على طراز فذ، فتحسبها مبتكرة وقد تكون مطروقة لانه استطاع بقوة لحظه، ولقانة طبعه ان يريك فروقا لم ترها ويوقفك على تفاصيل لم تتصورها ويفجر لك النهر من حيث لم يستطع غيره ان يفجر الجدول.

والرجل العادي ينظر بالعين فكانه لسطحيته لم ير، والعبقري يرى باللمح فكانه لزكانته لم ينظر

على ان هنا ك فرصا للكمال تجتمع فيها على الوئام العبقرية والقريحة، فيسلم الفنان حينئذ من التفاوت القبيح بين اصعاده واسفافه، او بين جيّده ورديئه، لان العبقرية اذا غَفَت خَلَفتها القريحة، والقريحة اذا كَبَت سَندَتها العبقرية.

على ذلك تستطيع ان تقول:ان أبا نواس وأبا فراس والشريف من رجال القريحة وان أبا تمام وأبا العتاهية والمتنبي من رجال العبقرية.وان البحتري وابن الرومى ممن جمع في الكثير الغالب بين الموهبتين.

وتستطيع كذلك ان تعلّل أمثال قول البحتريّ في ابي تمام: جيّده خير من جيّدي ورديئي خير من رديئه، وقول الاصمعي في ابا العتاهية ان شعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والخزف والنوى، وقول الثعالبي في المتنبي كان كثير التفاوت في شعره فيجمع بين الدّرة والآجرّة، ويتبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء وقولهم في ابن الرومي انه امتاز بتوليد المعنى واستقصائه وسلامة شعره على الطول.

لاحمد حسن الزيات (فى اصول الادب)

7 ـ الضميـــــــــر

غامض في لفظه غموضه في معناه ومستتر رغم ما يُبرز من آثار. هو أقرب الاشياء منا وألْزمها لنا بل يكاد يكون كلّ شيء فينا (والمرء بأصغريه قلبه ولسانه) بيد أن حاولنا توضيحه توارى بالحجاب وأمعن في الاستتار والخفاء نؤمن بوجوده دون ان نراه ونفهمَ في وضوح حقيقته. وكيف ننكره وفي انكاره انكار لأنفسنا؛ وهدم للدعامة الاولى من دعائم شخصيتنا، يأمر فيطاع وينهَى فيُستمع له ويسر ويُحزِن ويخالط عواطفنا وأحوالنا النفسية على اختلافها يعقد محكمته في اسرع من لمح البصر ويصدر أحكاما غير قابلة للنقض والابرام. لذلك اتجه اليه الواعظ في وعظه وناداه رجل الدين في نصحه وجعله الاخلاقي أساسا لدرسه وتولاه عالم النفس بالبحث والتحليل.

في قرارة نفوسنا وحيث تتكون أفكارنا وتعد أحكامنا هناك

رقيب ملازم يشهدها، بوقفنا عليها أولا فأولا. هذا الرقيب هو ضميرنا والشعور الروحي الذي نحس به على أثر أية حركة من حركاتنا النفسية والالهام المستمر الذي ينقل الينا كل ما يجول بالخواطر؛ فالمرء حين يفكر يشعر في الْوقت نفسه بما يصنع ويدرك أن تفكيره من عمله وقطعة منه. وكذلك شأنه حين يقارن أو يوازن أَو يتذكر معلومات قديمة أَو يقضي في أَمر بقضاء ما أو يُسر أَو يَحزَن أَو يحب أَو يبغض. وشعور الانسان بتفكيره وادراكُه لخفايا قلبه ليس الا معرفته لنفسه ووقوُف روحه على ما تعمل؛ وعلى هذا فالضمير جزء لا ينفصل من الظواهر النفسية وأَساس لكل أَعمالنا الباطنية. هو الشخصية في صورتها البسيطة المجردة ومبعث النور الأَول في الحياة العقلية.

الدكتور ابراهيم مذكور

8 ـ القلـــــــــب

ليس الانسان جسما بعضه القلب لكنه قلب غلافه الجسم. لقد قالوا: ان المرء بأصغريه قلبه ولسانه ولكنهم بقولهم قد رفعوا من شان اللسان اذ قرنوه بالْقلب ووضعوا من قيمة الْقلب اذ قرنوه باللسان. و هل اللسان الاحاك بكيء لأَحطّ حـركات القلب وانفعالاته. ان القلب يقرأ ما رسمه الله على السماء والارض من أَشعار ولا يسمح منها للسان الا بالقليل التافه. وما الشعر الملفوظ بجانب الشعر المحسوس ؟القلب لا يكذب أَبدا وَاللسان لا يصدق الا قليلا. لعلّك إن فتّشت عن أَعجب ما خلق الله في السماء والارض لم تجد أَعجب ولا أَروع ولا أَدق ولا أَجْمَل منْ قلب الانسان : تصلح اوتاره فيفيض رحمة وشفقة وحبا وحنانا ومعاني لطافا وشعورا رقيقا حتى يتجاوز في سموه الملائكة المقربين وتفسد أوتاره فيَنضَح قسوة وسوءا حتى يهوى الى أسفل السافلين.

حوى على دقته كنه الْعالم فما أدقّه واجلّه وما أَصغرهوما أعظمه يكبر ولا ترى كبره فيتضاءَل أَمامه كلّ كبير. ويصغر ولا ترى صغره فيتعاظم عليه كل صغير.

اتحد شكل القلب واختلفت معانيه: فقلب كالجوهر الكريم صفا لونه وراق ماؤه يتلقّى الاشعاع ويعكسه وهو على أشد ما يكون ضوءا ولمعانا. وقلب كالصّخر قوي متين ينفع ولا يلمع وقلب هواء خف وزنه وحال لونه وقلب... وقلب..

يموت القلب ويحيا ويحيا ثم يموت ويرتفع الى الأوج ويهبط الى الحضيض. وبينما هو يساوي النجوم رفعة إذا به قد لامس القاع ضعة وهكذا تذبذب في لحظة بين السماء والارض والطول والعرض وخير الناس من احتفظ برفعة قلبه وسمو نفسه.

هو ان شئت فردوس وان شئت جحيم وان شئت ملك وان شئت شيطان. هو ان شئت نار تتقد بالحب وان شئت سلام فكان بردا وسلاما.

اوتعلم ان من سلب القلب فقد سلب الفن والادب. لأن الفن مناطه القلب والعلمَ مَناطه العقل. وقد سئل مصوّر ماهر كيف تمزج ألْوانك ؟ فقال : أمزجها بدم قلبي. وكذلك الادب الحق هو ما كان ذوب القلب.

أحمد أمين

(فيض الخاطر بتصرف جزء (I)

9 ـ قلـــب الشـــاعر

كل ما هبّ، ومادبّ، ومـــا ... نام أَوخام على هذا الوجـودْ
من طيـور، وزهـــور، وشـذى ... وينابيع، وأَغصـــان تميـد
وبحـــار وكهـــوف، وذُرَى ... وبراكينَ وديان وبيـــد
وضياء، وظلال، ودجًـــى ... وفصول، وغيوم، ورعـــود
وثلوج، وضبـاب عابـــر ... وأَعاصيرَ وأَمطار تـجـــود
وتعـــاليـــمَ، وديـــن ورؤًى ... وأَحاسيسَ، وصَمتٍ ونـشيـد
كلها تحيا بقلبي، حـــرَّة ... غضّة السّحر، كأَطفال الخلود

* * *

ها هنا في قلبيَ الرحب، العميق ... يرقص الموت وأَطياف الوجود
ها هنا، تعصف أَهوال الـدجى ... ها هنا، تخفق أَحلام الورود
ها هنا، تهتف أَصداء الفنـــا ... ها هنا، تعزف ألحان الخلـود
ها هنا، تمشي الأَماني، والهـوى ... والاسى في موكب فخم النشيد
ها هنا، الفجر الذي لا ينتهـي ... ها هنا الليل الذي ليس يبيد
ها هنا، ألف خضمّ ثـــائـرٍ ... خالدِ الثورة، مجهول الحدود
ها هنا، في كل آن تمّحـــي ... صورٌ الدنيا، وتبدو من جديـد

أَبو القاسم الشابي

10 ـ الغريزة الشاعرة

إن الانسان شاعر بطبعه، في جبلته يكمن الشعر وفي روحه يترنم البيان. اذ أي انسان لا يهتاجه المنظرالساحر والمشهد الخلّاب ؟ وأي امرئ لايستخفه الجمال في أي مظهر من مظاهره وفي أية فتنة من فتنه ؟

ولكن الناس يتفاوتون في ادراك الجمال والشعور به على حسب قوّة هاته الغريزة الشاعرة أو ضعفها، فمنهم من تضعف فيه هاته الغريزة ضعفا بينا حتّى توشك أن تموت،لأن نفسه قد استحوذت عليها غريزة اخرى شغلت كل ما بها من فراغ، ومنهم من تقوى فيه هذه الغريزة حتى تتمرد فتطغى على كلّ ما عداها من الغرائز البشرية المتطاحنة لأن النفس الانسانيّة مضمار رحيب تتقارع فيه الغرائز وتتصارع فيه الميول والشهوات، وبقوة هاته الغريزة أو ضعفها يتفاوت الاحساس والشعور فيتفجر الشعر الخالد

من بعض الأفئدة البشرية على حين أن الأخرى لا ترشح بغير الصديد. وتتكشف بعض النفوس عن عبقريات جبارة عاصفة على حين أن البعض الآخر لا يلد غير الغباوة المستحذية النائمة..

ولكن قوة هاته الغريزة أو ضعفها هي في كثير من الأحيان وليدة الحوادث والظروف. فرب دمعة يائسة ايقظت ألف عاطفة نائمة،ورب ابتسامة حالمة اهاجت سواكن الوجود... ورب مشهد رائع احيا عبقرية خالدة. ورب فكرة واحدة صدعت أركان قلب كبير...

وهكذا هبط الانسان هذه الأرض مزودا بتلك الغريزة الشاعرة فكانت هي الأمل الجميل الذي ينير له مسالك العيش ويمهد له سبل الحياة. وكانت هي الخيبة القاتمة التي تقذفه في هوة اليأس وتشقيه في نار الأمل.

أبو القاسم الشابي

(الخيال الشعرى عند العرب)

11 ـ الشعـــــــــر

الشعر هو مجمل عواطف النفس ونزواتها، يبدو تـارة زفرات حرّى يصعدها صدر هائج، وطورا ابتسامات عذبة تعلو ثغرا جميلا. وقد تتّسع دائرته بعض الأحيان فيعبر عن عواطف أكثر من نفس، بل ربّما عبّر عن عواطف أُمة بأسرها. والشاعر هو الذي يشعر ويحسّ بعواطفه الشخصية أو بعواطف غيـره من حبّ وبغض وفرح وحزن فيراها منعكسة على مرآة نفسه، فيبرزها الى الخارج بطريقة تجعلكم شاعرين معه بكل تلك العواطف.

كل منّا يشعر بكثير ممّا يشعر به الشعراء.

اذن لماذا نسكت حيارى عند قراءة احدى القصائد، ونفرح أو نحزن فنتأثر عند قراءة غيرها ؟

السّبب في ذلك عائد الى صاحبي هاتين القصيدتين : فالأول ليس بشاعر. اما لعدم شعوره الكافي بما أراد عرضه، فكان كلامه الفاظا فارغة، مقفاة، وهو ما يدعى بالنظم، أو لعدم توفقه في

اختيار الطريقة التي يوصل بها عواطفه الى قلوبنا فظّل ما يشعر به داخليّا والشعور الدّاخلي لا يكفي وحده لقرض الشعر.

أَما الثاني فقد شعر، وزاد شعوره حتى فاض بأبيات رقيقة دخلت نفوسنا فشاركناه في شعوره فهو شاعر مجيد.

هذا وللشعور عون عظيم على انماء الشعر،الا وهو المخيّلة، ذاك الجناح الخفيف الذي يسمو بالشاعر فوق الارجاء المجهولة والأَطراف السحيقة، فيبسط أَمامه أَشد المعاني تجرّدا عن الحسّ بصورة حِسّيّة بديعة يزين بها/مروج قصائده. ولا غنى للشاعرعن المخيّلة كما أَنّه لا غنى للطير عن الجناح. « وما الشعر الّا ابن المخيّلة البكر ».

وللشعر شرط ثالث،ليس بأقلّ أَهمية مماّ تقدّم. وهو العقل اذ لولاه لطوّح الشعور والمخيّلة بالشاعر فقاداه الى الغموض والهذيان. فالشاعر اذن جالس على قول قدماء اليونان في مركبة فخمة يجرّها جوادان قويّان، هما الشعور والمخيّلة يسيّرها رجل حكيم، هو العقل.

فؤاد افرام البستاني

12 ـ لغـــــة الشعـــــر

من أَهمّ ما تتفاوت به منازل الشّعراء، وتتمايز درجاتهم في الشّعر، وتتفاضل به أَذواقهم الفنية في أداء المعنى وبلوغ الغرض. ويختبر به مدى ثقافاتهم البيانيّة، ويعرف منه مقدار مطالعاتهم الأَدبيّة،ونفوذ كلّ منهم الى حرّ الكلام وخالصه، وارتواؤه من صفو البيان وصريحه، وحفظه لأَحسن ما قرأ، وحسن استعماله أَحسن ما حفظ من الكلمات والعبارات، هو ذلك الثّوب البيانيّ الذي يُلبسه الشعراء معانيَهم ، وتلك الصّورة اللّفظية التي يبرزون فيها أَغراضهم ؛ فبحسب ما يكون ذلك الثّوب مقدّرا على المعنى. محيطا بأطرافه مقيسا على أَجزائه، وتكون تلك الصورة اللفظية مظهرة للغرض، مبرزة لخفايا المعنى، مصوّرة لدقائق الفكرة، وما يودعه الشاعر بفنّه في تلك الصّورة من الحياة والسحر، وما يترقرق في الكلمات والعبارات من ماء الجمال ورونق الحسن، وطلاوة المنطق، أَقول : بحسب ذلك كلّه يكون أَثر الشاعر في القلوب وسلطان شعره على قرّائه، ومنزلته في الفنّ بين نظرائه. وليس المراد بتحسين الأَلْفاظ وتجميل العبارات هو مجرّد جريانها على قواعد اللّغة، وموافقتها لنصوص المعجمات، فليس كلّ ما تبيحه اللغـة وقواعـدها يبـاح في الشعـر استعماله، ويُسَوِّغُ الشعراءَ التعبيرَ به اذ الشاعر انّما يقصد في شعره الى الرَّونَق والجمال وعدم الابتذال اكثر من قصده الى مجرّد جواز الاستعمال.

أَحمد أَمين

13 ـ حقيقة الفصـــــاحة

ان الكلام الفصيح هو الظاهر البيّن وأَعني بالظاهر البيّن أَن تكون أَلْفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة. وانّما كانت بهـذه الصفـة لانّهـا تكون مألـوفة الاستعمال بين أَرباب النّظم والنثر دائرة في كلامهم. وانّما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الأَلفاظ لمكان حسنها. وذلك أَن أَرباب النّظم والنّثر غربلوا اللغة باعتبار أَلفاظها وسَبَروا وقسّموا فاختاروا الحسن من الأَلفاظ فاستعملوه ونفـوا القبيح منها فلم يستعطوه. فالفصيح اذن من الأَلفاظ هو الحسن فإن قيل : من أَي وجه علم أَرباب النّظم والنّثر الحسن من الأَلفـاظ حتّى استعطـوه وعلمـوا القبيـح منهـا حتى نَفَوه ولم يستعطوه ؟ قلت في الجواب : ان هذا من الأمور

المحسوسة التي شاهِدُها من نفسها لأَن الأَلْفاظ داخلة في حيّز الأَصواتِ فالذي يستلّذه السّمع منها ويميل اليه هو الحسن والذي يكرهه وينفُر عنه هو القبيح. أَلا ترى أَنّ السّمع يستلّذ صوت البلبل من الطير وصوت الشحرور ويميل اليهما ويكره صوت الغراب وينفر عنه، وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك في صهيل الفرس. والأَلْفاظ جارية هذا المجرى فانّه لا خلاف في أَنّ لفظة المُزنة والدّيمة حسنة يستلذها السّمع وأَن لفظة البُعاق قبيحة يكرهها السّمع وهذه اللفظات الثلاث من صفة المطر وهي تدلّ على معنى واحد.

ابن الاثير (المثل السائر)

14 ـ اللغة العـــربية

قال حافظ ابراهيم على لسان العربيّة تنعى حظّها بين أَهلها .

رجعت لـــنفسي فاتّهمت حَصـــاتي
ونـاديت قومـي فـــاحتسبت حيـــاتـي

رمَوني بعُقـــم في الشّباب وليتني
عَقُمْـت فلـــم أَجزع لقـــول عُـــداتي

ولدت ولمـا لـم أَجـد لغرائسـي
رجـالا واكفـــاء وأَدت بـــنـــاتـي

وسعت كتـاب الله لـــفظـا وغـاية
ومـــا ضِقت عـن آي به وعـــظـات

فكيف أَضيق اليوم عن وصف آلـــة
وتنســـيق اســـماءٍ لمختـــرعـــات

أَنـا البحر في أَحشائـه الدّرّ كـامـن
فهل ســألـوا الغوّاص عن صدفـــاتـي

فيا ويحكم أبلى وتبلى محـــاسنـــي
ومنكم، وان عـــزّ الدّواء، أُســـاتـــي

فلا تَكِلوني للزمان فـــانـــنـــي
أَخـــاف عليكم أَن تحيـــن وفـــاتـــي

أَرى لـــرجال الغرب عـــزّاً ومَنعـة
وكـــم عزّ أَقوام بعـــزّ لـــغـــات

أَتـــوا أَهلهم بالمعجـــزات تفنّنـا
فيـــاليتكـــم تـــأتـــون بالكـــلمات

أَيطربكم من جـــانب الغرب نـاعب
يـــنادي بوأدي في ربيع حيـــاتـــي

ولـــو تزجرون الطير يـــومـــاعلمتمُ
بمـــا تحته من عثـــرة وشتـــات

سقى الله في بطن الجزيرة أَعظمـــا
يعزّ عليهـــاأَن تلين قـــنـــاتـــي

حفظن ودادي في البِلى وحفظتـــه
لـــهـــن بقلب دائـــم الحـــسـرات

وفاخرت أَهل الغرب والشرقُ مطـــرق
حيـــاء بتلك الأَعظـــم النّـــخِـــرات

أَرى كـلّ يـوم بالْجـرائـد مَـزلقا
مـن القبـر يدنيني بغـير أنـاة

وأَسمع للكتّـاب في مضـرضجّـة
فأعلم ان الصّـائحيـن نَعَـاتِـي

أَيهجـرنـي قـومي - عفا الله عنهم
الى لغـة لـم تتـصـل بـرواة

سِرت لُوثَةَ الافرنج فيها كـما سرى
لُعـابُ الأَفـاعي في مسيل فُـرات

فجـاءت كثـوب ضـمّ سبعين رقعة
مشكّلـة الأَلـوان مخـتلفـات

الى معشر الكتّـاب والجمع حـافـل
بسطت رجـائي بعد بسط شَكـاتـي

فاما حياة تبعث المَيت في البِلـى
وتُنبت في تلك الـرُّمـوس رُفـاتـي

وامّـا ممـات لا قيـامـة بعـده
ممـات لَعَمري لـم يُقس بممـات

حافظ ابراهيم

15 ـ الفصحى والعامية

ان الذين يستحسنون التعبير بالعامية ويؤثرونها على الفصيحة لسهولة كتابتها وفهمها مخطئون فيما يتوهّمون بل هم يعكسون الحقيقة ويتكلمون من غير تجربة ولا رَوِية. فالكتابة بالفصحى أسهل على معالجها من الكتابة بلغة العامة والجهلاء. ومن توهم غير ذلك فليتناول صفحة يكتبها بالفصحى ثمّ يحاول ترجمتها الى العامية ولينظر أيهما أشق عليه وأحوج الى الدقة وكثرة التمحيص والانتقاء. ولسنا نشترط أن تكون الفصحى في غرض من الأغراض العالية في الفلسفة أو الشعر أو العلم أو الفن فان صعوبة التعبير بالعامية في هذه الاغراض أبينُ من ان يحتاج الى بيان ولكنّا نطلبها صفحة في البيع والشراء والمساومة وسياسة الجماهير وأشباه هذه المعاني التي لا تعزّ على الدهماء. فإن تبيّن بعد هذا أن الكتابة بالعامية ليست بايسر من الكتابة بالفصحى لم تبق الا دعوى الجمال والرونق وليس يدعيها للغة العامة على لغة الخاصّة انسان له معرفة بالاثنتين.

أما سهولة الفهم فحسبك منها أن عامية القاهرة قلما تفهم على جليتها في بعض قرى الصعيد وأن عامية مصر لا تفهم في تونس والعراق أو في اليمن وفلسطين. وأنك تكتب الفصحى

فيفهمك من في مراكش ومن في صنعاء ومن في جاوة ومن في نيويورك. ولكنك تكتب العامية فتحتاج الى عشرين مترجما ينقلونها الى اخوانك في اللّغــة والآداب. ثم هم ينقلونها الى لهجات تختلف في ملابسات المعاني ومقارنات الأفكار فلا تؤدّي مرادك الاّ على شيء من التجوز والتبديل.

ان في كل أمة لغة كتابة ولغة حديث وفي كلّ أمة لهجة تهذيب ولهجة ابتذال وفي كلّ أمة كلام له قواعد وأصول وكلام لا قواعد له ولا أصول. وسيظل الحال على هذا ما بقيت لغة وما بقي ناس يتمايزون في المدراك والاذواق فلن يأتي اليوم الذي تكتب فيه فردوس ملتون بلغة العامل الانجليزي وفلسفة (كانت) بلغة المزارع الالماني .ولن يأتي اليوم الذي تستوعب فيه السوق كل ما يخطر على قرائح العبقريين ويختلج في ضمائر النفوس ويتردّد في نوابغ الأذهان. فالفصيحة باقية والعامية باقية مدى الزمان. ومزية الاولى القواعد والأحكام ومزية الثانية الفوضى والاختلاط. واذا جاز في زمن الازمان أن تنسى الفوارق كلها في التفكير والاحساس والشارة والمقام فهناك يجوز أن تلغى القواعد وتبطل اللهجات وتطغى العامية على الفصحى في كل بيئة وكل موضوع وهيهات.

عباس محمود العقاد

(ساعات بين الكتب)

البلاغة في نظر بشر بن المعتمر

خذ من نفسك ساعة فراغك ، وفراغ بالك ، واجابتها اياك ، فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاندة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا ، او خفيفا على اللسان سهلا كما خرج من ينبوعه ، ونجم من معدنه.واياك والتوعر ، فان التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك ، ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن يصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله أسوأ حالا منك من قبل ان تلتمس اظهارهما وترهن نفسك في ملابستهما وقضاء حقهما ، وكن في احدى ثلاث منازل: فان اولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا : اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت : واما للعامة ان كنت للعامة أردت ، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامةوانما مدار الشرف مع الصواب واحراز المنفعة ومع موافقة الحال ، ومع ما يجب لكل مقام من المقال ، وكذلك اللفظ العامي والخاصي، فان أمكنك ان تبلغ من بيان لسانك : وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك في نفسك على ان تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء ، فانت البليغ التام ، فان كانت المنزلة الاولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك في اول تكلفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل الى قرارها والى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها نافرة عن موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب مكانها ، والنزول في غير أوطانها ، فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد ، فانأنت تكلفتهما ولم تكن حاذقا مطبوعا، ولا محكما لشأنك بصيرا بما عليك ولك ، عابك من أنت أقل منه عيبا، ورأى من هو دونك أنه فوقك.فان أنت ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع، فلا تعجل، ولا تضجر، ودعه بياض يومك أو سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ان كانتهناك طبيعة، أو جريت في الصناعة على عرق، فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل ومن غير طول اهمال، فالمنزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك ، وأخفها عليك ، فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب والشيء لا يحن الا الى ما شاكله ، وان كانت المشاكلة قد تكون في صفات الا ان النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع الشهوة والمحبة

ابن رشيق القيرواني (كتاب العمدة)

1 ـ حديث عمرو بن معاوية

أَخبرني طارق بن المبارك عن أَبيه قال : قال لي عمرو ابن معاوية بن عمرو ابن عتبة : جاءت الدولة العباسية وأَنا حديث السن كثير العيال منتشر الأَموال فكنت لا أَكون في قبيلة إلا شُهِر أَمري وعُرفت. فلما رأَيت ذلك عزمت على أَن أَفدي حُرمي بنفسي. قال المبارك : فأرسل اليّ أن وافِني عند باب الأَمير سليمان بن علي. قال : فأَتيته فإذا عليه طيلسان أَبيض مطبَق وسراويل وَشي مسدولة. قال : فقلت : سبحان الله ! ما تصنع الحداثة بأَهلها إن هذا ليس لباس هذا اليوم. قال : لا والله ! ولكن ليس عندي ثوب الا أَشهر مما ترى. قال : فأَعطيته طيلساني وأَخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبتيه. قال : فدخل ثم خرج إليّ مسروراً. قال : فقلت له : حدثنا ما جرى بينك وبين الأَمير قال : دخلت عليه ولم يرني قبل ذلك فقلت : أَصلح

الله الأَمير ! لفظتني البلاد إليك. ودلني فضلك عليك. فاماّ فتلتني غانما واما رددتني سالما ! قال : ومن أَنت أَعرفك ؟ قال : فانتسبت له فقال: مرحبا بك ! أقعد فتكلم آمنا غانما سالما. ثم أَقبل عليّ فقال : ما حاجتك يا ابن أخي؟ قال : فقلت : إن الحُرم اللاتي أَنت أَقرب الناس إليهن معنا، وأولى الناس بهن بعدنا قد خِفن بخوفنا، ومن خاف خيف عليه ! قال : فوالله ما أَجابني إلا بدموعه على خديه. قال : ياابن أَخي ! يُحقن والله دمك وتحفظ حُرمك، ويوفّر عليك مالك. ولو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت. قال : فقلت : أَكون متواريا أَو ظاهرا. قال : كن متواريا كظاهر، وآمنا كخائف، ولتأتني رقاعك. قال فكنت والله أَكتب اليه كما يكتب الرجل إلى أَبيه وعمه. قال: فلما فرغ من الحديث رددت إليه طيلسانه. فقال : مهلا ! إن ثيابنا إذا فارقتنا لم ترجع إلينا.

الجاحظ

(البيان والتبيين)

2 ـ المجنـــــون وليـــــلاه

أَخبرني محمد بن مَزيدَ قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا اسماعيل بن أَبن أُويس قال :

اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالس وحده في نادي قـومـه . وكـان كل واحـد منهما مشتاقا الى لقـاء الآخر . وكان المجنون قبل توحشه لايجلس الا منفردا، ولا يحدث أَحدا ولا يرد على متكلم جوابا، ولا على مسلّم سلاما . فسلم عليه قيس بن ذريح . فلم يردّ عليه السلام . فقال له : « يا أخي ! أَنا قيس بن ذريح » فوثب اليه فعانقه وقال : « مرحبا بك يا أَخي أَنا والله مذهوب بي ، مشترك اللب فلا تلمني » فتحدثا ساعة وتشاكيا وبكيا . ثم قال له المجنون : « يا أَخي إن حي ليلي منا قريب . فهل لك أَن تَمضي اليها فتبلغَها عني السلام ؟ » فقال له : « أَفْعَلُ » فمضى قيس بن ذريح حتى أَتى ليلة فسلم وانتسب .

فقالت له : « حياك الله ! الك حاجة ؟ » قال نعم ابن عمك ارسلني اليك بالسلام فاطرقت ثم قالت : « ما كنتَ اهلا للتحية لو علمتُ انك رسوله . قل له عنّي : أرأيتَ قولك :

أبت ليلةٌ بالغيل يا ام مالك لكم غير حب صادق ليس يكذبُ
الا انما ابقيت يا ام مالك صدى اينما تذهب به الريح يذهب

أخبرني عن ليلة الغيل أي ليلة هي؟ وهل خلوت معك في الغيل اوغيره ليلا أو نهارا ؟ « فقال لها قيس : « يا ابنة عم ان الناس تأولوا كلامه على غير ما أراد . فلا تكوني مثلهم . انما اخبر انه رآك ليلة الغيل فذهبت بعقله . لا انه عناك بسوء . »

فاطرقت طويلا ودموعها تجري وهي تكفكفها ثم انتحبت حتى قلت : تقطعت حيازيمها .ثم قالت : « اقرأ على ابن عمّي السلام وقل له : بنفسي أنت ! والله أن وجدي بك لفوق ما تجد ولكن لاحيلة لي فيك. »

فانصرف قيس اليه ليخبره فلم يجده .

ابو الفرج الاصفهاني

3 ـ معاوية والانصار

تشبّب عبد الرحمان بن حسان برملة بنت معاوية فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب ودخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ألا ترى الى هذا العلج من أهل يثرب يتهكم بأعراضنا ويشبب بنسائنا ! فقال ومن هو ؟ قال عبد الرحمان بن حسان فانشده ماقال فقال : يا يزيد ليست العقوبة من أحد أقبح منها بذوي المقدرة ولكن امهل حتى يقدم وفد الأنصار ثم ذكّرني به فلما قدموا ذكره به فلما دخلوا قال : يا عبد الرحمان ألم يبلغني أنك تشبّب برملة بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ولو علمت أن أحدا أشرف بشعري منها لذكرته قال : أين أنت عن أختها هند ! . قال وان لها لأختا يقال لها هند ؟ قال : نعم ! وانما اراد معاوية ان يشبب بهما جميعا فيكذب نفسه فلم يرض ذلك يزيد بن معاوية وما كان منه معه فأرسل الى كعب بن جعيل فقال له : اهج الأنصار فقال أفرق من أمير المؤمنين ولكن أدلّك على الشاعر الكافر الماهر الأخطل قال له اهج الانصار فقال : أفرق من أمير المؤمنين قال : لا تخف شيئا أنا لك بذلك فهجاهم فقال :

واذا نسبت ابن الْفُرَيعَة خلتـه كالجحش بين حمارة وحمار

لعن الاله من اليهود عصابـــة بالجزع بين صليصَل وصدار
قوم إذا هدر العصيرُ رأيتهـــم حمرا وتوهموا من المُصطـــار
خلوا المكارم لستمو من أهلهـا وخذوا مساحيكم بنى النّجّار
ان الفوارس يعرفون ظهوركـم أولاد كلّ مقبّح أكّـــــار
ذهبت قريش بالمكارم كلهـا واللؤمُ تحت عمائم الانصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فدخل على معاوية فحسر عمامته عن رأسه وقال : يا أمير الْمؤمنين ترى لؤما ؟ قال : لا بل أرى كرما وخيرا فماذا ؟ قال : زعم الأَخطل أن اللؤم تحت عمائم الانصار ! قال : أو فعل ذلك؟ قال : نعم قال : لك لسانه وكتب فيه أن يؤتى به فلما أتى به سأل الرسول أن يدخله الى يزيد أولا فأدخله عليه فقال : هذا الذي كنت أخاف قال : لا تخف شيئا ودخل على معاوية فقال : علام أرسل الى هذا الذي يمدحنا ويرمي من وراء حجرتنا ؟ قال ؟ هجا الانصار قال : ومن زعم ذلك؟ قال النعمان بن بشير قال : لا تقبل قوله وهو المدّعي لنفسه ولكن تدعوه بالبيّنةوإن أثبتَ شيئا أخذتَ له ، فدعاه بالبينة فلم يأت بها فخلاّه.

أبو الفرج الاصفهاني

(نقلا عن عصر المامون)

4 ـ ابتســـــــــم

قال : السّماء كئيبة وتجهّمـا قلت ابتسم يكفي التجهّم في السّما
قال : الصّبا ولىّ فقلت له ابتسم لن يرجع الأَسف الصبا المتصرما
قال :التي كانت سمائي فيَ الهوى صارت لنفسي في الغرام جهنما
خانت عهودي بعدما ملكتها قلبي، فكيف أُطِيـق أَن أَتبسّمـا ؟
قلت : ابتسم وا طرب لموقارنتها قضّيت عمرك كلّه متألّمـــا
قال : التجارة في صِراع هائـــل مثل المسافر كاد يقتله الظما
أَو غادة مسلولة محتـــــاجة لدم وتَننث كلمّا لَهَثت دمـا
قلت ابتسم ما أَنت جالب دائها وشفائها، فاذا ابتسمت فربما
أَيكون غيرك مجرما وتبيت فى وَجلٍ كأنّك أَنت صرت المجرما؟

******

قال :العدا حولي علت صيحاتهم أَأُســر الاعداء حوليَ في الحمى
قلت : ابتسم،لم يطلبوك بذمّهم لو لم تكن منهم أَجلّ وأَعظما

******

قال : المواسم قد بدت أعلامها وتعرّضت لي في الملابس والدُمى
وعليّ للاحباب فرض لازم لكن كفىَ ليس تملك درهما
قلت: ابتسم يكفيك انّك لم تزل حيّا، ولست من الاحبّة معدِما؟

******

قال الليّالي جرّعتنيَ علقما قلت: ابتسم ولئن جَرعت العلقما
فلعلّ غيرك ان رآك مُرنّما طَرَح الكآبة جانبا وترنّما
أتراك تغنم بالتبرم درهما أم أنت تخسر بالبشاشة مَغنما
يا صاح !الاخطر على شفتيك أن تتثلّما، والوجه أن يتحطّما
فاضحك فان الشهب تضحك والدجى ملاطم ولذا نجب الانجما
قال : البشاشة ليس تسعد كائنا يأتي الى الدّنيا ويذهب مُرغَما
قلت: ابتسم مادام بينك والردّى شِبرٌ فانك بعدُ لن تتبسما

ايليا أَبوماضى

5 ـ عكرشة بنت الاطرش

يروى أَنها دخلت على معاوية متوكئة على عكاز لهـا، فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست. فقال لها معاوية الآن صرت عندَك أَمير المؤمنين ؟ قالت نعم اذ لاَ عَليَّ حيٌّ. قال : أَلست المتقلدة حمائل السيف بِصِفّين وانت واقفة بين الصَّفَين تقولين.

أَيها الناس، عليكم أَنفسَكم لا يضركم من ضّل اذا اهتديتم. ان الجنة لا يحزن من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها، فابتاعوها بدار يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها. وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم، مستظهرين على حقهم، ان معاوية دَلف اليكم بعُجم العرب، لا يفقهون الايمان، ولا يدرون ما الحكمة. دعاهم الى الباطل فاجابوه، واستدعاهم الى الدنيا فلبَّوْه. فاللهَ اللهَ عبادِ الله في دين الله. واياكم والتواكل فانذلك ينقض عرى الاسلام. ويطفىء نور الحق. هذه بدر الصغرى، والعقبة الاخرى. امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم. فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أَهل الشأم كالحُمُر الناهقة تقصع قَصْع البعير.

ثم قال : فكأنى أراك على عصاك هذه قد انكفأ عليك العسكر ان يقولون هذه عِكرشةُ فان كدت لتفلّين أهل الشام لولا قدر الله . فما حملك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين يقول الله « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياءَ ان تبدَ لكم تسؤْكم »، وان اللبيب إذا كره أمرا لا يحب إعادته، قال صدقت . فاذكرى حاجتك قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتردّ على فقرائنا . وقد فقدنا ذلك، فما يجبر لنا كسير، ولا ينعش لنا فقير ، فان كان عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة، وان كان عن غير رأيك فمثلك من استعان بالخونة . ولا استعمل الظلمة . . قال معاوية : يا هذه انه ينوبنا من أمور رعيّتنا ثغور تتفتق، وبحور تتدفق . قالت : سبحان الله . والله ما فرض الله لنا فجعل فيه ضررا لغيرنا وهو علاّم الغيوب . قال معاوية . هيهات يا أهل العراق، نبّهكم علىّ فلن تطاقوا، ثم أمر بردّ صدقاتهم فيهم وانصافهم .

احمد فريد رفاعي

(عن عصر المامون ـ الجزء الثانى صحيفة 17)

6 ـ الخطـابة والعرب

العربى خطيب من طبيعته، تأتيه الخَطابة عفوا، وتَشيع أَساليبها حتى في شعره،والخطابة عند الجاهلي بمقام الشعر : فهي كالشعر لسان الدفاع عن القوم، والتحريضِ على القتال وهي نصرةُ الضعيف ، ورسالة الملوك والامراء التي يحافظون ببلاغتها على سلطانهم ونفوذهم وكلمة الخبرة والعبرة، توجه الى الناس نورا وهديا، وكان الخطيب زعيم قوم أو عـالمهم أو شاعرهم، أو حكيمهم .

ولما كان العرب أَميين في أَكثرهم، ذوى غزوات متواصلة بعيدين عن أَساليب الطباعة والصحافة، كانت الخطابة أَسهل الطرق الى إثارتهم، ونشر الدّعوة فيهم واقناعهم ؛وقد ساعد على ذلك ما هنالك من أسواق واجتماعات، وما للعرب من فصاحة

وبلاغة فطروا عليها، فتعدّد الخطباء وكان لهم في كل محفل مواقف، وفى كل منقلب من مَنقلَبات الحياة منابر ومعابر.

ومع ما كان للخطابة من سوق رائجة، فقد وصل الينا منها شيء قليل مبثوث في تضاعيف المجاميع الادبية، وقد لعبت به أَيدي المحرّفين، وتصرف به الرواة والعلماء على نحو ما تصرّفوا بالامثال.

ولخطب الجاهليين قيمة تاريخية حقيقية، فهي بمثابة مصادر لدراسة تاريخ تلك العصور الغامضة وان اعتَورَها بعض التحريف والتزييف، وهي من الشواهد على عقلية القوم وأَساليب معيشتهم وطرق تصرّفهم بالنظر الى مجتمعهم والى علاقاتهم مع غيرهم من الشعوب، وهي سِجل أَعمالهم وأَيّامهم.

عن الموجز فى الادب العربى وتاريخه

(الجزء الاول)

7 ـ من روائع الحكمة في الجاهلية

ان أَفضل الأَشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكُها، وأَفضلَ الملوك أَعمها نفعا، وخير الأَزمنة أَخصبُها، وأَفضلَ الخطباء أَصدقها، الصدق منجاة والكذب مهواة، والشر لَجاجة والحزم مركب صعب والعجز مركب وَطيء، آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الامور الصبر، حُسن الظن ورطة، وسوء الظن عِصمة، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي، من فسدت بِطانته كان كالغاص بالماء.

شر البلاد بلاد لا أَمير بها، شر الملوك من خافه البريىء، أفضل الأَولاد البررة، خير الاعوان من لم يُرك بالنصيحة، أَحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته، حسبك من شر سماعُه، البلاغة الايجاز، من شدد نفَّر، ومن تراخى تَألَّف.

أَكثم ابن صيفي

8 ـ خطبة قس بن ساعدة

« أيها الناس» !

اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا. انه من عاش مات ومن مات فات وكلّ ماهو آت آت ليل داجٍ وسماء ذات أبراج. ما لي أرى النّاس يذهبون فلا يرجعون أرَضُوا بالمقام فأقاموا أم تُرِكوا هنا ك فناموا ؟ أقسم قسّ بالله قسما حقا لا آثما ولا حانثا أن لله دينا هو أحبّ اليه من دينكم الذي أنتم عليه .

تبّا لأرباب الغفلة من الأُمم الماضية والقرون الخالية. يا معشر اياد أين الآباء والأجداد وأين الفراعنة الشّداد أين من بنى وشيّد وزخرف ونجّد وغرّه المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربّكم الأعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا طحنهم الثّرى بكلكله ومزّقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عَمَرتها الذئاب العاوية. كلاّ بل هو المعبود !» '

ثم أنشأ يقول :

في الذّاهبين الأَوّلين ... من القرون لنا بصائرْ
لمّا رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... تمضي الأَصاغر والأَكابر
لا يرجع الماضي ولا ... يبقى من الماضين غابر
أَيقنت أَني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

قُس بن ساعدة

9 ـ قبل فتح الاندلس

أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواتهُ موفورة وأنتم لا وزرَ لكم إلا سيوفكم ولا أقواتَ إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم .وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ريحكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة عن أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة . وان انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت. وإني لم أحذركم أمرا أنا رعنه بنَجوة فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم بأوفر من حظي .

« وقد بلغكم ما حوت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال

عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقةً منه بارتياحكم للطعان واستماحِكم بمجادلة الأَبطـــال والفـرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيـرة، وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم. والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين ».

« واعملوا أَني أَول مجيب إلى ما دعوتكـم إليـه واني عند ملتقى الجمعين ـ حامل بنفسي على طاغية القوم « لذريق » فقاتله إن شاءَ الله تعالى. فاحملوا معي فإن هلكتُ بعده فقد كفيتكم أَمرَهُ ولم يُعْوِزكم بطل عامل تسندون أموركم إليه. وإن هلكت قبل الوصول اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا من فتح هذه الجزيرة بقتله ».

طـــارق بن زياد

10 ـ خطبة عبد الله بن الزبير

الحمد لله الذي له الخَلقُ والأَمر وملك الدّنيا والآخرة يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء أَلا أَنّه لم يَـذل والله من كان الحقّ معه وإن كان مفردا ضعيفا ولم يَعزّ من كان الباطل معه وإن كان في المدّة والعدد والكثرة. إنّه قد أَتانا خبر من العراق بلدِ الغدر والشّقاق فساءنا وسرّنا: أَتانا أَنّ مَصعبا قتل رحمة الله عليه ومغفرته فأمّا الذي أَحزننا من ذلك فانّ لفارق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ثُمَّ يَرْعَوِي بعد ذو الرّأي والدّين الى جميل الصّبر وأَمّا الذي سرّنا منه فإنا قد علمنا أَن قتله شهادة له وأَنّه عزّ وجلّ جاعل ذلك لنا وله ذخيرةً إن شاء الله تعالى. إنّ أَهل العراق أَسلموه وباعوه بأقلّ ثمن. لقد قتل أَبوه وعمّه وأَخوه وكانوا خيار الصّالحين إنا والله ما نموت حَتْفَ أنوفنا وما نموت الاّ قتلا قَصْعا بالرّماح وتحت ظلال السّيوف وليس كمَا يموت بني مروان والله ما قُتل منهم رجل في جاهلية ولا إسلام قطّ وإنّما الدنيا عَارِية من الملك القهّار الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فإن تقبلِ الدّنيا علىّ لا آخذها أَخذ الأَشِر البَطِر وان تدبر عنّي لا أَبك عليها بكاءَ الخَرِف المَهِين.

عبد الله بن الزبير

11 ـ خطبة محمد المهدى بن تومرت .

إن الله سبحانه وله الحمد منّ عليكم أيّتها الطّائفة بتأييده، وخصّكم من بين أهل العصر بحقيقة توحيده، وقيّض لكم من ألْفاكم ضُلالا لا تهتدون، وعُميالا تبصرون، لا تعرفون معروفا ولا تنكرون منكرا، قد فشت فيكم البدع واستهوتكم الأباطيل، وزيّن لكم الشّيطان أضاليلَ وتُرّهات أُنزّه لساني عن النّطق بها، وأربأ بلفظي عن ذكرها، فهداكم الله به بعد الضّلالة، وبصّركم بعد العمى، وجمعكم بعد الفرقة وأعزّكم بعد الذّلة ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين وسيورثكم أرضهم وديارهم ذلك بما كسبته أيديهم وأضمرته قلوبهم، وما ربّك بظلام للعبيد. فجدّدوا لله سبحانه خالصّ نيّاتكم وأروه من الشكر قولا وفعلا ما يزكي به سعيَكم، ويتقبّل أعمالكم، وينشر أمركم، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء، وكونوا يدا واحدة على عدوّكم،فإنّكم إن فعلتم ذلك هابكم النّاس وأسرعوا إلى إطاعتكم

وآثروا أتباعكم، وأظهـر الله الحقّ على أيديكم، و الاّ تفعلوا شملكم الذّلّ وعمّكم الصّغار واحتقرتكم العامّة فتخطفتكم الخاصّة.

وعليكم من جميع أموركم بمزج الرّأفة بالغلظة واللّيْن بالعنف. واعلموا مع هذا أنّه لا يَصلح أمر آخر هذه الأمة الاّ على الذي صلح عليه أمر أولها. وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه أميرا عليكم هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله، من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه واختبرنا سريرته وعلانيته فرأيناه في ذلك ثَبتًا في دينه، متبصّرا في أمره،وإنّي لأرجو أن لا يُخَلِّفَ الظنّ فيه. وهذا المشار إليه هو « عبد المؤمن » فاسمعـوا له وأطيعوا ما دام سامعا مطيعا لربّه. فإن بدّل أو نكص على عَقِبِهِ أو ارتاب في أمره ففي الموحّدين أعزّهم الله بركةٌ وخيرٌ كثير، والأمر للّه يقلّـده من شاء من عباده.

ابن تومـــــــرت

بين جيلين

استيقظت الجدة قبل مشرق الشمس وجلست على اريكتها المفضلة ترشف قدحا من القهوة وتتأمل حفيدتها مستغربة · ولم تكن الجدة تميل الى الثرثرة ولكن مراى حفيدتها الشابة وهى ترتدى ملابسها مسرعة مبكرة اثار فى نفسها بعض التساؤل

الجدة : أراك فى عجلة من امرك ولم يطلع النهار بعد · فأية نـزوة جديـدة استولت عليك فى هذه المرة ؟

الحفيدة : انك تظلمينني يا جدتي · فما كنت من اهل النزوات في يوم من الايام، انني مسافرة بالطائرة لحضور افتتاح المستشفى الخيرى الذي اقامته جمعيتنا وساعود اليكم بطائرة الظهر فنتناول الغداء معا ·

الجدة : الله اكبر · أأنت مجنونة لتطيرى وحدك مرتين في اليوم ؟ لماذا لا تسافرين بالقطار كعادة عباد الله العاقلين · ؟

الحفيدة : ولكن السفر بالقطار مضيعة ليـوم استطيع الانتفاع بـه فى ناحية اخرى والوقت ···

الجدة : الوقت ؟ او يعرف جيلكم الوقت · انكم تبتلعونه ابتلاعا فيمضي وانتم فى جهل لحلاوته· اما نحن فكنا نمضغ الوقت ونجتره بعد ذلك·كان السفر فى حياتنا حدثا لا يتأتى كل يوم·ولذلك كنا نترقبه مشوقات ونعد له العدة متحمسات ونقضى الاسابيع قبله فى صنع الكعك والفطير والحلوى لنحملها معنا هدية الى الاهل والصحاب واذا حـل اليوم الموعـود استيقظنا عند الفجـر وكلنا حمية ونشاط وتوجهنا الى المحطة قبل موعد قيام القطار بساعات · ثم يدوى الصفير المرتقب فى حينه فنهب فرحات ببدء السفر ، كان وقتنا يا بنيتى هادئا وئيدا اما انتن ففى عجلة ونهم · وبذلك تضعين فرصة احساسكن بالحياة ·

الحفيدة : وانا معك فى اننا نقطع الايام جريا فيمضى بنـا العمر ونحن نلهث لفـرط التعب ؛ كانت حياتكن فارغة · اما نحن فقد تطور زمننا وكثرت واجباتنا وغدا لنا كيان اجتماعى يستلزم منا مساهمة فعالة فى خدمة بلادنا ومحاربة آفاتنا ومعاونة شعبنا على النهوض ، عهدنا ياجدتي عهد العلم والنور

الجدة : تباهين بالعلم · فهل أفدتن منه شيئا مذكورا ؟ كنـا جاهلات لا تعـرف من شؤون الحياة اكثر مما تضمه جدران بيوتنا فكرسنا انفسنا لخدمة هذه البيوت

الحفيدة : لست انكر ان حياتنا العلمية قد اقتطعت جزءا مذكورا من حياتنا البيتية ولكن ثقافتنا وما تعلمناه عنها من نظام وسرعة وحزم تمكننا من وفاء مطالب بيوتنا فى اقصر وقت مستطاع

الجدة : اعترف بان العلم قد اكسبكن زخرفا وطلاء زاهيا عماده «أنا فد الملابس والمسلك والطريق » ولكنه مع ذلك طلاء زائف • زنى جنتنا المولقة بصحرائكن القاحلة ثم احكمى بفوائد العلم والمدرسة

الحفيدة : ان لصحرائنا القاحلة ومـا نكـابد فيها من مشقة لـذة أى لذة • حقيقة ان المدرسة قد اغرتنا بالعمل والكدح فحرمنا حياة الراحة والدعة • لكننا اخذنا فى مقابل ذلك ثمنا غاليا هو احساسنا بوجودنا واعتـراف المجتمع بـاهمية جهودنا • شغلت اذهاننا بخدمة بلادنا عن التفكير فى المأكل والمشرب والرغبات الاخـرى

الجدة : لم نستمتع مثلكن بهذه المظاهر الجذابة • ولكننا اتينا عملا عظيما فى ميدان الحياة ؛ بتربية أولادنا على القوة والعفة والايمان والطهر فخرجوا قادة وساسة وزعماء •

الحفيدة : ان التربية المثلى لا تكون بقضاء العمر فى الامر والنهى وانما فى المثل الطيب الذى يضربه الاباء والامهات بحياتهم المثمرة المفيدة • لسنا نريد لأولادنا حياة فارغة او زعامة خاوية بقدر ما نريد ان يكونوا مواطنين صالحين يتقون الله فى بلادهم

الجدة : رحم الله ايامنا يابنيتى فقد كانت الفتاة فيها تستحى لمجرد التفكير فى مثل اقـوالك الجـريئة

الحفيدة : صدقت فحياتك وحياتى طريقان مفترقان لا امل فى التقائهما • وداعا يا جدتى فقد حان موعد السفر

الجدة : وداعا يا بنيتى ولتصحبك السلامة •

وخرجت الحفيدة من الحجرة مسرعة فتاهت نظرات الجدة لحظات متتالية ثم هزت رأسها حائرة وعادت ترشف قهوتها المحببة •

امينـة السعيـد

« باختصار »

1 ـ قـرآن الفجـر

لا أَنسى أَبدا تلك الساعة ونحن في جوّ المسجد، والقناديلُ معلّقة، كالنّجوم في مَناطِها من الفلك، وتلك السُّرُج تـرتعش فيها ارتعاش خواطر الحب، والنّاس جالسون عليهم وقار أرواحهم، ومن حول كل إنسان هدوء قلبه وقد استبهمت الأَشياء في نظر العين ليلبسها الاحساس الرّوحاني في النفس.

لا أَنسى أَبدا تلك الساعة وقد انبعث في جو المسجد صوت غَرِد رَخيم،يشُق سُدفة اللّيل في مثل رنين الجرس تحت الأُفق العالي وهو يرتل هذه الآيات من آخر سورة النّحل : « ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أَحسن إن ربّك هو أَعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أَعلم بالمهتدين. وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهـو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلاّ بالله، ولا تحزن عليهم، ولاتك في ضيق ممّا يمكرون .إن الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون.»

وكان هذا القارىء يملك صوته أَتّم ما يملك ذو الصوت المطرب. فكان يتصرّف به أَحلى مما يتصرّف به القُمري وهو

ينوح في أَنغامه ، وبلغ في التّطريب كلّ مبلغ يقدر عليه القادر حتى لا تفسر اللّذة الموسيقية بأبدع مما فسرها هذا الصوت،وما كان إلا كالبلبل هزّته الطبيعة بأسلوبها في جمال القمر، فاهتزّ يجاوبها بأسلوبه في جمال التغريد.

كان صوته على ترتيب عجيب في نغماته، يجمع بين قوّة الرّقّة ورقّة القوّة، ويضطرب اضطرابا روحانيّا كالحزن اعتراه الفرح على فجأة. يصيح الصيحة تترجّح في الجوّ وفي النّفس،وتتردّد في المكان وفي القلب، ويتحوّل بها الكلام الالهي إلى شيء حقيقي، يلمِس الرّوح فيرفض عليها بمثل النّدى، فإذا هي ترفّ رفيفا وإذا هي كالزّهرة التّي مسحها الظلّ . وسمعنا القرآن غضّا طريا كاوّل ما نزل به الوحي فكان هذا الصوت الجميل يدور في النّفس كأنّه بعض السّر الذي يدور في نظام العالم وكان القلب وهو يتلقّى الآيات كقلب الشجرة يتناول الماء ويكسوها منه .

وكنّا نسمع قرآن الفجر وكأنّما محيت الدّنيا التي في الخارج من المسجد وبطل باطلها فلم يبق على الأَرض إلاّ الانسانية الطّاهرة ومكان العبادة . وهذه هي معجزة الرّوح متى كان الانسان في لذة روحه مرتفعا على طبيعته الأَرضيّة .

مصطفى صادق الرّافعي

(من كتاب « وحى القلم » الجزء الثالث)

2 ـ الضحـك

يقول المَناطقة في أَحد تعريفاتهم للانسان : (الانسان حيوان ضاحك) وهذا عندى أَظرف من تعريفهم الا خر (الانسان حيوان ناطق) فالانسان في هذا الزمان أَحوج إلى الضحك منه إلى التفكير، أَوعلى الأَصح نحن أَحوج ما نكون إلى التفكير والضحك معا . ولكن لم خصت الطبيعة الانسان بالضحك ؟

السبب بسيط جدا فالطبيعة لم تُحمِّل حيوانا آخر من الهموم ما حملته الانسانَ. فهم الحمار والكلب والقرد وسائر أَنواع الحيوان أُكلةٌ يأكلها في سذاجة وبساطة، وشربة يشربها في بساطة وسذاجة أَيضا،فإذا نال الحمار قبضة من تبن وحفنة من فول وغَرفة من ماء : فعلى الدنيا العَفاء ـ ولكن تعال معى فانظر إلى الانسان المعقد المركب يحسب حساب غده كما يحسب حساب يومه وحساب أَمسه ،ويخلق من هموم الحياة مالا طاقة له به . . . ثم إذا سذجت اللذة وتبسطت، لم تعجبه بل أَخرجها من باب اللذة وعقد أَمله على لذة معقدة، وإذا تفلسف والعياذ بالله من فلسفته ـ خرج بها عن المعقول وحاول أَن ينال ما فوق عقله ولم تعجبه الأَرض والسماوات مجالا لبحثه . . . فلما رأَت الطبيعة الانسان يكثر من الهموم ويخلق لنفسه المشكلات والمتاعبئ التي لاحد لها، أَوجدت لكل ذلك علاجا فكان الضحك .

أَحمد أَمين

(من كتاب فيض الخاطر)

3 ـ بين البكاء والضحك

أنا أزعم أنّ البكاء صالح للطّبائع ومحمود المَغَبَّة إذا وافق الموضع ولم يجاوز المقدار ولم يغدلِ عن الجهة ودليل على الرّقّة والبعد من القسوة. وربما عدّ من الوفاء وشدّة الوجدِ على الأولياء وهو من أعظم ما تقرّب به العابدون واسترحم به الخائفون...

وإذا كان البكاء الذي ما دام صاحبه فيه فإنّه في بلاء وربّما أعمى البصر وأفسد الدّماغ ـ كذلك فما ظَنُّك بالضّحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور الى أن ينقطع عنه سببه ؟

ولو كان الضّحك قبيحا من الضّاحك وقبيحا من المضحك لما قيل للزّهرة والْحَلي والقصر المبنّي : كأنّه يضحك ضحكا. وقد قال الله جلّ ذكره : «وأنّه هو أضحك وأبكى وأنّه هو أمات وأحيا.» فوضع الضحك بحذاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت...

وكيف لا يكون موقعه من سرور النّفس عظيما ومن مصلحة الطّباع كبيرا وهو شيء في أصل الطّباع وفي أساس التّركيب. لأن الضحك أوّل خير يظهر من الصّبيّ. وقد تطيب نفسه وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علّة سروره ومادة قوّته...

وللمزح موضع وله مقدار متى جَازَهما أحد وقصّر عنهما صار الفاضل خطَلا والتقصير نقصا. فالناس لم يعيبوا الضّحك الا بقدر ولم يعيبُوا المزح الا بقدر. ومتى أُريد بالمزح النفعُ وبالضّحك الشيء الذي له جعل الضحك صار المزح جدّا والضحك وقارا.

الجاحظ
(من مقدمة كتاب البخلاء)

4 - صراع في النفس

الحياة قاسية، أَشعر بوطأَتها، وأُريد أَن أَبكي وأَهرب منها. فالدموع تطفر من عيني،ولكني أَجهلها وأبتسم للدنيا بالرغم مني.

الشمس المشرقة تدعوني إلى التفاؤل، والازهار السعيدة والطيور الْمرحة والحياة المتأَلقةفي الجداول الصغيرة تدعوني إلى مشاركتهافي حبها للحياة، ولكنى لا أَدري لِمَ يغادرني هذا التفاؤل كلما شاهدت مغيب الشمس أو تأَملتها وهي تختفي رويدا وراء الأُفق. والسحب تجتمع وتزحف عَبْر السماء والمياه يغادرها بريقها الجذاب، وتعلوها كآبة تندمج في لونها القاتم الأَغبر لقد أَخْلَدَت الطيور إلى السكينة، واستسلمت إلى النوم، وغادرني الأَمل مع الشمس الغاربة، فتركني لشجوني ووحدتي.

أسمع اغنية تنبض في الكون، وتردّدها الطيور والأَزهار، والجداول والنسائم وأتلقى صداها في قلبي،فتغمر نفسي موجة من التفاؤل والحب، وأَتجه إلى ربي في نشوة وابتهال، لأَنه جعلني أُدرك وأُحس بالجمال حولي وحينما أَذوب في الأَغنية الخالدة أَعرف أَني أَكون لحنا واحدا من أَلْحانها المتداخلة التي تصدر من أَدنى حشرة وأصغر نبات في الكون، تلك هي سنفونية الطبيعةِ الرائعةُ التي سمعتها أَجيال مضت ، وتسمعها أَحقاب أُخرى ستأتي فلا يدركها إلاّ من غمره نور اليقين وأَحنى رأسه في تقديس وإجلال.

صفية أَبو شادي

5 ـ خائف متشجع

قال بشر بن سعيد : كان بالبصرة شيخ من بنى نَهشَل يقال له عُروة بن مَرثد نزل ببني أُخت له في سكة بني مازن وبنو أُخته من قريش. فخرج رجالهم إلى ضياعهم وذلك في شهر رمضان وبقيت النساء يصلين في مسجدهم. فلم يبق في الدار إلا كلب يَعُسّ فرأى بيتا فدخل وانصَفق الباب فسمع الحركة بعض الاماء فظنن أَن لصا دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأَعز وليس في الحي رجل غيره فأخبرته. فقال أَبو الأَعز : » ما يبتغى اللص منا ؟ « ثم أَخذ عصاه وجاء حتى وقف على باب البيت فقال : إيه ! يا ملامان ما والله إنك بي لعارف وإني بك أَيضا لعارف، فهل أَنت إلا من لصوص بني مازن، شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت الاقداح فى رأسك مَنتك نفسك الأَماني وقلت : دور بني عمرو، والرجال خُلوف والنساء يصلين في مسجدهن فأسرقهن سؤة والله ! ما يفعل هذا الاحرار ! لبئس والله ما منتك نفسك ! فاخرج وإلا دخلت عليك فَصرَمتك مني العقوبة. لأَيمُ الله لتخرجَن أولا هتفن هَتفة مشؤومة عليك يلتقي فيها الحيان عمرو وحنظلة ويصير أمرك إلى تَباب. وتجيء سعد بعدد الحصى ويسيل عليك الرجال من هاهنا وهاهنا ! ولئن فعلت لتكونن أشام مولود في بني تميم !

فلمـا رأى أنه لا يجيبـه أخـذ باللين وقـال : أخرج يـا بنّي وأنت مستور. إنني والله ما أراك تعرفني. ولو عرفتني .لقـد قنعت بقولي واطمأننت الـيّ. أنا عروة بن مرثد أبو الاعـز المرثدي. وأنا خال القوم وجلدَة ما بين عينهم لا يعصوننى في أمر. وأنا لك بالذمة كفيل خَفير. أصيرك بين شحمة أذني. وعاتقي لا تضار. فاخرج فأنت في ذمتي وإلا فإن عندي قَوصَرَتين إحداهما إلى ابن أُختي البار الوَصول فخذ إحداهما فانتبذها حلالا من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان الكلب إذا سمع الكـلام أطـرق وإذا سكت وثب يُريغ المخرج فَتَهانف الاعرابي أي تضاحك ثم قال : يا ألأم الناس وأوضعَهم .ألا يأتي لك أنا منذ الليلة في واد وأنت في آخر ! إذا قلت لك السوداء والبيضاء تسكت وتطرق. فإذا سكَتُّ عنك تُريغ المخرج والله لتخرجن بالعفو عنك أولا لجن عليك البيت بالعقوبة.

فلما طال وقوفه جاءت جارية من إماء الحي فقالت : أعرابي مجنون ! والله ما أرى في البيت شيئا ! ودفعت الباب فخرج الكلب شدا وحاد عنه أبو الأعز مستلقى وقال : الحمد لله الذي مسخك كلبا، وكفانى منك حربا ثم قال : ما رأيت كالليلة ما أراه إلا كلبا. أما والله لو علمت بحاله لولجت عليه.

الجاحظ (كتاب الحيوان)

6 ـ فكرة الفنان

عش بالشعور وللشعـور ، فإنمـا

دنيـاك كـون عـواطفٍ وشعـورِ

شيدت على العطف العميق و انهـا

لتجف لو شيـدت على التفـكير

وتظل جـامدة الجمـال، كئيبـة

كالهيكـل المتـهـدم المهجـور

وتظـل قـاسية المـلامح، جَهْمـة

كالمـوت، مقفِـرة بغيـر سـرور

لاالحب يـرقص فوقهـا متغنيـا

للنـاس بين جـداولٍ وزهـور

متوردَ الوجنات سكـران الخُطـا

يهتز مـن مـرح، وفَـرط حبور

متكللا بالورد، ينثـــر للـــورى

أَوراق ورد « اللـــــذة » المنضـــور

كلا، ولا الفن الجميل بظـــاهـر

في الـكون تحت غَمـــامـة من نور

متوشحا بالسحر، ينفخ نـايه المـ

شبوب بين خمائلٍ وغـــــديـر

أَويلمس العود المقدس و اصفـــا

للموت، للأَيـــام، للديجـــور

ما في الحياة من المسرة والأَســـى

والسحر واللذات والتـــغـــريـر

أَبـدا ولا أَلامـل المجنـح منشـدا

فيها بصوت الحالم، المحبـــــور

تلك الأَناشيدَ التي تهب الـــورى

عزمَ الشباب، وغبطة العـصـفـــور

ابو القاسم الشابي

7 ـ الخـــــــــريف

قد مات الصيف الجميل ليحيا الخريف الكئيب، وبين ذاك الموت وهذه الحياة قد وقف الزمن مشيرا بيمينه نحو غصن عرّته الارياح وقصفته العاصفة قائلا: هذا رمز أيامك،أيها الانسان، فتأمله جيدا: يقظة ففرح فحزن فنزاع فنوم عميق.

أهذا رمز حياتنا ؟ غصن نمّقه نيسان بالازهار، وكساه حَزِيران بالاوراق، وأثقله آبُ بالاثمار، ثم جاء تِشرينُ فعراه بأرياحه. ثم مرت العاصفة فقصفته بعزمها، والقته على الحضيض، لكي يَبلى على مهل تحت طبقات الثلوج. أهذا هو رمز حياتنا أيها الزمن ؟

أيبتلع الفضاء طهر الطفولية، ويمتص الاثير غبطة الشبيبة، ويغمر البحر قوة الكهولة ويُبيد الظلام حكمة الشيخوخة

قد مات الصيف فرحلت الطيور إلى الجنوب، وعرت الارياح

أَشجار الصفصاف والحَور والتوت والتفاح، ووشح الضباب الحقول والمروج والأَوديَة،ولوت العواصف أعناق الاعشاب والزهور،وغرّقت الامطار قامات الانصاب والرياحين،ولكن هناك هناكفي سفح الجبل، شجرة السرو،ذات الاخضرار الابدي،تهاجمها الريح بعنف فتَلويها، ولكنها لا تقصفها. ويحاول المطر خلع ثوبها فيبلله ولا يثلمه، ويغمرها الضباب ليخفيها عن النواظر، فيظل رأسها العالي مرفوعا نحو السماء وتجتمع حول جذعها أَوراق الاشجار لتكفّنها، فتبلى هناك، وتتحول إلى عناصر تغذيها. هذه هي الشجرة التي تخرج من بطن الارض ولا تعود إليه، هذه هي الكلمة التي يلفِظها الصيف فلا يستطيع الشتاء أَن يجعلها سكينة، هذه هي رمز حياتي أَيها الخريف، أَيها الزمن.

جبران خليل جبران

8 ـ كن جميلا ترى الوجود جميلا

أيها الشاكي وما بك داء ... كيف تغدو اذا غدوت عليلا
ان شر الجُناة في الأَرض نفس ... تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك في الورود وتَعمى ... ان ترى فوقها الندى إكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل ... من يظن الحياة عِبئا ثقيلا
والذي نفسه بغير جمال ... لا يرى في الوجود شيئا جميلا
ليس أَشقى ممن يرى العيش مرا ... ويظن اللذاتِ فيه فُضولا
أَحكم الناس في الحياة أناس ... عللوها فأحسنوا التعليلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه ... لاتخف أَن يزول حتى يزول
وإذا ما أَظل رأسَك هم ... قَصِّر البحث فيه كي لا يطولا
أَدركت كنهَها طيورِ الروابي ... فمن العار أَن تظل جَهولا
ما تراها والحقل ملك سواها ... تَخذت فيه مسرحا ومقيلا
تتغنى والصقر قد ملك الجو ... عليها والصائدون السبيلا

تتغنى وعـمرها بعض عـام ... أَفتبكى وقـد تعيش طويـلا
تتغنى وقـد رأت بعضها يـؤ ... خذ حيا والبعض يقضي قتيلا
فهي فوق الغصون في الفجر تتلو ... سور الوجد والهـوى ترتيـلا
وهي طورا على الثـرى واقعاتٌ ... تلقط الحب أو تـجر الذيولا
كلمـا أَمسك الغصـونَ نسيم ... صفّقت للغصون حتى تميـلا
فإذا ذهب الاصـل الـروابي ... وقفت فوقها تنـاجي الأَصيلا
فاطلب اللهو مثلما تطلب الأَ ... طيار عند الهجير ظـلا ظليلا
وتعلـم حب الطبيعة منهـا ... واترك القال للـورى والقيلا
فالذي يتقي العواذلَ يلقـى ... كلَّ حين في كل شخص عذولا

ايليا أَبو ماضي

9 ـ على طـريق العين

عَصرَ ذاتِ يوم من أَيام تَموز 1924 ذهبت لترويح النفس إلى عين الجَـوزة القائمة في النـاحية السفلى من قـرية شرتـون فـوصلت إليهـا قبـل المغيب وهناك بعد أن غسلت يدي ووجهي مرارا بمائه البارد العذب أخذت أتناول الماءبين كفي حفنة وأجرعه صِرفا زُلالا على عادة الآباء والأَجداد فشعرت بلذة خارقة لم أَشعر بمثلها على موائد أبناء التمدن إزاء أَقداح الجِعة والشمبانية.

عند تلك العين كنت أَجلس صغيرا. ومن ذلك الماء كنت أَجرع حتى صرت يافعا وعند ذلك الكوثر الجاري بين أتلام الخضر وأغراس التوت كنت ألهو والعب مع أَترابي الصغار أقضي الساعات الطويلة الهنئة بعيدا عن مشاغل الحياة وهمومها.

عند ذلك الينبوع الصافي كان الآباء والاجداد يلتئمون في أيام صغرهم وعنفوان شبابهم وطور هرمهم لقضاء حاجاتهم وري أَرضهم وسقي مواشيهم.

غابت شمس ذلك النهار في طيات الأَبدية وغاصت حرارتها في الأَرض ولم أزل جالسا إلى العين أتذكر الماضي البعيد عهدَ الآباء والأَجداد والماضي القريب المتعلق بطفولتي وطفولة أترابي.

وبينما أنا على تلك الحال شعرت بنسيم الغروب المنعش يهب على الاشجار فتتهادى أغصانها ويهفو على الازهار والاثمار فتتمايل وتتناثر . في تلك الساعة ابتدا الناس حسب عادتهم المألوفة يؤمون طريق العين كبارا وصغارا .

رأيت أحدهم يسقي أبقاره وهي بمثابة يمين الفلاح وشماله لأنها تؤدي خدمة جُلى للانسان بفلاحتها الارضَ و ألبانِها ولحومها وجلودها . ونظرت الاخر آخذا بزمام حماره وهو تارة يدق على أرغنه وطورا ينشد الاناشيد اللبنانية المطربة « كالعَتابا » و « البغدادي » وخلافهما . فأثر في غناؤه الشجي تأثيرا عظيما وأخذ بمجامع قلبي صوت أرغنه الحنون وحرك عواطفي من مكنُوناتها واثار شواعري من مخبآتها . في تلك الساعة شعرت بما لم أشعر بمثله في مسارح الغناء والموسيقى في أميركا وأوروبا رغما مما كنت أشاهد هناك من براعة في الفن واصول في اللحن وخلابة في الصوت ودقة في الابداع ورقة في الايقاع على الالات المطربة.

نعم لم أشعر بما شعرت لاني ألفت تلك الاناشيد من صغري وهي عندي بمثابة أنشودة الوطن وترنيمة الام لطفلها .

توفيق حسن الشرتوني

10 ـ تحية واشتياق

مصابي جليل والعزاء جميـــل ... وظنّي ان الله ســـوف يُديـــل
جراح تحاماها الأَساة مخافة ... وسُقمان بادٍ منهما ودخيـــل
وأَسر أَقاسيه وليـــل نجـــومـــه ... أَرى كلّ شيء غيرهن يزول
تطول به الساعات وهي قصيرة ... وفي كل دهر لا يسرّك طول !
تناسانيَ الاصحاب إلاّ عصابةً ... ستلحق بالأُخرى غدا وتحول!
ومن ذا الذي يبقى على العهد؟ إنهم ... وإن كثرت دعواهمُ لقليل !
أُقلّب طرفي لا أَرى غير صاحب ... يميل مع النّعماء حيث تميل !
وصرنا نرى أَن المُتارك َ محسن ... وأَن خليـــلا لا يضـــرّ وَصول
تصفّحت أَحوال الزمان فلم يكن ... إلى غير شاك في الزمان وُصول !
أكلّ خليل هكذا غير منصف ... وكلّ زمان بالكرام بخيل !
فيا حسرتي !ممن لي بخلّ موافق ... أَقول بشجوي تارة ويقول !
وإن وراء الستر أمّا بكـــاؤها ... عليّ وإن طال الزمان طويل !
فيا أمتا لا تَعدَمي الصبر ! إنه ... إلى الخير والنُّجح القريب رسول
ويا أمتا لا تخطىء الأَجر! إنه ... على قدر الصبر الجميل جزيل !

أَبو فراس

11 ـ ولـــــــــدي

دعني، يا صديقي، أرق على يديك هذه العبرات! رزقت ولدي على حال عابثة كاليأس، وكهولة بائسة كالهرم وحياة باردة كالموت، فأشرق في نفسي إشراق الامل، وأورق في عودي ايراق الربيع وولد في حياتي العقيمة معاني الجدة والاستمرار و الخلود.

كنت في طريق الحياة كالشارد الها م، أنشد الراحة ولا أجد لها الظل، وأكسب المال ولا أجد السعادة! كنت كالصوت الاصم لا يرجعه صدى، والمعنى المبهم لا يجدده خاطر، فلما وهب الله لي ولدا وجدتني أولد فيه من جديد، فانا أنظر إلى الدنيا بعين الخيال وابتسم إلى الوجود بثَغر الاطفال وأضطرب في الحياة اضطراب الحي الكامل، يدفعه من ورائه طمع، ويجذبه من أمامه طموح شعرت بالدم الحار يتدفق نشيطا في جسمي، وبالامل القوي ينبعث جديدا في نفسي وبالمرح الفتي يغمر حياتي، فأنا ألعب مع ولدي بلَعبه، وأتحدث اليه بلغته، وأتبع

عقلي هـواه فأدخـل معه دخـول البراءة في كل ملهى، وأطير به طيران الفَراشة في كل روض. ثم لـم يعد العمل الـذي أعمله جديرا بعزمي ولا الجهد الذي أبذله كِفاء لغليتي فضاعفت السعر وتجاهلت النّصب، وتناسيت المرض، وطلبت النجاح في كل وجه ذلك لأَن الصبي الذكي الجميل أطال حياتي بحياته فكان عمري يغوص في طوايا العدم قليلا ليمد عمره بالبقاء كما يغوص أصل الشجرة في الأَرض ليمد فروعها بالغذاء. انقضت السنون الاربع، فصَوَّحت الواحة، وانطفأت الومضة، وتبدد الحلم، واخفق الطب ومات ابنيَ فوالهفَ نفسي عليه يوم تسلل إليه الحِمام الراصد، وعبث الداء الوبيل بجسمه النضِر، كما تعبث الريح السَموم بالزهرة الغضة.

احمد حسن الزيات

(بتصرف)

12 ـ رثـــــــــاء

كأن الذي خفت أن يكونـــا ... إنا إلى الله راجعـــــــونـا
أمسى المرجى أبـو عـــلـيّ ... مُوَسّدا في الثـــرى يمينـــا
حين انتهى واستوى شبـــابا ... وحقق الرأي والظنونـــــا
أصبت فيـه وكـان عنـــدي ... عـلى المـصيبـــات أن يُعينَا
كنت عزيزا بك به كثيـــرا ... وكنت صبّابه ضَنـــينـــا
دافعت إلا المنون عـــنـــه ... والمرء لا يدفع المنونـــــا
آخـر عهـدي بـه صـريعـا ... للموت بالداء مستكينـــــا
إذا شكا غصة او كـــربـــا ... لاحظ أو راجع الانينـــــا
يُدير في رَجعه لســـانـــا ... يمنعه الموت ان يُبينـــــا
يشَخَص طورا بنا ظِـــريـه ... وتارة يطبق الجـــفـونـا
ثـم قضـى نحبـــه فـأمسى ... في جَدَث للثرى دفينـــا
بعيدَ دار قـــريب جـــار ... قد فارق الإلف والقـــرينا

بـــاشر برد الثرى بـــــوجه ... قد كان ن قبله مصونـــــا

بنّي يا واحد البنيـــــنـــا ... غادرْتنى مفردا حـزينـــا

هّون رزئى بك الرزايـــــا ... علّى فى الناس أجمعينـــا

آليت انســاك مــا تجـــلّى ... صبـحُ نهـــار لمصبحينـــا

وما دعا طـــائر هَديـــــلا ... ورجعت والـهٌ حنينـــــنا

تصّرف الدهر بى صـــــروفـا ... وعاد لي شأنه شؤونـــــا

وحزّ فى اللحم بل بـــــــراه ... واجتثّ من طلحتي فنونـــا

أَصاب منى صميم قلبـــــي ... وخفت أن يقطع الوَتينـــا

فالمرء رهن بحـــــالتـيه : ... فشدّةً مـــــرة ولينـــا

أَبو تمـــــام

13 ـ بكاء الطفل

سمعت الطفل يبكي ورأيت العبرات تتحدر على وجنتيه الورديتين، فكانت تلك الآلي الذائبة جمرات نار تكويني.

ظل الطفل يبكي ودلائل العجز واليأس بادية على محيّاهُ الوسيم. ظل يبكي بكاءَ متروكٍ منفرد لا يحبه في الدنيا أَحد.

الطفل الحبيب يبكي! فكيف أعيد التالق إلى عينيه؟ كيف أَسمع في ضحكته صدى أَصوات الملائكة؟

فدنوت منه متوسلة، وضممته إلي بذراعي التي لم تضم يوما أخا أو أختا صغيرة، وأجلسته على ركبتي حيث لا يجلس سوى أَطفال الغرباء، ورفعت عقارب شعره عن جبهته الطاهرة بيد ترتجف كانما هي تلمس شيئا مقدسا.

ثم وضعت على تلك الجبهة شفتي ساكبة في قبلة كل ما يحوم في جَناني من شفقة وانعطاف، ترى من ذا ينبه الانعطاف و الشفقة بمقدار ما يفعل الطفل الباكي؟ .

صمت الطفل حائرا لأَنه شعر بأَن روحا تناجي روحه. صمت هنيهة،ثم عاد فحدق فيّ بعينين ملؤهما الحزن والتعنيف معا.

أتعرفون كيف تحزن عيون الاطفال؟ أَتعلمون كيف تُعَنِف أَحداق الصبيان؟

حدق فيّ سائلا عن أَعز عزيز لديه ، وقال بصوت هادىء كأصوات الحكماء: ما ما، ماما .

صغيرك يناديك ، فلماذا لا تجيبين ، يا أم الصغير ؟ لست بالعليلة لأنّي رأيتك منذ حين تميسين بقدك تحت قبعتك، والجواهر تطوق العنق منك، أنت صحيحا الجسم، فلماذا لا تسرعين ؟ ألا تحرقك دموع الطفل الذي لا ترين ؟ ألا يوجعك الشهيق الذي لا تسمعين ؟

عودي من نزهاتك الطويلة وزياراتك العديدة وأحاديثك السخيفة، عودي واركعي أمام الصغير واستميحيه عفوا .

لقد خلقت إمرأة قبل أن تكوني حسناء، وكَيفَتك الطبيعة أما قبل أن يجعلك الاجتماع زائرة .

تعالي اسجدي أمام السرير، سرير الصغير ! .

اسجدي أمام هذا المهد الذي لَعِبتِ بين ستائره طفلة، وحلمت به فتاة، وانتظرته زوجه، فما خجلت أن تهمليه أُما . اسجدى أُمام المهد، فأن المهد محجتك القصوى.

اسجدي أمام السرير. ولا تَدَعى ربّ السرير يبكي لئلا تملأَ قلبَه مرارة الوحدة،حتى إذا شب رجلا تحولت المرارة كرها وصرامة .

اسجدي أمام السرير، وناغى الصغير . إن دموع الاطفال لأَشد ايلاما من دموع الرجال.

مي زيادة

(ظلمات واشعة)

14 ـ رثاء كليب

لما قتل كليب رجع المهلهل إلى الحي فوجد قومه يعقرون خيولهم . فلما أخبروه الخبر نهاهم عن عقر الخيول ورجع إلى النساء فنهاهن عن البكاء وقال : استبقين للبكاء عيونا تبكي إلى آخر الابد . وقال في رثاء أخيه :

أَهاجَ فَذاء عينِي الاذكارُ
هدوءا فالدموع لها انهمارُ
وصار اللّيل مشتملا علينا
كأَن اللّيل ليس له نهار
وبتّ أراقب الجوزاء حتى
تقارب من أَوائلها انحدار
أُصرّف مقلتي في أثر قوم
تباينت البلاد بهم فغاروا
وأَبكي والنجومُ مطلّعات
كأَن لم تحوِها عنّي البحار
على من لو نُعيت وكان حيّا
لقاد الخيل يحجبها الغبار
دعوتك يا كليب فلم تجبني
وكيف يجيبني البلد القفار

أَجبني يـا كليب خَـــلاَك ذمّ
لقـد فُجعت بفـارسهـا نِـــزار

أَجبني يـــا كليب، خـلاك ذمَّ
ضنينـــات النفوس لـهـا مـــزار

كأَنّي إذ نعى النّاعي كليبـــا
تـــطـايـــر بين جنبـــيّ الشّـــرار

سفا ك الغيث إنك كنت غيثـــا
ويسرا حيـــن يُلتمس اليســـار

أَبت عينـــاى بعدك أَن تكفّـا
كـــأَن غَضَـــا القتـــاد لهـــا شِـفار

خذ العهد الأَكيـــد عليّ عمري
بتـركي كـل ما حـوت الدّيـــار

وهجري الغانياتِ وشربَ كـــأس
ولبسي جبّـــةً لاتســـتـــعـــار

ولست بخالـــع درعي وسيفـــي
إلى أن يخلع اللّيلَ النّـــهـــارُ

وإلاّ أَن تَبيـــد سَـراَةُ بكـــر
فلا يبقى لها أَبـــدا أَثـــار

المهلهل

15 ـ رثاء جليلة لزوجها كليب

قالت جليلة بنت مرة ترثي زوجها كليبا حين قتله أخوها جساس :

يا ابنة الاقوام إن لمتِ فلا ... تعجلي باللوم حتى تسأَلي

فإذا أَنت تبيّنت الذي ... يجب اللوم فلومي واعذلي

إن تكن أخت امرىء ليمت على ... جَزَع منها عليه فافعلي

فعل جساس على ظنّي به ... قاطع ظهري ومدنٍ أجلي

لو بعين فديت عيني سوى ... أختها وانفقأت لم أحفل

تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الام قذى ما تفتلي

إنني قاتلة مقتولة ... فلعل الله أن يرتاح لي

يا قتيلا قوّض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عَل

ورماني فقده من كَثَب ... رَميةَ المُصمَى به المتأَصل

هَوَم البيت الذي استحدثتُه ... وسعى في هدم بيتي الاول

مسّني فقد كليب بلظًى ... من ورائي ولظى مستقبلي

ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي

دَرك الثائرِ شافيهِ وفي ... دركي ثاريَ ثُكل المثكل

ليته كان دمي فاحتلبوا ... دِررا منه دمي من أَكحلي

ابن شرف القيرواني

(عن « العمدة »)

16 ـ رثـاء الاندلس

دهى الجزيرةَ أمر لا عزاء لـــه ... هوى له أُحُد وانهد ثَهـــلان

أَصابها العينُ في الاسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أَقطار وبلدان

واسأل بَلَنسيةً ما شأن مُرسيـــةٍ ... وأين شاطبـةٌ أَم أَين جَـــــيّان

وأَين قُرطبةٌ دار العلوم فكـــم ... من عالم قد سما فيها له شأن

وأَين حِمصٌ وما تحويه من نُزَه ... ونهرها العـــذب فياض وملآن

تبكي الحَنيفية البيضاء من أَسف ... كما بكى الفـراق الإلف هَيْمان

على ديـــار من الاسلام خالية ... قد اقفرت ولـها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن الا نواقيسٌ وصُلبـــــان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان

يا غافلا وله في الدهر موعظـة ... إن كنت في سِنة فالدهر يقظان

يا ماشيا مرحا يلهيه موطنـــــه ... ابعد حِمص تغر المرء أوطـــان

يا راكبين عتاق الخيل ضامرةً ... كأنها في مجال السبق عُقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النَقع نيران

وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان

أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان

كم يستغيث صناديد الرجال وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

ماذا التقاطع في الاسلام بينكمُ ... وأنتم يا عباد الله إخوان

الا نفوس أبيّات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان

يا من لذلة قوم بعد عزهم ... أحال حالَهم جور وطغيان

بالامس كانوا ملوكا في منازلها ... واليوم هم في بلاد الكفر عبدان

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهم من ثياب الذل ألوان

ولو رأيت بكاهم عند بيعهم ... لهالك الامر واستهوتك أحزان

يارب أم وطفل حيل بينهما ... كما تفرّق أرواح وأبدان

وطفلةٍ مثل حسن الشمس إذ طلعت ... كأنما هي ياقوت ومَرجان

يقودها العلج عند السّبي مُكرمة ... والعين باكية والقلب حيران

لمثل هذا يكون يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

أبو البقاء الرندي

17 ـ أخـــــــي

أخي إن ضج بعد الحرب غربي بأعمالـــه
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانـــا
بل اركع صامتـــا مثلي بقلب خاشع دام
لنبكـي حظ موتـــانـــــا

أخي ان عاد بعد الحرب جندي لاوطانـــــه
وألقى جسمه المنهوك في أحضان خـــلانـــه
فلا تطلب إذا ما عدت للاوطان خـــلانـــــا
لان الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهـــــم
سـوى اشبـــاح موتـــانـــــا

أخي إن عاد يحرث أرضَه الفلاح أو يـــزرع
ويبني بعد طول الهجر كوخا هده المدفع

فقد جفت سواقينا وهد الذل مأوانـــــا
ولم يترك لنا الاعداء غرسا في أَراضينـــــا
سوى أَجياف موتانـــا

أَخي قد تم ما لو لم نشأه نحن ماتمّـــــا
وقد عم البلاء ولو أَردنا نحن مـــــا عمّا
فلا تَندُب فأذن الغير لا تصغى لشكوانـــــا
بل اتبعني لنحفر خندقا بالرفش والمِعولْ
نواري فيه موتـــــانا

أَخي من نحن ؟ لا وطنٌ ولا أَهل ولا جـارُ
إذا نمنا إذا قمنا ردانا الخزي والعـــــار
لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بموتانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقا آخر
نواري فيه أَحيانـــــا

ميخائيل نعيمة

للمطـــالعة :

طـــريق العودة

- 1 -

(فى زاوية منعزلة من زوايا الملجأ الرحيب كوخ حقير ليس فيه الا أم وفتاة مسلولة طالت بها ايام علتها ... وهى بقية أسرة كانت قوية غنية من فلسطين فقدت الوالد والشقيق ، والقريب والارض والبيت ، فهما الآن لاجئتان منسيتان)٠

(الوقت ليل)

سلوى ـ (بسعال أبح) أماه ! كان شبحا يطيف بأطراف الملجأ ٠ أماه انـى أراه ٠ انى اسمع خطاه

الام ـ كفى يا سلوى ! انك غريبة النفس هذه الليلة ، من أين تأتى الاشباح ، وقد تركناها فى ارض الدمـاء ؟

سلوى ـ اذن ما هذا الذى أرى ؟ الا تبرز الاشباح الا فى أرض الدم ؟

الأم ـ نامى ! لقد مرت على ليال دون أن أذوق النوم بجانبك ٠

سلوى ـ حقا ٠٠٠ لم يترك لى المرض سبيلا الى النوم والراحة ٠

الأم ـ هل تشكين شيئا الآن ؟

سلوى ـ هذا السعال الذى يجرح صدرى ٠ كان على رئتى شوكا مسنونا ٠

(سعال) الشمعة ! أضيئى المكان ! الظلام يروعنى ٠٠

الأم ـ (تضىء الشمعة) ماذا تجدين ؟

سلوى ـ الدم دائما على منديل ٠٠ قربى النور ! ما للشمعة ترتجف ؟ !

الأم ـ لا خوف عليك ٠٠٠

سلوى ـ لست بخائفة على نفسى ٠ ولكن انبئينى هل نعود ؟

الأم ـ سنعود ، لا بد أن نعود ٠٠

سلوى ـ أقريبا ؟

الأم ـ قد يكون موعدنا غدا ، أو بعد غد ، او بعده ٠

سلوى ـ ما أقرب ميعادنا ! ولكن كم طال هذا الميعاد ! الى متى ننتظر ؟ مع أية كتيبة نـدخـل ؟

الأم ـ لن يكون لنا مستقر فى أية أرض حتى نعود ٠ وهذه الخيام الهزيلة توحى الينا بأننا سنعود !

سلوى ـ أجل سنعود ٠ ربما نرى طريق العودة بأعيننا ٠

الأم ـ بـل نطأة بأرجلنا !

سلوى ـ ذلك الأمل وحده يدعونى الى التشبث بالحياة بينما أراها تهرب منى مسرعة هل يغلبنى الموت ؟

الأم ـ لن تموتي قبل أن تعودي ، وترى أرضك الهاربة ٠

سلوى ـ كل شيء يهرب مني حتى أنفاسي (سعال)

الأم ـ الدواء !

سلوى ـ لقد مللت الدواء (تشرب منه)

الأم ـ نامي قليلا ٠ ساطفيء الشمعة

سلوى ـ سأحاول ان أغمض عيني ٠ انني لا أرى شيئا (صمت بينما الأم تطفيء الشمعة تهب سلوى مذعورة)
الشبح نفسه ٠ شبح أخي مسربلا بسلاحه

الأم ـ آه ياسلوى ! ما اكثر هذيانك هذه الليلة ! كانك تريدين أن لا أنام ٠ فأي شبح هذا ؟ كيف يطرقنا شبح أخيك وهو لا يزال يقاتل ؟

سلوى ـ حقا انه لا يزال يقاتل ٠ هل تذكرين الليلة الأخيرة التي ودعنا فيها ؟ ثم لم نعد نراه ٠

الأم ـ وكيف انسى تلك الليلة الأخيرة التي لم ينقطع فيها الرصاص ؟

سلوى ـ لقد استطاع المجاهدون أن يردوا الاعداء على أعقابهم ٠

الأم ـ ولكنه لم يعد كما وعدنا ٠

سلوى ـ لا شك اننا لم نحسن ميعاد تلاقينا ٠ فهو على طريق ، ونحن رحلنا على طريق

الأم ـ شأن اللاجئين واللاجئات ، هل يمكننا أن نتلاقى ؟

سلوى ـ على منعطف طريق القرية شاهدناهم يرفعون جثة مشوهة ٠

الأم ـ اتلك التي بتر الاعداء اعضاءها ومثلوا بها ؟

سلوى ـ انهم لم يعرفوا صاحبها ، لكنه ، وحده ، رد جمعا منهم عن قرية ٠ انهم لم يقتلوه الا بعد نفاذ ذخيرته ٠

الأم ـ وحين رأوه وحده تكالبوا عليه

سلوى ـ كانوا يظنونه كتيبة تشغل مسالك الوادي ٠٠ لكنه كان وحده يتنقل من صخرة الى صخرة ليوهم الاعداء بالكثرة ٠ ياللخيبة الامل ! انهم كانوا أمام رجل واحد ٠

الأم ـ لذلك شوهوه ، وقطعوه تشفيا ٠

سلوى ـ ومع ذلك ، لم يعرفه حتى رفاقه

الأم ـ كثيرون من الابطال ماتوا دون أن يعرفوا !

سلوى ـ لقد توسمت وجهه ، ليس فيه ما يدل على أن له وجها ٠

الأم ـ وأخيرا لفوه بثوبه ليدفنوه ٠

سلوى ـ في تلك اللحظة وقعت عيني على مزقة من قميصه المخطط ٠٠ انه أخي (مجهشة بالبكاء)

الأم ـ عرفته اذن مثلي ! اتظنين انى لم أعرفه حين شاهدته ؟ ان رائحته كانت تملا المكان ، ولكنى خشيت عليك الصدمة ٠

سلوى ـ كما خشيتها انا عليك (باكية)

الأم ـ انه لا يطرقك وحده ٠ يقول رفاقه عنه انهم دفنوه ، ولكنهم لا يعتقدون بأنه ميت ٠ لا يزال طائفة حيا على الربوة ٠ والاعداء لا يستطيعون العبور منفردين بدون سلاح ٠ انه حي دائما يحسبون ان سينقض عليهم كل لحظة ٠

سلوى ـ بل ان شبحه يطوف فى كل مكان ، كما أراه عن يمينى ٠٠ عن شمالى حيثما التفت كانى على ميعاد ٠

الأم ـ هذا الشبح يطيف بكل بيت ، ويهيب بكل عربى ٠٠٠ انه شبح العودة

سلوى ـ أماه ! انه هناك يرمقنى !

الأم ـ هو الفجر ٠٠ لن يعود الشبح بعد الفجر ٠٠ نامى اذن ! عند الفجر تنام الاشباح وتطمئن فى مراقدها ٠

ـ 2 ـ

مرت أيام عليهما وحالة الفتاة لا تزداد الا سوءا ، فباتت لا ياتيها النوم فى الليل والنهار ٠ أما الأم فقد أخذها اشفاق غريب على ابنتها يوحى اليها بأن تضع حدا لهذه الحياة المتألمة ٠ ففى صباح يوم ، وقد استغرقت الفتاة فى نوم عميق ٠

الأم ـ أف لهذه الشمس التى لا نجد ستارة تمنعها ٠ لقد هتكت الاستار والستائر ٠ انها لا تزال نائمة ٠٠٠

(قرع الباب) ٠ لعله طبيب الملجأ ! هذا يومه ٠٠ من ؟

الطبيب ـ كيف حال سلوى ؟ هل تنام نوما مطمئنا ؟

الأم ـ انها لا تنام الا بعد أن يعجزها النوم ٠ لقد نفثت الليلة دما نقيا ٠

الطبيب ـ لعلها نائمة

الأم ـ كما تراها ٠ حمرة متوهجة فى خديها ٠ وشحوب فى بقية أعضائها وذبحة فى صدرها ٠

الطبيب ـ الدواء ٠٠٠ هل تثابر عليه ؟

الأم ـ دون أن يغير لها حالا ٠ لعلنا نخدعها ونخدع أنفسنا ونزيد فى تعذيبها ٠ والآن ، هل هناك أمل فى شفائها ؟ بربك اصدقنى ؟ انها لا تسمع ٠

الطبيب ـ ان من حقى كانسان ان أقول : لا ٠٠٠ وكطبيب : لننتظر !

الأم ـ ما أصدقك كانسان ! (يذهب الطبيب)

ويح نفسى ! الى متى اتركها تنتظر؟ لأى أمل تحيا؟ انها تتعذب لقد عرفت مصرع أخيها كما عرفت مصرع أبيها من قبل ٠٠ لم يبق لها جذور حية فى الدنيا ٠ هى توهمنى وأنا أوهمها فيا للبطولة الجريح ! انها تحيا لانها تريد العودة الى أرض الميعاد، الى تلك السهول الحالمة، الى وطنها المغصوب ٠ والآن لماذا تريد الحياة ؟ ان حياتها أن تموت ٠ الا يحق لى أن اخفف عنها بتعجيل الموت لها ؟

سلوى ـ أماه ! ياللحلم الجميل ! لماذا ايقظنى صوتك ؟ لاول مرة يسالمنى الشبح المخيف رأيته على الربوة نفسها بسلاحه نفسه يفتح لى الطريق ·· طريق العـودة ، وهو يبتسم · لقد رأيت مرابعنا الخضر ·· سهولنا الحالمة مخضبة بالدماء ·· (سعـال متقطع)

الأم ـ اشربى الدواء قبل اشتداد السعال ·

سلوى ـ صدرى يكاد يتمزق ·· وا أسفا ! ان صدرى هو الذى يتخضب دما الدواء ! (تشرب منه) ان له اليوم طعما غريبا انه يلهب فمى ·· حلقى جوفى ··

الأم ـ لكنه دواء جديد اعده الطبيب لك

سلوى ـ هل يضمن الحياة ؟

الأم ـ اشربى ! اشربيه كله !

سلوى ـ سأشربه ، لاننى أريد ان أحيا ، أريد أن أعود ثانية

الأم ـ القطرة الاخيرة أيضا !

سلوى ـ كانها آلامى كلها سكنت · أى عـلاج سحرى هذا ؟ لكن عينى تتثاقلان ما للنور يمشى عليهما باهتا ! كأن ما حولى أشباح ترقص · أهذه علامة الحياة ؟ أمسيت لا أرى الا طريق العودة ، أراه كما حلمت به الليلة وذلك الشبح يناديني ضاحكا ·· سأتبعه الى تلك الارض ·· اين أنت يا أمـاه ؟ تعـالى معى ! ليتك تنظرين الآن ما أنظر ! مرابع فلسطين الخضراء ··· سهولنا الحالمة وأمواجها الزرقاء والمقاتلة الذين عادوا الى الحياة ··· اننى وصلت : وصلت الى ارضنا !

(تموت الفتاة والام فى نشيج وبكاء)

الأم ـ رباه ! ماذا جنيت عليها ؟ اعطيتها السم بيدى هل ماتت حقا ؟ ماذا صنعت ؟ لماذا لم اتركها بجانبى حتى تعود كما أعود ؟ لكنها عادت قبلى · يا للعين التى لا تزال تلمع ! ماتت سلوى ·· تم تمت ·· لكنها عادت حية · سلوى ! سلوى ! (تخرج هائمة على وجهها وهى تردد اسم ابنتها)

من اهل الملجأ : لعل ابنتها الجميلة ماتت ·

: ان عليها ظواهر الجنون

: لا لوم عليها · لقد فقدت اعز شىء فى الحياة

: انها لا تقف ، فالى أين تعدو ؟

: لعلها مجنونة ··

: أليس الجنون أحيانا خيرا من العقل ؟

: أمسكوا عليها طريقها ! الى أين ؟ الى أين ؟

الأم ـ ويح لكم ! الملجأ كله يتحرك ، يريد العودة · الى متى تظلون ضيوف الملاجىء ؟ سأعود وحدى ان لم تعودوا انتم · لقد عادت سلوى · لا بد لى من العودة وان لم أصل · ان من يريد طريق العودة فليتبعنى !

خليل الهنداوى

1 ـ الخلـــــق

أَتدري ما هو الخلق عندي ؟ هو شعور المرء بأنه مسؤول أَمام ضميره عمّا يجب أَن يفعل. لذلك لا أسمّي الكريم كريما حتي تستوي عنده صدقة السر وصدقة العلانية ولا الرحيمَ رحيما حتى يبكي قلبه قبل أَن تبكى عيناه ولا العفيفَ عفيفا حتى يعفّ في حالة الأَمن كما يعفُّ في حالة الخوف ولا العادلَ عادلا حتى يقضي على نفسه قضاءَه على غيره ولا الصادقَ صادقا حتى يصدق في أَفعاله صدقه في أَقواله ولا المتواضعَ متواضعا حتى يكون رأيه في نفسه أَقلَّ من رأي الناس فيه.

الخلق هو الدمعة التي تترقرق في عين الرحيم كلما وقعت على منظر من مناظر البؤس أَومشهد من مشاهد الشقاء. هو العرق الذي يتصبّب من جبين الحَيِيِّ خجلا من السائل المحتاج الذي لا يستطيع ردّه ولا يستطيع معونته. هو القلق الذي يساور نفس الكريم في جناح الليل ويحول بين حتفه والكرى ندما على هفوة زلّت بها قدمه أَو سقطةٍ جرت بها احكـام القضاء هو اللّجلجة التي

تعثري لسان الصادق حينما تحدثه نفسه بأكذوبة تدفعه إليها ضرورة من ضرورات الحياة . هو الشرر الذي يتطاير من عين الوفي حينا يراد منه الغدر بعهد قد أخذه على نفسه أو انحنث بيمين قد أقسمها بين يدي ربّه

هو الصّرخة التي يصرخها الشجاع في وجه من يجترىء على إهانة وطنه أو العبث بكرامة قومه .

إن الخلق هو أداء الواجب لذاته بقطع النظر عما يترتب عليه من النتائج . فمن أراد أن يعلّم الناس مكارم الاخلاق فليحي ضمائرهم وليبث في نفوسهم شعور الرغبة في الفضيلة والنفور من الرذيلة بأية وسيلة شاء ومن أيّ طريق أراد.

فليست الاخلاق محفوظات تُحشى بها الاذهان بل ملكات تصدر عنها آثارها عفوا بلا تكلّف صدور الاشعة عن الكوكب والأريج عن الزهر

المنفلوطي

2 ـ أعظم الناس في عيني

إني مُخبرك عن صاحب كان أعظم الناس في عيني وكان رأس ما أعظَمه عندي صغرَ الدنيا في عينيه : كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يُكثر إذا وجد وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة وكان أكثر دهره صامتا فإذا قال بذّ القائلين كان يُرى مُتضعّفا مستضعَفا فإذا جاء الجد فهو كالليّث عاديا وكان لايدخل في دعوى ولا يشرك في مِراء ولا يُدلي بحجة حتى يجد قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لايلوم أحدا على ما قد يكون العذر في مثله حتّى يعلم ما اعتذراه وكان لا يشكو وَجَعا إلا إلى من يرجو عنده البرء ولا يصحب إلا من يرجو عنده النصيحة لهما جميعا وكان لا يتبرم ولا يتسخّط ولا يتشهى ولا يتشكىّ ولا ينتقم من الولي ولا يغفل عن العدوّ ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بحيلته وقوته فعليك بهذه الأخلاق إن أطلقت ولن تضيق ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق

ابن المقفع

3 ـ تـــــــــرفع

أَقيموا بني امي صدور مَطيكـــم ... فأني إلى قوم سواكم لأَميلُ
فقد حمت الحاجات والليل مقمر ... وشُدت لطِيات مطايـــا وأَرحُل
وفي الارض منأى للكريم عن الاذى ... وفيها لمن خاف القِلى متعزَل
لعمرك ما بالارض ضيق على امرىء ... سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
ولي دونكم أهلون: سِيد عَمَلَّس ... وارقط زهلول وعرفاء جَيأل
هُمُ الاهل لا مستودَع السرذائع ... لديهم ولا الجاني بماجر يُخذل
وكلٌ ابي باسل غيـــــر اننـــي ... إذا عَرضَت أولى الطرائد أبسل
وإن مُدت الايدي إلى الزادلم أكن ... بأعجلهم اذ أَجْشَع القوم أَعجل
وما ذاك الابَسطة عن تفضـــل ... عليهم وكـــــان الافضل المتفضلَ
واني كفاني فقدَ من ليس جازيا ... بحسنى ولا في قربه متعلـــــل
ثلاثةُ اصحـــاب: فؤاد مُشيَّـــع ... وأَبيض أصليت وصفراء عيطل
أُديم مِطال الجوع حتى أَميتـه ... وأضرب عنه الذكر صفحا فاذهَل
واستف تُرب الارض كي لا يرى له ... علي من الطَول امـــرؤ متطـــول
ولولا اجتناب الذام لم يُلفَ مشرب ... يعاش بـــه إلا لدىَّ ومـــأكل
ولكنَّ نفسا مرة لا تقيم بي ... على الضَّيم الا ريثمـــا أَتحـــول

الشنفرى

4 ـ وفـــــاء العـــــرب

كان النعمان بن المنذر قد جعل له يومين : يومَ بؤس، من صادفه فيه قتله وأرداه. ويومَ نعيم من لقيه فيه أحسن إليه واغناه وكان الطائّي قد رما حادث دهر بسهام فاقته وفقره، فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئا لصبيته وصغاره. فبينما هو كذلك إذ صادفه النعمان في يوم بؤسه فلما رآه الطائّي علم أنّه مقتول . وأن دمه مطلول. فقال حيا الله الملك، ان لي صبية صغارا .وأهلاجياعا وقد أَرقتُ ماء وجهي في حصول شيءمن البُلغة لهم وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس .وقد قـربت من مقـر الصبيـة والاهـل وهـم على شَفا تَلَفٍ من الطَوى، ولن يتفاوت الحال في قتلي بين اول النهار وآخره، فان رآى الملك أن أوصل إليهم هذا القوت، وأوصى بهم أَهل المروءة من الحّي لئلا يهلكوا ضياعا، ثم أَعود إلى الملك واسلـم نفسي لنفاذ أَمره.

فلما سمع النعمان صورة مقالهوفهم حقيقة حاله، ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رقّ له ورثى لحاله غير انه قال لـه: «لاآذَن لك حتى يضمنك رجل معنافإن لم ترجع قتلنـاه « وكـان شريك بن عدّي بن شُرَ حبِيل نديمُ النعمان معه. فالتفت الطائّي الى شريك

وطلب منه أن يضمنه .فقال شريك ابن عدّي :« أصلح الله الملك عليّ ضمانه » فمر الطائّي مسرعا .وصار النعمان يقول لشريك : « ان صدر النهار قد ولّى ولم يرجع» وشريك يقول :« ليس للملك على سبيل حتي يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك : « قم جاء وقتك قم فتأهب للقتل » فقال شريك : « هـذا شخص قـدلاح مقبلا . وأرجو ان يكون الطائيّ فان لم يكن فامر الملك ممتثل » .

وبينما هم كذلك، وإذا الطائّي قد اشتدّ عَدْوه في سيره مسرعا حتى وصل فقال : « خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي » ثم وقف قائما وقال «أيها الملك مُر بأمرك» فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال : والله ما رأيت أعجب منكما . أما أنت يا طائّي فما تركت لأحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به . وأما أنت يا شريك ؛ فما تركت لكريم سماحة يُذكر بها في الكرماء . فلا أكون ألأم الثلاثة . ألا واني رفعت يوم بؤسي عن الناس، ونَقَضت عادتي كرامة لوفاء الطائي ، وكرم شريك » فقال الطائي :

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي فعددت قولَهـم من الإضـلال
إني امرؤ مني الـــوفاء سجية وفعال كـــــل مهذب مفضال

فقال النعمان : « ما حملك على الوفاء وفيه إتلافُ نفسك ؟ « فقال : « ديني . فمن لا وفاء له لا دين له » فأحسن إليه النعمان . ووصله بما أغناه وأعاده مُكرّما إلى أهله . وأناله ما تمناه .

المستطرف : الابشيهي
(بتصرف)

5 ـ وفـــاء السمـــوءل

كن كالسموءل ، إذ طاف الهمام به ... في جحفل كهزيع الليل جرّار
بالابلق الفرد من تيماء منزله ، ... حصن حصين، وجار غير غدار
اذ سامه خطتي خسف فقال له : ... « قل ما تشاء، فإني سامع حار »
فقال : « ثكل وغدر أنت بينهما ... فاختر « وما فيها حظ لمختار
فشكّ غير طويل . ثم قال له ... « أقتل أسيرك إني مانع جاري
إن له خلفا، إن كنت قاتله، ... وإن قتلت كريما غير عوار
مالا كثيرا، وعرضا غير ذي دنس، ... واخوة مثله ليسوا بأشرار
جروا على أدب مني، بلا نزق ... ولا إذا شمرت حرب بأغمار
وسوف يعقبنيه ، إن ظفرت به ... رب كريم، وبيض ذات أطهار
لا سرهن لدينا ضائع مذق ، ... وكاتمات إذا استودع أسراري»
فقال تقدمة ـ اذ قام يقتله : ... «أشرف، سموءل، فانظر للدم الجاري
أ أقتل ابنك صبرا، أوتجيء بها ... طوعا ؟ « فأنكر هذا أي انكار
فشك أوداجه، والصدر في مضض ... عليه منطويا كالذرع بالنار
واختار أدراعه أن لا يسب بها ... ولم يكن عهده فيها بختار
وقال: «لا أشتري عارا بمكرمة» ... فأختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديما شيمة خلق ، ... وزنده في الوفاء الثاقب الوارى

الاعشى الاكبر

6 ـ كـــرم حـــاتم

روت نوار زوجة حاتم الطائي قالت :

أَصابتنا سَـنَة اقشعرت لها الأَرض ، وا غبرّت الآفاق وضنت المراضع عن أَولادها ،فما تَبِض بقطرة، وراحت الابل حُدُبا حدابير، وأَيقّنا بالهلاك .

فوالله إنا لفي ليلة صِنَّبر ، بعيدة مابين الطرفين، إذ تضاغى صبيتنا من الجوع :عبدالله وعدّي، وسَفَّانة، فقام حاتم إلى الصبيّين وقمت إلى الصّبية فوالله ما سكتوا الاّ بعد هَدْأَة من الليل. وأَقبل يعللني بالحديث، فعلمت الذي يريد فتناومت .

لمّا تَغَوّرت النجوم اذا شيء قد رفع كِسرَ البيت ثم عاد فقال : من هذا فقالت جارتك فلانة، أَتتك من عند صبية يَتعاوَون عَواء الذئاب من الجوع، فما وجدتُ مَعوَّلا إلاّ عليك يا أَبا عدي" فقال : « أَعجليهم، فقد أَشبعك الله وإياهم » .

وأَقبلت المرأَة تحمل اثنين ويمشي جنبتيها أَربعة كأَنها نعامة حولها رِئَالُها. فقام إلى فرسه فَوَجَأَ لَبّته بمدية فخرّثمّ كَشَطَه عن جَلده ودفع المدية الى المرأَة ، فقال : « شأنك الآن » فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل ثم قال : « سوأة لكم ، تأكلون دون القوم » ،ثم أَقبل ياتيهم بيتا بيتا، فيقول:هبّوا أَيّها القوم، عليكم بالنّار » ثم التفع ناحيةً بكسائه ينظر إلينا، ولا والله ما ذاق منه مَضغة، وإنه لأَحوج إليه منّا.

فأَصبحنا وما على الارض من الفرس الاّ عَظْم وحافر. فأَنشأَ حاتم يقول :

مهلا نوارُ اقلِيّ اللـوم والعـــذَلا
ولا تقولـــي لشيء فـــات مـا فـعلا

ولا تقولـي لمال كنتُ مهلكَـــة
مهلا وإن كنت أَعطي البحر والجـــبلا

يرى البخيلُ سبيل المـــال واحدةً
إن الجـــواد يـرى فى مـــاله سُبُلا

ابن عبد ربّه

7 ـ غـاية الكـرم

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلبا شديدا ، وجعل فيه مالا، فحدثني معن بن زائدة باليَمن أَنّه اضطرّ لشدّة الطلب، إلى أن أقام في الشمس حتى لَوَّحت وجهه، وخفَّف عارضيه ولحيته، ولبس جبّة صوف غليظة، وركب جملا من الجمال النقّالة ليمضي إلى البادية ليقيم بها. وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بلاء حسنا غاظ المنصورِ وجد في طلبه .

قال معن : فلما خرجت من باب حرب تبّعني أَسودُ متقلّدا سيفا، حتّى إذا غبت عن الحرس، قبض على خِطام جملي فأَناخه وقبض عليّ . فقلت له مالك ؟ قال : أنت طَلِبة أَمير المؤمنين . قلت : ومن أَنا حتى يطلبني أَمير المؤمنين ! قال : معن بن زائدة فقلت : يا هذا، أتّق الله ! وأين أَنا من معن ! قال : دع هذا عنك، فأنا والله أعرف به منك. فقلت له : فإن كانت القصّة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معي يفي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي، فخذه ولا تسفك دمي . قال : هاته فأخرجته اليه، فنظر إليه ساعة وقال : صدقت في قيمته ، ولست

قابلَــه حتّى أَسأَلك عــن شيء ، فــإن صــدقتني أَطلقتك . فقلت : قل. قال : إن الناس قد وصفوك بالجود، فاخبرني، هل وهبتَ قـطّ مالــك كلّــه ؟ قلت : لا. قــال : فنصفَــه ؟ قلت لا. قال : فثلثه ؟ قلت : لا. حتّى بلغ العشر. فاستحييت فقلت : أَظنّ أَنّي قد فعلت هذا. فقال : ما أَرا ك فعلته . أَنا، والله، راجل، ورزقي من أَبي جعفر عشرون درهما. وهذا الجوهرقيمته آلاف دنانير .وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس . ولتعلم أن في الدنيا أجود منك، فلا تعجبك نفسك، ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مَكْرمة .

ثم رمى بالعِقد في حجري ، وخلّى خِطام البعير وانصرف. فقلت : ياهذا قد، والله فضحتني . ولَسَفلُك دمي أَهون عليّ مما فعلت فخذ ما دفعته إليك فإني غنّي عنه . فضحك، ثم قال : أَردت أَن تكذّبني في مقامي هذا. والله لا آخذه، ولا آخذ بمعروف ثمنًا أَبدا. ومضى .

فوالله ، لقد طلبته ، بعد أَن أَمِنت، وبذلت لمن جاءني به ما شاء، فما عرفت له خبرا، وكأن الارض ابتلعه.

أَبو الفرج الاصفهاني

(كتاب الاغاني)

8 ـ لا تعتذر بالعدم

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطن مُرمل ... ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما
أَخي جفوة فيه من الانس وحشة ... يرى البؤس فيها من شراسته نُعما
تفرّد في شِعب عجوزا إزاءَها ... ثلاثةُ أَشباح تخالهمُ بَهْما
حفاة عراة ما آغتذوا خبز مَلّة ... ولا عرفُوا للبُر مذ خلقوا طعما
رأَى شبحا وسْط الظلام فراعه ... فلمّا بدا ضيفا تصوّرواهتمّا
فقال ابنه لما رآه بحيرة: ... أَيا أبتي اذبحني ويسّر له طُعما
ولا تعتذر بالعُدم علّ الّذي طرا ... يظن لنا ما لا فيوسعَنا ذما
فروّى قليلا ثم أَحجم برهة ... وإن هو لم يذبح فتاه فقدهمّا
وقال هيّا رباه ضيف ولا قرى ... بحقّك لاترحمه تالليلة اللحما
فبيناهم عنّت على البعد عانةٌ ... قدانتظمت من خلف مسحلها نظما
ظِماءً تريد الماء فانساب نحوها ... الا أنه منها إلى دمها اظما
فأمهلها حتى تروت عِطاشُها ... فأرسل فيها من كنانته سهما
فخرّت نحوص ذات جَحش فَتية ... قداكتنزت لحماوقدطبّقت شحما
فيا بِشره إذ جرّها نحو أَهله ... ويابشرهم لما رأوا كَلمها يدمى
فباتوا كراما قد قضواحق ضيفهم ... فلم يغرموا غُرما وقدغنموا غُنما
وبات أَبوهم من بشاشته أَبا ... لضيفهمُ والام من بشرها أَمّا

الحطيئة

9 ـ ارحموا عزيزا ذل

وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طيء فريقا من جنده يقدُمهم عليّ عليه السلام ففزع عدّي بن حاتمَ الطّائّي ـ وكان من أَشدّ النّاس عداء لرسول الله ـ إلى الشام فَصَبَّح عليّ القوم واستاق خيلهم ونَعَمهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول الله فلمّا عرض عليه الأَسرى نهضت من بين القوم سَفّانةُ بنت حاتم فقالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تخلّي عنيّ ولا تشمتَ بي أَحياء العرب فإنّ أَبي كان سيّد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الذّمار ويفرّج عن المكروب ويطعم الطّعام ويفشي السّلام ويحمل الكَلّ ويعين على نوائب الدهر وما أَتاه أَحد في حاجة فردّه خائبا أَنا بنت حاتم الطّائي.

فقال النّبي صلّى الله عليه وسلّم : ياجارية هذه صفات المؤمنين حقًّا لو كان أَبوك مسلما لترحّمنا عليه. خَلوا عنها فان أباها كان يحبّ مكارم الاخلاق ثم قال: ارحموا عزيزا ذلّ وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهّال وامتنّ عليها بقومها فأطلقهم تكريما لها .

فاستأذنته في الدعاء له فأذن لها وقال لأَصحابه اسمعوا وعوا فقالت : أَصاب الله ببرّك مواقِعَه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا جعلك سببا في ردّها عليه .

10 ـ مـــــــروءة

حكي أنّه لمّا أفضت الخلافة إلى بني العبّاس اختفت منهم جميع رجال بني أمية وكان منهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك.

وكان ابراهيم هذا رجلا عالما كاملا أديبا، وهو مع ذلك في سنّ الشبيبة. فأخذوا له أمانا من السفّاح فأعطاه أبو العباس أمانا وأكرمه وقال له : « الزَم مجلسي » فذات يوم قال له أبو العبّاس السفّاح : « يا ابراهيم حدّثني عمّا مرّ بك في استخفائك عن العدوّ. فقال له : « سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين ـ كنت مختفيا في الحِيرة بمنزل في شارع على الصّحراء. فبينما كنت يوما على ظهر ذلك البيت بَصُرت بأعلام سود قدخرجت من الكوفة تريد الحيرة. فتخيلت أنها تريدني ، فخرجت مسرعا من الدار متنكّرا حتّى أتيت الكوفة وأنا لا أعرف أحدا أختفي عنده، فبقيت في حيرة. فنظرت وإذا أنا بباب كبير واسع الرّحبة فدخلت فيه فرأيت رجلا وسيما حسن الهيئة مقبلا على الرّحبة ومعه أتباعه، فنزل عن فرسه والتفت فرآني وقال لي : « من أنت وما حاجتك ؟ » فقلت : « رجل خائف على دمه وجاء يستجير في منزلك. » فأدخلني منزله، وكنت عنده في كلّ ما أحبّه من طعام وشراب ولباس، وهو لايسألني عن شيء من حالي.

إلا أنّه كان يركب في كلّ يوم من الفجر ويمضي ولا يرجع إلاّ قرب الظهر. فقلت له يوما : « أَرا ك تُدمن الركوب في كل يوم ففيم ذلك؟ » قال لي : « إن ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك كان قد قتل أَبي ظلما وقد بلغني أَنه مختف في الحيرة فأنا أَطلبه يوما لعلّي أَجده وأدرك منه ثأري. »

فلّما سمعت ذلك يا أَمير المؤمنين، كثر تعجبي وقلت في نفسي إن القدر ساقني إلى حتفي في منزل من يطلب دمي. فوالله، يا أَمير المؤمنين، إني كرهت الحياة. ثم إني سأَلت الرجل عن اسم أَبيه فأخبرني فعلمت أَن كلامه حق وأَنّي أَنا الذي قتلت أَباه. فقلت له : « يا هذا إنه وجب علّي حقك. ولمعروفك لي يلزمني أَن أَدلّك على خصمك الذي قتل أَباك، وأقرّبَ الخُطوة، »فقال: « ومن ذاك ؟ » فقلت له : « أَنا ابراهيم بن سليمان وأَنا قاتل أَبيك فخذ بثأرك ! » فتبسّم مني وقال: « هل أَضجرك الاختفاء والبعد عن منزلك وأَهلك فأَحببت الموت ؟ » فقلت : « لا ولكن أَقول لك الحق. وإني قتلته في يوم كذا من أَجل كذا. » « فلمّا سمع الرجل كلامي وعلم صدقي تغيّر لونه واحمرت عيناه ثّم فكر طويلا والتفت إليّ وقال : « أَما أَنت فسوف تلقى أَبي عند حاكم عادل فيأخذ بثأره منك. وأَما أَنا فلا أَخفُر ذمتي ولكني أريد أَن تخرج عني فإني لست آمَن عليك من نفسي. » ثم إنه أعطاني ألف دينار فأبيت أَخذها وانصرفت عنه.

الاتليدى

11 ـ الصبـــــــــر

الصبر خلُق من أمهات الاخلاق، بل مِساك كل خلق. الصبر ملكة في النفس، يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله، والرضى بما يُكره، في سبيل الحق. وهوخلق يتعلق به، بل يتوقف عليه كمال كل خلق، وما اتي الناس من شيء مثل ما أُتوا من فقد الصّبر أَو ضعفه. كلّ امّةّ ضعف الصبر في نفوس أَفرادها، ضعف فيها كل شيء وذهبت منها كل قوة.

لنضرب لذلك مثلا نقص العلم عن أمّة من الأَمم، كأُمّتنا اليوم، إذا دققت النّظر، وجدت السّبب فيه ضعف الصّبر. فإنّ من طرق بابا من أَبواب العلم،لا يجد من نفسه صبرا على التّوسّع فيه، والتّعب في تحقيق مسائله. وينام على فراش من التقليد هيّن ليّن لا يكلّفه مشقّة، ويسلّي نفسه عن كسله بتعظيم من سبقه. ولو كان عنده احترام حقيقي لسلفه، لاتخذهم أُسوة له في عمله، وكَلَّف نفسه بعض ما حَمّلوا أَنفسَهم عليه، واعتقد كما

كانوا يعتقدون أنّهم ليسوا بمعصومين. ثم هو، إذا تعلّم، لا يجد صبرا على مشقة دعوة النّاس إلى علم ما يعلم، ولا جَلَدا على تحصيل الوسائل لنشر ما عنده. بل متى لاقى أوّل معارضة، قبع في بيته وترك الخلق للخالق، كما يقولون.

يجلس الطالب للدّرس سنة أو سنتين، ثم تعترضه مشقة التّحصيل، فيترك الدّرس، أو يتساهل في فهمه، أو يكل والده من الانفاق عليه، فيصرفه إلى حرفة أخرى يظنها أربح له، فينقطع عن الطلب، ويذهب في الجهل كل مذهب، وكل هذا من ضعف الصبر.

محمّد عبده

12 ـ البخيـــــــل

كان في من أَعرف من الناس، رجل لا يعرف النّاس أَبخلَ منـــه. كان هذا الرّجل، إذا اشتهت نفسه الشّيء، ممّا تشتهيه الأَنفس من طيبات المأكل والملبس ، أَخرج القرش من كيسه. فنظر إليه نظرة العاشق، المدنف إلى معشوقه ثم ردّه إلى الكيس وقَال : « هذا القرش، لو أضيف اليه تسعة وتسعون مثله،لصار جنيها ، والجنيه بعد الجنيه ، يجلب الثروة العريضة ويجمع المال الحير،وهبني تهاونت بأنفاقه اليوم وسمحت نفسي به، فلا آمن أن تسخو بغيره غدا فإنّما القروش كلها واحدة في القيمة ، وليس قرش بأَغلى من قرش، والشهوات حاضرة في كل وقت، فكأَنَني اليوم بانفاقي هذا القرش أَنفقت جميع ما سوف أَملكه وأَدخره من المال . وفتحت على نفسي باب الفاقة الدائمة والعَرَى المستمر، مطاوَعةُ الشهوة حمقاء ، ان أَنا وقَمَتُها الان ماتت واسترحت منها، وان آتيتها بما تدعوني إليه كل ساعة، كنت كمن يرمي

الوَقود في النّار ليخمدها، وكنت كمن يشتهي الفقر ويتمنّى الإعدام، وتلك والله الحماقة بعينها.

وكان إذا تّم عنده الجنيه على هذه الكيفيّة، أسقطه في صندوق ثقب له ثقبا في غطائه، ولم يجعل له مفتاحا، لئلا يتعوّد الفتح والاقفال، ويجرَأ على ذلك الذخر بالكشف والابتذال، وخوفا من أن تراوده نفسه، لفرط شغفه بالذّهب، على مس جنيه من تلك الجنيهات، فيجرَ المسّ إلى التحريك، ويجرّ التّحريك الى الأَخذ فالاخراج، وهناك الطامّة العظمى والدّاهية الشؤمى.

فإذا سقط الجنيه في ذلك الصندوق، كانت تلك السقطة آخر عهده بالهواء والنّور، وآخر عهده بالهبات والبيوع، وآخر عهده بالأَنامل والكفوف، وهوى من ذلك الصندوق في منجم كالمنجم الذي كان فيه، وشتّان المهد واللحد! ومات موتة لا تنشره منها الاّ يد الوارث إن شاء الله! وقد فعل!

عباس محمود العقاد

13 ـ بخل أبي العتاهية

قال محمد بن عيسى الخُزيميّ : كان لأَبي العتاهية خادم أَسود طويل كأَنَّه مِحراك أَتّون وكان يُجري عليه في كل يوم رغيفين فجاءني الخادم يوما فقال لي : والله ما أشبع. فقلت وكيف ذاك ؟ قال : لانّي ما أفتُر من الكدّ وهو يُجري علي رغيفين بغير إدام فـإن رأيت أن تكلمه حتى يزيدنى رغيفا فتؤجر. فوعدته بذلك.

فلما جلست معه مرّ بنا الخادم فكرهت إعلامه أنه شكا إلي ذاك فقلت له : يا أَبا إسحاق كم تجري على هذا الخادم في كل يوم. قال : رغيفين. فقلت له : لا يكفيانه. قال : من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وكلّ من أَعطى نفسه شهوته هلك...

فمات الخادم بعد ذلك فكفنه في إزار وفراش له خَلِق فقلت: سبحان الله ! خادم قديم الحرمة طويل الخدمة واجب الحق تكفنه في خَلِق ! وإنما يكفيك له كفن بدينار. فقال : إنه يصير إلى البلى والحي أولى بالجديد من الميت. فقلت له : يرحمك الله يا أَبا إسحاق ! لقد علّمتَه الاقتصاد حيّا وميتا.

أَبو الفرج الاصبهانى

14 ـ المروزي والعراقي

ومن أعاجيب أهل مَروَ ما سمعناه من مشيختنا على وجه الدّهر. وذلك أن رجلا من أهل مروَ كانلا يزال يحج ويتجر، وينزل على رجل من أهل العراق، فيكرمه مُؤنته. ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقي: ليت أني قد رأيتك بمَرو، حتى أكافئك، لقديم إحسانك، وما تجدد لي من البرّ في كل قَدمه. فأما ههنا فقد أغناك الله عنّي. قال: فعرضت لذلك العراقي بعد دهر طويل حاجة في تلك الناحية: فكان مما هوّن عليه مكابدةَ السفر ووحشةَ الاغتراب، مكانُ المروزي هنالك. فلمّا قدم مضى نحوه في ثياب سفره وفي عمامته وقَلَنسوته وكسائه، ليحط رحله عنده، كما يصنع الرّجل بثقته وموضع أنسه. فلما وجده قاعدا في أصحابه أكبّ عليه وعانقه، فلم يره أثبته، ولا سأل به سؤال من رآه قط. قال العراقي في نفسه: لعل انكاره إياي لمكان القناع، فرمى بقناعه، وابتدأ مسالته فكان له أنكر. فقال: لعلّه أن يكون انما أتى من قبل العمامة. فنزعَها ثم انتسب، وجدد مسألته، فوجده أشد ما كان انكارا. قال: فلعلّه أنه أتى من قبل القلنسوة، وعلم المروزى أنّه لم يبق شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل، فقال: لوخرجت من جلدك لم أعرفك.

الجاحظ
(كتاب البخلاء)

15 ـ الضيف والناسك

قال الفيلسوف :

زعموا أنّه كان بأرض الكَرخ ناسك عابد متهجد، فنزل به ضيف ذات يوم، فدعا النّاسك لضيفه بتمر ليُطرِفه به. فأكلا منه جميعا ثم قال الضيف : ما أحلى هذا التّمرَ واطيبه ! فليس هو في بلادي التي أسكنها، وليته كان فيها ! ثمّ قال : « أرى أن تساعدني على أن آخذ منه ما أغرسه في أرضنا ، فإني لست عارفا بثمار أرضكم هذه ولا بمواضعها فقال له الناسك : ليس لك في ذلك راحة، فان ذلك يثقل عليك. ولعلّ ذلك لا يوافق أرضكم، مع أن بلادكم كثيرة الاثمار، فما حاجتها مع كثرة ثمارها إلى التّمر مع وخَامته وقلّة موافقته للجسد ؟ »

ثم قال النّاسك : إنه لا يُعَد حكيما من طلب ما يجد. وإنّك سعيد الجَدّ إن قنعت بالذي تجد. وزهِدت فيما لا تجد.

وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية. فاستحسن الضّيف كلامه وأعجبه. فتكلّف أن يتعلّمه وعالج في ذلك نفسه أيّاما

فقال النّاسك لضيفه : ما أَخْلَقك أَن تقع مّما تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبَرانية في مِثل ما وقع فيه الغراب ! قال الضّيف : وكيف كان ذلك ؟ قال النّاسك : زعموا أَن غرابا رأَى حَجَلة تدرجُ وتمشي فأَعجبه مشيها وطمع أَن يتعلمها : فراض على ذلك نفسه ، فلم يقدر على إحكامها، ويئس منها وأَراد أَن يعود إلى مشيته، التي كان عليها فإذا هو قد اختلط، وتخلَّع في مشيته، وصَار أَقبح الطّير مشيا .

وإنمـــا ضـــربت لك المثل، لما رأَيت من أَنّـــك تركت لسانك الذي طُبعت عليه، وأَقبلت على لسان العبرانية، وهو لا يشاكلك، وأَخَاف ألاّ تدركه، وتنسى لسانك وترجع إلى أَهلك وأَنت شرُّهم لسانا، فإنّه قد قيل « إنّه يُعدّ جاهلا من تكلّف من الامور ما لا يشاكله » وليس من عمله، ولم يؤدّبه عليه آباؤه وأَجداده من قبلُ .

ابن المقفع
(كليلة ودمنة)

16 ـ المقلـــــــدون

ربّما وُجد أَفراد يتفيقون بالفاظ الحريّة والوطنيّة والجنسية وما شاكلها ويصبّونها في عبارات متقطّعَة بَتراء لا تُعرف غايتها ولا تُعلم بدايتها وَوَسموا أَنفسهم بزعماء الحريّة أَو بِسِمة أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا الحد ومنهم آخرون عمدوا إِلى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أَوضاعَ المباني والمساكن وبدّلوا هيئاتِ المآكل والملابس والفُرُش والآنية وسائرِ الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أَجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعدُّوها من مفاخرهم وعرضوها معرَض المباهَاة فَنَسفوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا عنها أَعراضَ الزّينة ممّا يروق منظرهُ ولا يُحمد أَثرُه.

علمتنا التجارب ونطقت مَواضي الحوادث بأن المقلدين من

كل أُمة المنتحِلين أَطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لِتَطرق الاعداء إليها وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أَفعِمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلّدوهم واحتقارِ من لم يكن على مثالهم، شؤما على أَبناء أمتهم يذلونهم ويحتقرون أَمرهم ويستهينون بجميع أَعمالهم وان جَلَّت . وان بقي في بعض رجال الامة بقية من الشَّمَم أونُزوعٌ إِلَى معالي الهِمم انصبوا عليه وأَرغموا من أَنفه حتى يمحَي أَثر الشَّهَامة وتخمُدَ حرارة الغيرة ويصَيراولئك المقلِّدون طلائع لجيوش الغالبين وأَرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الابواب ثم يثبتون أَقدامهم ويمكنون سلطتهم ذلك بأنهم لا يعلمون فضلا لغَيرهم ولا يظنون أَن قُوة تغَالب قواهم .

جمال الدين الافغانى

المحور الثانى

الحيـــــاة الفكرية

1 ـ تقـدير الجمـــــــال

من الخطإ أن نعدّ الجمال من كماليات الحياة فإنه من ضرورياتها وأن نعدّه متعة من متع ساعات الكسل والفراغ فإنه لا بد أن يملأ حياتنا. ومن قِصَرِ النظر أن نَقْصُرَهُ على أنواع من الزينة وعلى ضروب من الاشكال وعلى أنماط من المظاهر فمداه أوسع من أن يحدد حدّ وهو أعمق من أن يكتفي فيه بالسطح وهو أقوم من أن يكون ملهى في لحظات من الحياة

ما الدنيا إذا فقدت الجمال وفقدنا شعورنا بالجمال؟ إنها إذن لا تستحق الحياة فيها ساعة فما يقوّمها ويجعلها تستحقّ البقاء إلا أن كل شيء فيها مُزِجَ قَصْدُ النفع منه بقصد التجميل.

لولا الجمال والشعور به لبقيت الكهوف والمغارات من مساكن الانسان الآن كما كانت مساكن الانسان الأول. ولولا الجمال ما كانت الحدائق والبساتين ولا كان حب الاشجار والازهار.

ولولا الجمال لاختفى كل فن فلا أدب ولا تصوير ولا نقش ولا موسيقى ولاختفى كل أسماء الفنانين ولكانت أصوات سوق النخاسين كموسيقى أشهر الموسيقيين ولكانت أصوات البوم والغربان كأصوات البلبل والكروان ولا كانت كتب إلا كتبا في التجارة والحياة العملية بل وما كان الانسان إلا آلة حقيرة يعمل وينتج ويستهلك .

ولولا الشعور بالجمال ما كان في كل ما حولنا من مناظر طبيعية جمال، فشروق الشمس وغروبها وبريق النجوم ولمعانها والبحار وأمواجها والسماء وزرقتها لا قيمة لها في نظر فاقد الشعور بالجمال كما لا قيمة لها في نظر العميان .

إن تقدم الانسانية في المدنية والحضارة والدين والعلم والاختراع والخلق يدين للشعور بالجمال أكثر من كل شيء آخر فلولاه ما تحرر الانسان من سيطرة عليه ذلك أنه لما استيقظ في نفسه الشعور بالجمال نظر إلى العالم حوله نظرة عجب وإعجاب فكان هذا مفتاح بحثه ومفتاح علمه ومفتاح فك القيود التي قيدته بها الطبيعة بل ومفتاح تحرّره من القيود الثقيلة التي قيده بها النظام الاجتماعي من استبداد وظلم واعتساف .

أحمد أمين

2 ـ اختلاف الناس في الشعور بالجمال

لقد سوى الله الجمال في كلّ شيء ويَسَّرَهُ لكلّ طالب وهيّأه لكلّ حاسة حتى إذا حَزَبَ النَاسَ الامرُ تفرّجوا بالجمال وإذا اعتراهم المكروه عاذوا به فكان لهم فيه خير العزاء وكان لهم منه نعم الجزاء .

على أَن النّاس ليسوا على حظ سواء في الشعور بالجمال ومبلغ إصابة اللذة منه كما أَن مظاهر الجمال المختلفة ليست عند الناس بدرجة سواء . فمن الناس من لا يروعه إلا منظر البحر وقد اشتدّ التجاجه وتدافعت أَمواجه ومنهم من لا يبهره إلا الزهر قد اختلفت ألْوانه ورّصعت به بانه وسطعت بالعبير أَردانه ومن الناس من لا تخلبُه إلا الموسيقى فهي تريه من آي الجمال باذنه ما لا يستطيع أَن يشهد بعينه وهي تشّفه حتى يحسب نفسه صفحة من الماء وتُرقّه حتى يخالها قطعة من الهواء وتخّففه حتى يحلّق في جوّ السماء .

ولقد قلت لك أَن الناس ليسوا على حظّ سواء في إدراك الجمال ومبلغ إصابة اللذة منه والواقع أَنّهم في هذا متفاوتون كل التفاوت فمنهم من يسمو فيه الى حدّ الافتتان والانبهار ومنهم مـن يسّف إلى حد جمود الحس وصم الشعور وبين هذين مراتب الحدين بعْضها فوق بعض .

عبد العزيز البشرى

3 ـ علاقة الدين بالفن

بين الدّين والفن علاقة وثيقة، وكما أن الاحساس الدّينّي هو رغبة عميقة في استجلاء غوامض الأَشكال الظاهرة والتطلع إلى ما وراءها من قوى علويّة خارقة تتحكّم فيها وتسيّرها وتشيع في تضاعيفها روعة الاتساق وجمال النظام، كذلك الاحساس الفنّي هو رغبة في تخليد آثار القوى العلويّة الماثلة في كلّ ما تقع عليه عين الانسان. فرجل الدّين يتأَمّل المحسوسات ويشعر بجمالها الخفي ويدرك سرها المكنون لأَنه يتّجه بقلبه صوب الله الذي خلقها، ورجل الفّن يرسم المحسوسات مبرزا جمالها الخفي كاشفا عن سرّ طبيعتها مشيرا بعبقريته إلى القوة الخارقة التي أَوجدتها. وهكذا يشترك مع رجل الدّين في تمجيد الجمال الأَبدّي الذي أَضفاه الله على الكون والذي يجد فيه الانسان ساعة الأَلم والمرض والضيق والعزاء والسلّوى.

ولقد كان الرسّام العظيم روبنس يؤمن إيمانا حارا صادقا بأَن العمل الفني هو في صميمه عمل دينّي، فرض من فروض العبادة آية من آيات الشّكر، قربان يرفعه الفنّان إلى الله، هدية من المخلوق العارف بالجميل إلى الخالق الذي حباه نعمة الحياة ونعمة الاستمتاع بما في هذه الدنيا من كنوز تزخر بأَلوان الجمال ومن مآثر روبنس قوله : إنني أَرسم كما لو كنت أَصلّي وذلك الاحساس بالصّفاء الذي يكتنفني ويحّررني من ربقة السمّادة ويطلقني إلى عالم الرّوح ويدمجني في القوى الخالقة كلّما صلّيت هو نفس الاحساس الذي يستحوذ عليّ عندما أَبدع العمل الفنّي فأَنا في تلك السّاعة أَتّجرد عن مادّتي وأَنسى هموم العالم وأَغضّ الطرف عن أَقذاره وما أنفك به أصقله وأرقيه وأجمله حتى أحقق فيه ذلك الجمال الروحي المستمد من شعلة الايمان ونورالله.

ابراهيم المصري

4 ـ التقليـد والفـن

قد يكون الشّيء المنقول في حقيقته قبيحا، ولكنّ صدق التّعبير عنه، ودقّة التّصوير فيه، والتماس المنفعة منه، تجعل تقليده جميلا، كالوجه الشّتيم يرسمه المصّور المبدع بريشـته، والخلق الذميم يصّوره الشّاعر المفلق بقلمه والملهـاة المسرحيـة موضوعها رذائل النّاس ونقائص المجتمع، ولكنها ارتفعـت إلى أوج الفـن الجميل بتحليلها العميق، وتصويرها الدقيق، وغايتها النـبيلة. كذلك الحوادث المـؤلمة والمناظر المـحزنة والمواقف المؤثرة ليس فيها من الجمال شيء. ولكّن استبطان الفنّان لدخيلة الـبائس، وتصويره الفاجعة ماثلة مثول الواقع، وإعانته الحقيقة على التأثير بالجمل النّفاذة والصّور الأَخّاذة، والظّلال الرّهيبة، يجعل تقليدها من أَجمل الأَشياء، ويضع المأساة من الفنّ موضع الواسطة من العقد.

فأنت ترى أنّ التّقليد لا يثير الاعجاب في نفسك، ولا يشيع اللّذة في شعورك، الاّ باعتماده على الفنّ، والفنّ لا يتحقّق جماله إلاّ بالعظمة في عمله، والسّعة في وسائله، والحكمة في غايته، فإذا قلّدت أصوات الطبيعة من غير تأليف ولا تنسيق ولا معنى... وسردت بالكلام الموزون حادثة عادية من حوادث اليوم، أخطأك الفن وانزوى عنك الجمال، لأنّك صغّرت الطّبيعة، وحقّرت الواقع، وتعلّقت بالتّافه، واستعنت بالمادة من غير قوة ولا ثروة ولا علة، ولو أنك رحت تستقرن مفاتن الجمال في الطّبيعة أو في الفن، أو في الأثر الذي ينشأ فيه من ائتلاف الطّبيعة والفنّ، لما وجدتها في غير ما يعلن القوّة والوفرة والذّكاء مجتمعة أو مفترقة.

احمد حسن الزيات (الرسالة)

5 ـ بركة المتوكل

يا من رأى البِرْكة الحسناء رؤيتها ... والآنسات إذا لاحت مغانيها

بِحَسْبِهَا أنها في فضل رُتْبَتِها ... تُعَدُّ واحدة، والبحر ثانيها

ما بال دجلة كالغيرى تنافسها ... في الحسن طورا ،وأطوارا تباهيها

تنصّب فيها وفود الماء معجلةً ... كالخيل خارجة من جبل مجريها

كأنّما الفضّة البيضاء سائلة ... من السّبائك تجري في مجاريها

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا ... مثل الجواشن مصقولا حواشيها

فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها ... وريّق الغيث أحيانا يباكيها

إذا النجوم تراءت في جوانبها ... ليلا حسبت سماء رُكِّبَتْ فيها

لا يبلغ السّمك المحصور غايَتَها ... لبعد ما بين قاصيها ودانيها

يَعُمْنَ فيها بأوساط مجنّحة ... كالطّير تنقضّ في جوّ خوافيها

لهن صحن رحيب في أسافلها ... إذا انحططن وبَهْوٌ في أعاليها

كأنّها حين لجّت في تَدَفُّقَها ... يد الخليفة لما سال واديها

وزادها رتبة من بعد رتبتها ... أن اسمه يوم يدعى، من أساميها

محفوفة برياض لا تزال ترى ... ريش الطواويس تحكيه ويحكيها

البحترى

6 ـ زهراء الاندلس

كان الخليفة عبد الرحمان الناصر كَلِفًا بعمارة الاندلس وإقامة معالمها وتخليد الآثار الدالّة على قوة المُلْكِ وعزّة السلطان فأفضى به الاغراق في ذلك إلى أن ابتنى مدينة الزهراء البناء الشاسع ذكره المنتشر صيته واستفرغ جهده في تنسيقها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها فاستدعى عُرَفَاء المهندسين وحشد بُرَعَاءَ البنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطنيّة ثم أخذ في بناء المتنزهات وإنشاء مدينة الزّهراء الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامها بطريق البلد على ضِفة قرطبة ونسق فيها كل اقتدار معجز وكان قصر الخليفة متناهيا في الجلالة والفخامة أطبق الناس على أنه لم يُبْنَ مثلُه في الاسلام البتةَ وما دخل إليه أحدٌ من سائر البلاد النائية والنِّحل المختلفة إلا وقطع أنه لم ير له شبها بل لم يسمع به بل لم يتوهم وكون مثله ولو لم يكن فيه الا السطح المجرد المشرف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والفضة وعجيب ما تضمنه من إتقان الصنعة وفخامة الهمة وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر منون وذهب مصون وعمل كأنما أفرغت من القوالب وتماثيل لا تهتدي

الاوهام الى سبيل التعبير عنها لكفى مثلا وكنت ترى في مقصورة الخليفة بركة يجرى الماء فيها بصنعة محكمة وفي وسطها يعوم أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه . فيها صور الملوك في غابر الدهر مطلى بذهب إبريز وعيناه جوهرتان لهما وميض شديد فيمج الماء من فيه في تلك البركة فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبّه فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها ويستفيض على ساحاته وجنباته وهذه البركة وتمثالها من أعظم آثار الملوك في غالب الدهر لفخامة بنيانها فكان الناصر قد جلب إليها الرخام الابيض المجزّع من رية والابيض من غيرها والوردي والاخضر من إفريقية وبنى في القصر المجلس وجعل في وسطه اليتيمة التي اتحف الناصر بها أليون ملك القسطنطينية وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق وكان في كل جانب من المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرّصع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سوار من الرخام الملون والبلور الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار .

المقري
(نفح الطيب)

7 ـ قصـــــر المعتـــــز

ذُعِر الحمام وقد ترنّم فوقـــه ... من منظر خطر المزلّة هـائـــل
رفعت لمخترق الرّياح سموكـه ... وزهت عجائب حسنه المتخايـل
وكأَنّ حيطان الزّجاج بجـوّه ... لجج يمجن على جنوب سواحل
وكأَن تفويق الرخام إذا التقـى ... تأليفه بالمنظر المتقابـــــل
حُبُك الغمام رصفن بين منّمـر ... ومسيّر ومقارب ومشـــاكل
لبست من الذّهب الصّقيل سقوفه ... نورا يضيء على الظّلام الحافل
فترى العيون يجلن في ذي رونق ... متلهّب العالى أَنيق السّافـــل
وكأَنّما نشرت على بستانـــه ... سيراءُ وشي اليمنـة المتواصل
أَغنـته دجلة إذ تلاحق فيضها ... عن صوب منسجم الرباب الهاطل
وتنفّست فيه الصّبا فتعطّفـت ... أَشجاره من حُوَّلٍ وحوامـــل
مشي العذارى الغيد رحن عشيّـة ... من بين حالية اليدين وعاطل

البحتري

8 ـ في متحف « اللوفر »

لقد ذهبت أمس إلى « اللوفر » كعادتي... إنّي أخصص يوما كاملا للقاعة الواحدة. فأنا لست سائحا متعجّلا. إني أبحث أمـام كل لوحة عن سرّ اختيار هذه الألوان دون تلك وعن مواطن برودتها وحرارتها وعن رسم أشخاصها وبروز أخلاقهم واتّساق جموعهم وحركتهم وسكونهم. كل لوحة في الحقيقة ليست إلاّ قصّة تمثيلية داخل إطار لا داخل مسرح تقوم فيها الألوان مقام الحوار. إني لأكاد أصغي إلى أحاديث الابطال وهم على الموائد في أفراح « قانا » لوحة « فيرونيز » وأكاد أسمع ضجيج الحاضرين وصياح الشاربين ورنين الكؤوس وخرير النبيذ يفرغونه من دنّ إلى دَنّ

إن طريقة إبراز كـلّ هذه الحياة بالريشة لقريب من طريقة إبرازها بالقلم. إنّ أساس الروّح أحيانا ليتشابه. لطالما وقفت

عيـناي طويلا على صفحـات ناثر أَو شاعر وأَنا كالمأخوذ أَفحص السّطور بيدي لأَتبينّ إن كانت من مداد أَو من أَثير. إنّ روح الكاتب أَو الشاعر لتشفّ أَحيانا وتخفّ وتتحرّك في الأَجواء بلطف كأَنها نسيم راقص. هذا الشعور ملأَ نفسي وبصري أَمام لوحة مثل لوحة « الربيع » «لبوتيتشلي» التي يصوّر فيها رقص « الحسان الثلاث » في غابة البرتقال « وفينوس » قربهنّ تتبع بيدها وقع الخطى والنسيم من حولهنّ يعانق الأَزهار... أَو مثل لوحة « موريللو» عن « صعود العذراء » وهي في جمالها الطاهر تخترق السماء وفي ذيلها القمر ومن حولها الملائكة. إن الشعر والرقص والموسيقى ليتناثر أَريجها مجتمعة في جو مثل هذا الفن العظيم.

توفـيق الحـكيم

9 ـ بين التمـــــاثيل

راح زورقنا يمر بردَهات عجيبة كانت تتسع تارة وتضيق أخرى، ترتفع آنا أَو تنخفض، ولكل ردهة منها جناح خاص بعدد من التماثيل التي لم تقع على مثلها العين.

فهنا، وقفت على قواعدها تماثيل من البلّور الصّافي لأُمّهات يحملن أَطفالا بين أَذرعهنّ أَو على أَكتافهنّ البيضاء العارية، أَو يجمعن أَطفالا على صدور هنّ العاجية بحنان وعطف كبيرين.

وثمّة أمهات « فينوسيات » الملامح باديات الحسن قد تعلق بأَذيالهـن عدد من الصبـيةأَو البنات اللواتي أَخذت رؤوسهنّ ووجوههن تعابير مختلفة تتراوح بين الفرح السرمدي والغبطةأَو الحزن...

أَما هنا،إلى الأَمام قليلا، فقد قامت غابة صغيرة من الأَعمدة المزخرفة التي تصل بين السقف والأَرض أو تتدلى من السقـف، أو تنـبت مـن الأَرض بـقـامات وأحجـام مختلفـةأَعمدة لها أَحيانـا أَشكال شجر السرو،وأَحيانا أخرى أشكال شموع ضخمة، اشتعلت فسال بعضها على جوانبها.

ولننظر الآن إلى هذه القاعة ففي مقدمتها جذع ملك جبّار، كأَنه يقوم على حراستها ، وقد تعالى صدره بكبرياء واعتزاز

ومن ورائه ارتفعت بقاماتها، ألوف من التماثيل، تماثيل القواد والجنود على استعداد لخوض معركة . . .

وما هذا الحيوان الاسطوري الذي يطّل على زورقنا ؟ . . .

انظر إليه فشكله البرنزي الضخم سيروقك ويبهرك، أراك تتساءل ماذا تراه يكون؟ . . . أنا بدوري لا أعرف . . . إخاله جملا ذا سنامين قد أنيخ هناك منذ ألوف السنين فراقه المكان والشكل الحسن والماء والمنظر الخلّاب، فتجمّد !

أما بعده بأمتار، حدق، قد ظهر تمثال صبية انحنت على جانبها نحو الماء، وقد تشنجت أعصابها، وتقلصت عضلاتها، وتنأت عروقها، وانشقّ ثوبها على جانبه شقّا جميلا، وانطوى شعرها المبدد إلى الأمام، فبدت وكأنها تعيش مأساة مروّعة، بينما راحت دموعها الغزيرة تنسكب في مجرى المياه. . . لا تطل النظر إليها، فإن منظرها سيثير فيك الاشجان، وقد يغالبك دمعك فتبكي حزنا عليها . . .

انظر فبعدها بقليل، وعلى يميننا هذه المرة، قطيع من الفِيَلة التي وردت الماء العذب لتطفىء ظمأها، فازدحمت، يصك بعضها بعضا، بينما تدلت خراطيمها وأنيابها العاجية صوب الماء . . . لا تخشها، أنها صخر لا يتحرك، انظر، فأمام خراطيم الفيلة وأنيابها عامت على صفحات الماء قناديلُ كهربائيةٌ يتهادى الضوء منها كالحلم.

الياس مقدسي الياس

1 ـ تاثير الغناء في النفوس

وأمر الصوت عجيب، وتصرفه في الوجوه أعجب ! فمن ذلك أن منه ما يقتل كصوت الصاعقة. ومنه ما يسرّ النّفوس حتّى يفرط غليها السّرور، فتقلق حتى ترقص، وحتى ربمارمى الرّجل بنفسه من حالق، وذلك مثل هذه الأغاني المطربة. ومن ذلك ما يكمد. ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه، كنحو هذه الأصوات الشجيّة، والقراءات الملحّنة، وليس يعتريهم ذلك من قبل المعاني لأنهم، في كثير من ذلك، لا يفهمون معاني كلامهم. وقد بكى ما سَرْجَويه من قراءة أبي الخَوْخِ ،فقيل له : « كيف بكيت من كتاب الله، ولا تصدق به ؟ » قال : «أبكاني الشجا ! » وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدّم في العروق، فيصفو له الدّم، وتنمو له النّفس، ويرتاح له القلب، وتهزله الجوارح. ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب. وزعمت الفلاسفة أن

النغم فضل بقي من النّطق لم يقدر اللسان على استخراجه، فاستخرجته الطبيعة بالأَلحان على الترجيع لا على التقطيع. فلمّا ظهر عشقته النّفس، وحنّت إليه الروح ألا ترى إلى أَهل الضناعات كلها ، إذا خافوا الملالة والفتور على أَبدانهم ، ترنّموا بالأَلحان واستراحت إليها أَنفسهم. وليس من أَحد ـ كائنا من كان ـ إلا وهو يطرب من صوت نفسه، ويعجبه طنين رأسه ...

وقد يُتوصل بالأَلحان الحسان إلى خير الدنيا والاخرة : فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأَخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذّبّ عن الأَعراض والتّجاوز عن الذّنوب. ولاهل الرّفاهية نغمات والحان شجية يمجّدون الله تعالى بها، ويبكون على خطاياهم ويذكرون نعيم الآخرة ويمثلونه في ضمائرهم.

وزعموا أَن في البحر دوابّ ربّما زمرت أَصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السّامعين الغشي من حلاوتها ، فاعتنى بها وَضَعَةُ الأَلحان بأَن شبهوا بها أَغانيهم فلم يبلغوا.

وزعموا أَن السّماكين بنواحي العراق يبنون في جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأَصوات شجية فيجتمع السّمك في الحفائر فيصيدونه. وممّا يدلّ أَيضاعلى تأَثر الحيوان بالصوت الحسن أن الابل تزداد نشاطا وقوة بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة

ويسرة وتتبختر في مشيتها، والرّاعي إذا رفع صوته ونفخ في يراعته تلقّته الغنم بآذانها وجدت في رعيها . والدّابة تعاف الماء فإذا سمعت الصفير بالغت في الشرب .

قال أَفلاطون : من حزن فليسمع الأَصوات الحسنة فإنّ النّفس إذا حزنت خمدت نارها فإذا سمعت ما يطربها ويسرّها اشتعل منها ما خمد وليس شيء ممّا يستلذّ به أَخفّ مؤنة من السّماع :

الجاحظ

2 ـ بين الالحـــــان

سمعتها أمس في دار من دور الموسيقى، تتغنى عواطفها ولوعتها وحزنها لبعد من أحبت، وجزعها لقرب من كرّهت، ففتنت بها ، ولم أفارق نغماتها طوال الليل وجزء من النهار غير قليـــل .

وعزيز علي أن أجهل الموسيقى ، وأن يضطرني هذا الجهل الى الا أتحدث اليك بجمال هذه الليالي الساهـرة التى قضيتهـا بين الالحان ، ولكني إذا جهلت الموسيقى وعجزت عن الحديث فيها، فإني أحسها وأشعر بها وأستطيع أن أعلـم أني سمعت شيئـا طربت له ، أو سمعت شيئا نفرت منه ، وأشهد أني لم أنفر أمس بل أني لم أطرب أمس ، وإنما سحرت سحرا ليس فوقه سحر، وأشهد، إني حين كنت أسمع هذه الموسيقى لم أكن بحاجة شديدة إلى أن يصف لي واصف ما يمثله المنظر من هذه « الابرا» المشرفة على البحر التي يغمرها هواء رقيق ناعم شفاف، والتي تـزدان بكثبانها وتلالها الصغيرة تهبط الى البحر متدرجة قليلا قليلا . نعم لم أكن فى حاجة إلى أن يوصف لي المنظر، لان الموسيقى تغنيني عن ذلك، فكنت أحس في الموسيقى القرب من البحـــر ، وكنت أسمع في الموسيقى أمـواج البحـــر تضطـرب وتصطخب . رقيقة حينا كأنها حديث العاشقين، غليظة حينا

آخر كأنها قصف الرعد، وكنت أجد في الموسيقى رقة الهو ونعومته، وكنت أسمع هذه الموسيقى فلا أشك في أن الجو كان صافيا رائقا، أو أنه كان كدرا يهيء للعاصفة، كنت لا أشك في شيء من هذا وكنت لا أشك في شيء آخر هو أجل من هذا خطرا وأعظم شأنا، كنت لا أشك في أن هذه القطعة الموسيقية تمثل مايحدث في نفسي الأن من اضطراب العواطف واصطخابها وما يقع بينها من تنازع ومشادة، وكنت لا أشك في أن هذه القطعة الموسيقية الاخرى تمثل الضعف الذي ليس بعده ضعف، تمثل هذا الضعف الذي يسلبك كل قوة على المقاومة يجعلك غير قادر إلا على أن تفتح جفنيك تسقط منها قطرات الدمع متتابعة منهمرة. وكنت لا أشك في أن هذه القطعة الأخرى تمثل الغيظ والحنق، هذا الغيظ الذي تنقبض له أعصابك، فإذا جبينك مقطب، وإذا الدم يغلي في رأسك، وإذا أنت قد أطبقت يديك، وإذا أنت تقاوم هذا الميل الشديد الذي يدفعك إلى أن تثب وتهجم على فريستك. لم أكن أشك في شيء من هذا لأني كنت أحسه وأتنقل فيه من طور إلى طور. بل هناك ما هو خير من هذا، هناك هذه القطع الموسيقية التي تبعث في نفسك شيئا من الحنان والرحمة ومن الطمأنينة والدعة لا أستطيع أن أصفه، ولا يستطيع إنسان أن يصفه لان وصفه ولم يتح للجمل والالفاظ، وإنما أتيح للأنغام والالحان وحدها.

طه حسين

(بتصرف)

3 ـ الحكم في الغنـــــاء

حدّث إبراهيم بن محمد الشافعي قال : جاء سندة الخياط المغني إلى الأَفلح المخزومي وكان يوصف بعقل وفضل. فقال له : من أَين أَقبلت وإلى أَين تمضي ؟ .فقال : إليك قصدت من مجلس لبعض القرشيين أَقبلت محاكما إليك. قال في ماذا ؟. قال : كنت عند هذا الرجل وحضرت مجلسه رقطاء الحبطيين. وصفراءُ العلقميين فتناولتا بينها رَمَل ابن سريج :

ليت شعري كيف أَبقى ساعـة مع مـا ألقى إذا الليل حضـــر
من يـذق نوما ويهدأَ ليلـــة فلقد بُدِّلْتُ بالنّوم السّهـــر

فغنتاه جميعا. فاختلفنا في تفضيلهما. ففضّل كلّ فريق منّا إحداهما .فرضينا جميعا بحكمك فاحكم بينهما وبيننا (قال) .فوجم ساعة .وأَهل الحجاز إذا أَرادوا أَن يحكموا تأملوا ساعة ثم حكموا فإذا حكم الْمحكَّم مضى حكمه كائنا ما كان ففضّل من فضّله وأُسقط من أَسقطه إذا تراضى الخصمان به. فكره الأَفلح أَن يُرضي

قوما ويسخط آخرين .فقال لسندة : صفهما أنت لي كيف كانتا إذ غنتا، واشرح لي مذهبهما فيه كما سمعت ثم أنا أحكم بعد ذلك. فقال سندة : أما جارية الحبطيين فأنها كانت تلوك لحنه كما يلوك الفرس العتيق لجامه ثم تلقيه في هامة لدنة ثم تخرجه من منخر أغن والله ما ابتدأته فتوسطته وأنا أعقل ولا فرغت منه فأفقت إلا وأنا أظن أني رأيته في نومي. وأما صفراء العلقميين فإنها أحسنهما حلقا وأصحهما صوتا وألينهما تثنيا والله ما سمعها أحد قط فانتفع بنفسه ولا دينه. فهذا ما عندي فاحكم أنت يا أخا بني مخزوم. فقال : قد حكمت بأنهما بمنزلة العينين في الرأس بأيهما نظرت أبصرت . ولو كان في الدنيا من عبيد بن سريج خلف لكانتا. (قال) : انصرفوا جميعا راضين بحكمه.

الاصبهاني (الاغاني)

4 ـ عـــــــازف الكمنجة

وبغتة نهض ليوناردو عن الأَرض ، ونقض رأسه،وبكلتـــا يديه ردّ إلى الوراء الشعر الطويل الذي كان قد هبط إلى جبينه، وأَشار الي أَن أَناوله الكمنجة التي كنت أَتـأَبطها فأَخرجها من بيتها بسرعة، ووضع البيت جانبا، ثم راح يوقع الأَوتار بخفة ولباقة متناهيتين وعندما استوت له راح يعزف .

وما أَن مر ليوناردو بقوسه على الأَوتار حتى خفت كل صوت وماتت كل حركة . فلا نحنحة، ولا وشوشة، ولا عطسة ولا سعلة . ومضى في عزفه والناس كأَنهم في حضرة ساحر عظيم، يميلون إذا مال، ويجمدون اذا جمد، ويعبسون إذا عبس،ويطبقون أَجفانهم ويفتحونها كلّما أَطبق أَجفانه وفتحها . وبلغ من لحنه فترة راحت فيها الكمنجه تعاتب، وتشكو، وتستغيث، وتنوح، وإذا بزفرات مخنوقة تتصاعد هنا وهناك من الصدور ، ومـــع الزفرات نشيج متقطع . وإذا بعينّي ـ حتى عينّي ـ تغروفان، أَنا الذي ما ترطب لي جفن إلا لحزن ساحق عميق .

وما طال أن انقلب عويل الكمنجة هزءا وشماتة، ثم تحدّيا ووعيدا، ثم صولة وجبروتا، ثم صراعا عنيفا،ثم نصرا باهرا ثم أغرودة علوية، ثم صلاة ممعنة صعودا في سلالم الفضاء. وإذا بي، وعيناي عالقتان بليوناردو وكمنجته وأَ صابعه أُحسّ عنق بهاء يلتوي كعنق زهرة تذوي، ثم أُحس جسدها بكامله يهوي علي على حد ما كان يجري لها في أَيام طفولتها حين يغلبها النعاس، فأجمعها في حضني وأَسند رأسها إلى ذراعي مثلما كنت أفعل وهي طفلة.

وتسكت الكمنجة فتتحول القاعة بمن فيها إلى ما يشبه بيتا للمجانين : جلبة ولغط ووشوشة وزحف أَقدام وكراسٍ، وقعقعة آنيةٍ...

ميخائيل نعيمة

5 ـ الكمنجـــــــة

أَنصت الليل وأَشبـاح الـدجى ... ويك ما هذا التلوّي والأَنين
يا ابنة الأَخشاب هل فيك حشا ... يتلوّى تحت هزّات النّـغـم
هل ترى فيك فؤاد قدمشـى ... فيـه أَشـواق وآلام ودم
هـل تُـرى فيكِ هُيـام ... أَو شقـاء او سَـقـام
هل تُرى خانكِ خلان لئـام ... ولذا تبكين عهد الخـائنين

****

يا ابنة الأَخشاب هل شقّ القضا ... عنك روحا عبثت فيها الرياح
أَم ترى تبكين عهدا قـد مضى ... « بين تشبيب وشكوى ونواح»
هـل غـدا الوجد شـرابـا ... لكِ والـوصـل سـرابـا
هل ترى تبكين في الشيب شبابا ... غار في عمق الليالى والسنين

****

يا ابنة الأَخشاب هل هذا الحنين ... لربوع ما رأَتها قطّ عيـن
أَم ترى هذا سؤال تسأليـن ... عن حياة وخلود: كيف؟ أَين ؟
بين إيـمـان وريبـه ... بـيـن آمـال وخيبـه
تارة يبدو لك العيش لُعيبـةً ... تارة يبدو لك الشـك يقيـن

****

ليس فيك مثل روحي نسمـــة أبدا ظمأى لدار قاصيـــة
لاولا قلب كقلبي شعلـــة في حشاها ألفُ عين جاريـة
لاولا بـؤس كـبـــؤسي لا ولا نـفس كـنـفـــسي
دودة تُمْسي ملاكا حين تمسي وتناجي الله في ماء وطيـــن

****

يا ابنة الالحان مـا أنت سوى صوت روحي وصدى قلبي الطموح
في فؤادي ألف «رست ونوى» وكمنجات وأعـواد تنـوح
كـلّمـا لامـست صـدري فشجي اللحـن يجـرى
منه في صدرك أمواج كبحـر هائج طـورا وطـورا مستكين

****

لا تخافي أنا أعطيكِ الصـدى إنما في داخلي يبقى الألـم
هو ذا قلبي يضحي أبـــدا فديةً عن قلبك الخالي الأصم
ردّدي منـه الأنيـنـــا وامـلاي الليـــل حنينـا
واهزإي بالقلب ماذا ترهبينا؟ مزّقيه حبّذا لـــو تفعليـــن

أمين مشرق

6 ـ شبحان في الصحراء

خرجنا من مكّة وانصرفنا عن طريق القوافل وسرنا سيرا حثيثا حتى أَصبنـــا الرمال وجعلت النجيبتان تغرسان وتقلعان فإذا خطاهما لينة عذبة كأَنها مسّ خفيف ونحن نُصوب ونصعد من كثيب إلى كثيب وكنّا في غور إذ قال صديقي : الآن نترجل. فقلت: والله ذاك ما كنت أريد فقد أَخذ مني الرمل ولونه ولطفه. ومضت ساعة ثم إذا هو يومئ بيده ان أَصعد في الكثيب. فصعدت فرأَيت على رأس الكثيب المقابل من وجه المشرق شبحين. وكان عاليا فكأَنهما على صفحة السماء المبيضة. وقال لي صديقي : انظر ولا تتكلم. وتبيّنت الشبحين. فتبيّن لي فتاة وفتى ممدودان جنبا إلى جنب متجهان إلى مطلع الشمس وكانت على وشـــك البزوغ فالمشرق كلهيب النار.

ثم بدت من الشمس بوادر نور فإذا الفتاة ارتمت وقامت كأَنها الظّبية أَحسّت بالنبل. وجعلت تهم بالشرق فلا تخطو إلا

خطوة ثم تتراجع وترسل يديها إلى السماء والشمس كأَنها تروم أَن تدركهما .ثم تتراجع بهما في هيئة من الرّقص كأَنها الغصن يهزه النسيم. وسكنت طرفة عين ثم عادت في الرقص إلى مثل حركاتها الاولى. فرأَيتها لسانا من الرمل قائما على رأس الكثيب وكأَنما ولدت منه أَو ذابت فيه فهي رقيق الرمل يجري بين الأَصابع . وأَرسلت إلى ذلك صوتها بالغناء. فكان يترقرق في حلقها ويرق لرنين يديها وكامل جسدها ثم يتراجع بتراجعه حتى إخاله سكن. ثم تعود فترقص وتغني حتى كأَن صوتها ورقصها في الاندفاع والتراجع ابتسامة السرور أَول نشأَته .ثم سكنت ويداها إلى الشمس البازغة وإحدى رجليها مرسلة كالرمح المصوب في الهواء كأَنها تهمّ أَن تطير فكأَنّي بها قد انفصلت عن الأَرض وطارت.ثم انفجر صوت مزمار في قوّة وروعة.وارتمت الجارية ترقص في سرعة وشدّة. وإذا المزمّر الفتى وقد قام فبدا على وجه السماء المشتعل كالصنم الحي. وجعلت الفتاة تدورأَو تقف وتقوم أَوتهبط فتقع في هيئة السّاجد فإذا هي قائمة أَو ترتفع فإذا هي ساجدة. فكأَنها دخان كاذب أَو سراب خلّب أَوخفّة ولا جسد. ثم انقضت من صوت المزمار قوّته فارتدّ رقيقا دقيقا حتى كأَنه وحي من الله أَو همس الشياطين. وسكنت عن الجارية سرعة الرقص فصارت تتثنّى بتثنّي الصوت وتتهادى بتهاديه

وتبطىء الدور ببطئه حتى رأيتها أصبحت ذوبا في الهواء أوسكنها نفس من النسيم فهي في لينه. ودام ذلك ساعة فرحت له أريحيّة عذبة وصرفني عن صديقي وهزّني الطرب حتّى كدت آخذ في الرقص من حيث لا أشعر. ثمّ دقّ الصوت حتى سكن. وإذا الفتى قد وثب إلى الجارية ورفعها من خصرها فبدت على يديه ممتدة في الهواء ويداها مقرونتان في هيئة المقبل على البحر ليغوص فيه والشمس ناشئة تكسوها. ثم حطها الفتى إلى الارض فتعانقا وصوبا في الكثيب يرقصان معا حتّى حجبهما عنّي.

محمود المسعدي (بتصرف)

(حديث البعث الأول)

7 ـ راقصـــــــة

طرب الشعر أَن يكون نسيبـــا ... مذ أَجالت لنا القوام الرطيبـــا
خطرت، والجمال يخطر منهـــا ... في حشا القوم جيئة وذهوبـــا
وعلى أَرؤس الاصابع قـــامت ... تتخطى تبختـــرا ووثـــوبا
فهي إِن أَقبلت رأَيت ابتساما ... وهي إِن أَدبرت رأَيت قطوبـا
تضحك الجو في الصباح طلوعا ... ثم تبكيه في المساء غـروبـا
حيرتنا لما أَرتنا عجيبـــــا ... فعجيبا من رقصها فعجيبـــــا
شابهت عطفة الغصون انثنـــاء ... وحكت خطـرة النسيم هبوبـا
تلفت الجيد للرجوع انصياعا ... كفطيم رأَى على البعد ذيبـــا
تثب الوثبة الخفيفة كالبـــرق ... صعودا في رقصها وصبوبـــــا
حركـــات خلالها سكنـــات ... يقف العقل بينهن سليبـــــا
وخطى تفضح العقود اتســاقـا ... نظمتها تسرعا ودبيـــبـــــا
بسمت كوكبا ومرت نسيمـــا ... وشدت بلبلا وفاهت خطيبـــا

معروف الرصافي

8 ـ ثـــــوب راقصـــــة

وتراءت بنت حواء على الملعب تخطـــر
في غلالات رقيقا ت من الوشي المحبـــــر
رصعتها يد فنـــان بياقوت وجـــوهـــر
لمعت فيها أعاجيب من الألوان تبهـــــره
أبيض في أحمر في أزرق من بعد أخضـــر
قزح تحكيه في يوم رقيق الغيـــم ممـطر
أو خيال الشمس في الماء على ظل تصـــور
خافق مشتبك مرتعد يطوى وينشـــــــر
وكأن الثوب حي فوقهـا يلهو وينظـــــر
وهو يكسوها وتكسوه فيمتن ويشكـــــر

مصطفى خريف
« الشعاع » الجزء الاول

٩ ـ التمثيل عند الغربيين

الرواية التمثيلية رافقت الاداب عند الغربيين منذ نشأتها حتّى هذه الساعة فأصبحت ركنا من اركانها، وأقام لها الغربي المعاهد التمثيلية ، فأصبحت المسارح جزءا من حياته اليومية كالمدرسة والبيت والكنيسة ، ففي المسرح تجد نفسه الجائعة المثقلة بأتعاب العمل، وهموم الحياة راحة وتعزية، وقوتا من أحوال معيشته التي يشابه صباحها مساءها، ويومها أمسها ،يرى بعينيه على المسرح بشرا مثله غائصين في معركة الوجود يكشفون أسرار قلوبهم ومخبآت ضمائرهم، فيجد في هذه الأسرار وبين تلك المخبآت قسما من ذاته، ويستعين ببعضها على إصلاح نفسه بالإضافة إلى إختباراته الشخصية .

فالمؤلف بأفكاره ، والممثل بصوته وحركاته، يخترقان حرمة حياته الخاصة، ويفتشان بين طيات ضميره، ويوقظان فيه كل قوى

الوجود، فيشعر أنه كائن حي، فرب كلمة تقع في إذنه يحتضنها للحال عقله، وتختمر بها روحه، أو رب حركة من يد الممثل ينتفض لها قلبه، أو رب مشهد يهزه بكليته كما تهز العاصفة شجرة من جذورها، ولكن هذا التأثير في السامع والناظر لا يمكن إحداثه إلا إذا كانت الرواية مشهدا حيا من مشاهد الحياة الحقيقية، وكان الممثل قادرا على فهم أفكار المؤلف وغايته وتفسير هذه الأفكار، وتأدية تلك الغاية إلى السامع بواسطة الصوت والحركات ولذلك رفع الغرب شأن الممثلين كشان المؤلفين، فأجزل عطاهم وأحاطم بالشهرة في الحياة، وبطيب الذكر بعد الممات.

ميخائيل نعيمة
(بتصرف)

10 ـ الحـــــاكية

انا نجد الحاكية من الناس يحكي أَلْفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم، لا يغادر من ذلك شيئا، وكذلك تكون حكايته للخراساني والاهوازي والزنجي والسندي والحبشي وغير ذلك. نعم حتّى تجده كأنه أَطبع منهم. فأما إِذا حكى كلام الفأفاء فكأنما جمعت كل طُرفة في كل فأفاء في الارض في لسان واحد كما أَنك تجده يحكي الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينيه وأَعضائه لا تكاد تجد من أَلف أَعمى واحدا يجمع ذلك كله، فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان في أَعمى واحد. ولقد كان أَبو ربُّوبة الزنجي مولى آل زياد يقف بباب الكوخ بحضرة المكارين فينهق، فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ولا متعب بهير إِلاَّ نهق، وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك، حتى كان أَبو ربوبة يحركه وكأنه قد جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد. وكذلك في نباح الكلاب.

ولذلك زعمت الاوائل أَن الإِنسان إِنما قيل له : المعلم الصغير سليل العالم الكبير لانه يصور بيده كل صورة ويحكي بفمه كل حكاية.

الجـــــاحظ

(البيان والتبيين ج I ، ص 84)

11 ـ المســـــــرح

قال عيسى بن هشام : « ليس هذا المكان في أَصل وضعه بمرقص ولا بملعب هذا هو« التياترو » المعروف عند الغربيين بأنّه أَصل التثقيف والتّأديب ومنبع الفضائل ومحاسن الاخلاق، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وهو عندهم توأَم الجرائد، هذه تعظ بالخبر وهذا يعظ بالنّظر، فيغرس في النّفوس صورة الفضيلة مجسّمةً للأبصار بما يعــرضــه على النّاظرين والسّامعين من تاريخ أَهل الفضائل في الازمان الغابرة أَو الحاضرة، ويفعل في النفوس ما لا تفعله الرّواية والخبر وهي في بطون القصص والسّيرَ. فيمثّل لك محاسن الفعال ومحامــد الخصال، وما تأتي به عواقبها من الظّفر بالمرغوب والحــصول على المقصود وإن اعترضتك معها المصاعب ونالتك المتاعب، ويشرح لك، شناعة الرّذيلة ويصّور فظاعة النقيصة وما يكون في عاقبتها من السّوء وفي أَثرها من المكروه وإن خلبتك

بمنـــظرها ساعةً وخدعتك ببهرجها برهة، فيجتمع لديك من الموعظة والعبرة ما عساه يردعك عن القبيح إن هممت به ويردّك إلى الحسن إن تقاعدت عنه ويهديك إلى الطّريقة المثلى ويخرجها لك من الغيبة إلى الشّهود ومن القول إلى الفعل فتنجذب نفسك إلى أنواع الفضيلة من شجاعة وشهامة وكرم ومروءة وأمانة ووفاء وسماحة وسجاحة وصبر وحلم، وينفّر طبعك عمّا تجمعه الرّذيلة من دناءة وجبن وخيانة وغدر وجهل وحمق.

محمد المويلحي

(حديث عيسى بن هشام)

12 ـ الفن بين المسرح والسينما

من سَرِف القول أَن تُعدّ « السينما » خصما للمسرح، فالفنّ السينمائيُّ في جوهره هو ابنُ المسرح وربيبُه، تخلّق من لحمه ودمه، واغتذى بلبانه، فهما معا يتقاسمان عناصر الفن من رواية ومنظر وممثلين.

فإذا أَردت الدّقة والتعمق تَجلت لك « السينما » على أَنها امتداد للمسرح، أَو تطور له، وفقاً لحقيقة التجديد، وطوعا لروح العصر، فهي مسرح آليُ مستحدث، يستكمل ما عجز عنه المسرح القديمُ، ويخلُفه على أَداء رسالة الفن للجيل الجديد.

لا غُلُوَّ في القول بأن « السينما » قد حلّت محل المسرح وقد تناولت منه المشعلَ، لتمضي به أَسطع توهجا ، وأَبعد مدى، بَيْد أَنّ هذا لا يمنع أَن يبقى للمسرح نوع من الحياة في اطار ضيق وإن فقد ما كان له من سيادة وقيادة.

وفي معتقدي أَن المحاولات التي يبذلها للمسرح أَنصارُه ومحبُّوه، جديرة أَن تشُدّ من عَضُده، ولكن هذه المحاولات مهما تبلغ من قوتها لا تحتفظ للمسرح بما كان له من مركز الزعامة ولا تستطيع أَن تزحزح « السينما » عن مكانها الذي سمت إليه، لتؤدّي فيه رسالة الفن على أَوسع نطاق...

في الغرب والشرق جميعا جمهرة من المفكرين ينعون على « السينما » أَنها ليست من الفن في شيء بل إنها تقضي على الروح الفنية التي أَذكاها المسرح، وبثها في جوانب المجتمع البشري ولهذه الجمهرة من المفكرين معارضون كثيرون ينتقصون من قدر المسرح، وينادون بأنه ليس إلا طورا من أَطوار الفن عتيقا، لم يعد للتقدم العصري كفئا، فعلينا أَن نقوم على تكفينه، وأَن نشيعه إلى مقره الاخير، نُهِيلُ عليه تراب النسيان.

واولئك الذين يضيقون « بالسينما » يأخذون عليها أَنها آلية « فهي تعتمد على الآلة كل الاعتماد وليس ضيقهم « بالسينما الا نوعا من ضيقهم « بالالية » في كل مظهر من مظاهرها في العصر الحديث. إذ يحسبون أَن هذه الآلة لا تمتد إلى لون من أَلوان الفنون إلا أَفقدته عنصره الاصيلَ، وجوهره الرفيعَ. فهل صدق الساخطون على الآلة في حسبانهم أَنها تقضي على الفن، أَو على الاقل تمسخه وتشوه جماله ؟...

شَـدَّما يغلـون في هذا الحكم وشَدَّ ما يستسلمون لاوهام الفروض والتخمينات حين يستشعرون الذعر من الآلة، ويقدورن لها أَوخم الآثار...

وعلينا أَخيرا أَن نؤمن بأن المسرح ليس إلا مظهرا للفن، وأَن الفن جوهر يتطور مظهره ويتغير، فهو بالامس مسرح، وهو اليوم « سينما » وقد يكون في الغد القريب أَو البعيد شيئا غير « السينما » وغير المسرح جميعا... فلنكفكف من غلوائنا في تقدير المظاهر ما دام الفن في جوهره بخير.

محمود تيمور

13 ـ الادب والسينما

إذا كانت خطب الخطباء يمكن أن تحفظ بعدئذ في الوعاء الثابت بوضعها في كتاب . وكذلك المسرحيات يمكن أن تحسب في الأدب الثابت بوضعها في كتاب. فمن ألوان الفن مالا يمكن أن يقدم إلى الناس إلا في وعاء هو الوعاء المتحرك، من ذلك فن الصور المتحركة « كالسينما » فهي فن السرعة التي تخطف البصر. وهي من أجل ذلك يجب أن تتحرر من كل ما يدعو إلى التمهل... فأنت في « السينما » لا تستطيع أن تتمهل لتفهم أو لتتذوق أو لتعجب أو حتى لتصفق دون أن تفوتك عجلات الشريط التي تدور بسرعة البرق ولا تستطيع انتظار من يريد أن يتأمل أو يتفكر... هذا الفن السريع يقوم على لغة أخرى غير لغة الأدب المكتوب.

قال لي مخرج أجنبي ذات يوم : إذا أردت أنت أن تعبر عن معنى من المعاني فإنه تكفيك عبارة لغوية قوامها الكلمات. اما أنا فاحتاج إلى عبارة سينمائية قوامها المرئيات : « والحق أن فنان السينما » عليه قبل كل شي أن يترجم كل فكرة إلى حركة منظورة في حين أن الاديب يترجم الحركة المنظورة الى فكرة... فوقائع الحياة وأحداث المجتمع وحوادث الافراد تمر

أَمام الأَديب فيلاحظ دقائقها ويحاول تصويرها ونقلها إلى الورق... وهي ذاتها تمر أَمام رجل السينما فيلاحظها هو الآخر في دقائقها ويحاول تصويرها ونقلها إلى «الشاشة» غير أن هناك فرقا كبيرا بين عمل الرجلين فالسينمائي ينقل أَمام مشاهده صورة بالفعل ولكن الأَديب لا ينقل لقارئه صورة بل ينقل معنى، هذا المعنى هو الذى يثير في رأس القارىء صورة... فالأَديب إذن لا يستطيع أَن ينقل الصور الا عن طريق المعاني على حين أن السينمائي يستطيع أَن ينقل الصور صورا عن طريق مباشر... فالمعاني إذن أداة الأَديب... كما أَن الصور المرئية هي أَداة السينمائي... ولما كانت المعاني أَوسع نطاقا وأَعمق عالما من الصور المرئية، لأَنها تشمل ما يرى بالعين وما لا يمكن أَن يُرى، كما تشمل كلّما يمكن أَن يقع في مرتفعات العقل المتأمّل وفي أَغوار النفس المعقدة وفي ابعاد الذاكرة المظلمة، وكل ما يسبح في محيط الفلسفة والتصوف والتفكير والتجرد... فلذلك وقفت السينما أَمام واجهة الأَدب المنظور البراقة دون أَن تجرؤ على ولوج بابه، والتوغل في دهاليزه وسراديبه.

توفيق الحكيم

(فن الأدب)

14 ـ الاذاعـــــة

كان الفكر في العصور المواضي لا يجد متنفسا ولا مفيضا إلا في الكتاب والمجلس. أما هو في هذا العصر فقد وجد فيهما وفي أنهار الصحف وعلى أمواج الأثير وفي دور التمثيل والعرض من وسائل الشيوع والذيوع ما لا غاية بعده. وأقوى هذه الوسائل وأعمها الاذاعة وعلى الأخص في الأمم الأمية لأنها تنقل الفكر الى الذهن عن طريق السمع فيستوي لديها الأمي والقارىء والعامي والمثقف والضرير والمبصر والبعيد والقريب والبادي والحاضر والمنقطع عن العُمْران والمتصل به.

والصحافة تلي الاذاعة في ذلك ولا تجاريها لأن انتقال الفكر عن طريقها مقيد بإحسان القراءة. والقراءة في الأمم الجاهلة لا تتهيأ لأكثر الناس لذلك كان رواج الصحافة رهنا برواج الثقافة فكلما انتشرت المدارس انتشرت الصحف فهي في العاصمة أذيع منها في الأقاليم وفي المدن أروج منها في القرى

فحـالها أَشبه بحال الكتاب يروج مع العلم ويكسد مع الجهل وليست كذلك الاذاعة ومن هنا كانت الدعاية والهداية والتثقيف والترفيه عن طريقها أَتّم وأَعّم وأَقوى وأَقرب .

وللإِذاعة المقام الأَول في السياسة الدولية ولقوة أَثرها وجلالة خطرها جعلوا أَمرها في أَيدي الحكومات تصطنعها في السلم النافعة والضارة وتستخدمها في الحرب الباردة والحارة وتتخذ منها اداة فعالة لتوجيه الرأي الشعبي في الداخل وتبصير الرأي العالمي في الخارج فضلا عمّا لها من عظيم الفضل على عامة الشعب في تهذيب نفوسهم بالأَدب والفنّ وتثقيف عقولهم بالعلم والحكمة وتفريج كروبهم بالغناء والموسيقى .

فإِذا كانت الصحافة ملكة ذات جلالة فإِن الاذاعة جمهورية ذات سلطان .

أحمد حسن الزيات

ابراهيم الموصلي وابليس

حدث ابراهيم قال : سألت الرشيد ان يهب لي يوما في الجمعة لا يبعث فيه الى بوجه ولا بسبب لأخلو فيه باخواني فأذن لي في يوم السبت وقال : « هو يوم استثقله فاله فيه بما شئت » . فأقمت يوم السبت بمنزلي وتقدمت في اصلاح طعامي وشرابي ، بما احتجت اليه ، وأمرت بوابي فأغلق الابواب وتقدمت اليه ألا يأذن على لأحد .

بينما انا في مجلسي والخدم قد حفوا بي ، وجواري يترددن بين يدي ، اذا انا بشيخ ذي هيئة وجمال عليه خفان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة ، وبيده عكازة مقمعة بفضة وروائح المسك تفوح منه حتى ملأت البيت والدار فداخلني بدخوله علي مع ما تقدمت فيه ، غيظ ما تداخلني قط مثله ، وهممت بطرد بوابي لاجله . فسلم علي احسن سلام فرددت عليه ، وأمرته بالجلوس فجلس . ثم أخذ في احاديث الناس ، وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى تسلى ما بي من الغضب ، وظننت ان غلماني تحروا مسرتي بادخالهم مثله على لادبه وظرفه . فقلت : « هل لك في الطعام ؟ » فقال : «لا حاجة لي فيه » فقلت :« هل لك في الشراب ؟» قال :« ذلك اليك » فشربت رطلا وسقيته مثله فقال لي :« يا أبا اسحاق هل لك ان تغني لنا شيئا من صنعتك ، وما قد نفقت به عند الخاص والعام ؟» فغاظني قوله ثم سهلت على نفسي أمره فأخذت العود فجسسته ثم ضربت فغنيت . فقال : أحسنت يا ابراهيم » فازداد غيظي ، وقلت : « ما رضي بدخوله علي بغير اذن ، واقتراحه ان اغنيه حتى سماني ولم يكنني ، ولم يجمل مخاطبتي . ثم قال :« هل لك ان تزيدني ؟» فتذممت فأخذت العود فتغنيت ، فقال :« أجدت يا ابا اسحاق ! فأتم حتى نكافئك وتغنيك » . فأخذت العود ، وتغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته اياه قياما تاما ، ما تحفظت ولا قمت بغناء مثله بين يدي خليفة ولا غيره ، لقوله لي : « اكافئك » فطرب وقال : «أحسنت يا سيدي !»

ثم قال : أتأذن لعبدك بالغناء ؟ فقلت : «شأنك واستضعفت عقله في ان يغني بحضرتي ، بعد ماسمعه مني . فأخذ العود وجسه وحبسه ، فوالله لخلته ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعته من صوته ، ثم تغنى :

ولي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبدا ليست بذات قروح
اباها على الناس لا يشترونها ... ومن يشتري ذا علة بصحيح

قال ابراهيم :« فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكل مافى البيت يجيبه ويغنى معه ، من حسن غنائه ، حتى خلت ، والله انى اسمع اعضائى وثيابى تجاوبه، وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبى ٠» ثم غنى :

الا ياحمامات اللـوى عدن غـودة فـانى الى اصواتكـن حـزيـن

فكاد ، والله أعلم ، عقلى ان يذهب طربا وارتياحا لما سمعت ٠ ثـم غنى :

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادنى مسراك وجدا على وجد

ثم قال :« يا ابـراهيم هذا الغناء الماخورى ، فخذه وانح نحوه فى غنائك ، وعلمه جواريك » فقلت :« اعده على » فقال : « لست تحتاج ، قد اخذته ، وفرغت منه » ثم غاب من بين يدى ، فارتعت وقمت الى السيف فجردته وعدوت نحو ابواب الحرم فوجدتها مغلقة ، فقلت للجوارى :« أى شىء سمعتن عندى فقلن : « سمعنا أحسن غناء ما سمع قط » فخرجت متحيرا الى باب الـدار فوجدته مغلقا ، فسألت البواب عن الشيخ ، فقال لى : « اى شيخ هو ؟ والله ما دخل اليك اليوم احد » ٠ فرجعت لأتأمل أمرى ، فاذا هو قد هتف بى من بعض جوانب البيت :« لا بأس عليك يا ابا اسحاق ! أنا ابليس ، وأنا كنت جليسك ونديمك اليوم فلا ترع »٠

فركبت الى الرشيد وقلت :« لا أطرفه أبدا بطرفة مثل هذه » ٠ فدخلت اليه فحدثته بالحديث فقال : « ويحك ! تأمل هذه الأصوات ، هل أخذتها ؟ فأخذت العود امتحنها فاذا هى راسخة فى صدرى كأنها لم تزل ٠ فطرب الرشيد عليها ، وجلس يشرب ، ولم يكن عزم على الشراب وأمر لى بصلة ٠

أبـو الفرج الاصبهانى
(الأغـانى)

1 ـ الفن الشعبي

الفنون الشعبية هي الفنون الفطرية التى تصدر عن عامة الشعب في أي بلد من البلاد عن احساس فطري صادق لا أثر للحضارة فيه ولذا فإننا نلمح فيها جمال السذاجة والبساطة فى التعبير.

والفن الشعبي ليس مقصورا على الفنون الشكلية وإنما نجده في الأدب والموسيقى والغناء والتمثيل وغيرها...

فقصص (أبي زيد الهلالي) والزجل ونظم المواويل والترنم بها على الناي والتمثيليات البسيطة وغيرها كلّها أمثلة من الانتاج الفني الذي يصدر عن عامة الشعب في حدود مستوى معين يختلف في طبيعته عمّا ينتجه الخاصة من الفنانين ذوي الثقافة الممتازة الذين يتطلعون إلى آفاق عليا ويسعون نحو تحقيق مثل أعلى في مختلف أنواع الفنون.

وما نراه من إنتاج فنّي لعامة الشعب قد يكون نتيجة لاشباع الرّغبة الفنّية فيما يقصد به المنفعة الشخصية أو وليد الصدفة فيما يقصد به البيع والتجارة. وسواء كانت الرّغبة الفنّية أو الصدفة هي مصدر جمال هذا الإنتاج فإن حب ما هو جميل من أشكال وألوان ونغمات وغير ذلك صفة إنسانية عامة لا صلة لها بالفروق الثقافية بين العامة والخاصة.

وإننا نلاحظ في الانتاج الشعبي للفنون الشكلية أنّ لكلّ بيئة فنا شعبيا خاصا يتميز بها فالبلد الذي يكثر فيه التخيل تروج فيه صناعة السلال والأقفاص والمراجين والمنشات وغيرها مما تعتمد صناعته على الخوص والسعف واللّيف فيتفنن أهلها في تنسيقها وتجميلها ويبتدعون لها الاشكال والألوان وفق ميولهم وإحساساتهم الفطرية .

وقد يتميز بلد آخر بالأواني الفخارية ذات الأشكال والرّسوم والألوان في حين يتميز غيره بالنسيج المزركش بالخيوط المختلفة الألوان... وغير ذلك من أعمال تكون في مجموعها الفن المميز لهذا البلد.

يتضح من هذا أن لجو البيئة وخاصياتها المحلية وحاجاتها وظروف المعيشة فيها أثرا كبيرا في الانتاج الفني لهذه البيئة.

ومن أمثلة الفنّ الشعبي التي نراها بيننا بوجه عام رسوم الخيام وزخرفتها والرسوم والنقوش على جدران المنازل الداخلية والخارجية في مناسبات الحج أو في الأفراح وعرائس المولدو غير ذلك مما يصدر عن إحساسات فطرية خالصة لا تحكم فيها ولا تقيّد بأصول معينة من الفن والثقافة.

والفنّ الشّعبي يشترك مع فنون الأطفال من حيث هذه الفطرية والتّلقائية التي يتميز بها كلاهما ذلك لأن الطفل والفنّان الشعبي يعبران دون قيود مفروضة أو قوانين فنية أو ثقافية معينة .

عن كتاب (في التربية الفنية)

2 ـ أهمية الادب الشعبي

في بلادنا أدب يجب أن لا يهمل: هو أدب العامة الذي ندر من عُني به من الأُدباء مع أنه قادر على إخراج جَنى خصيب طلي لو اهتم كل كاتب بحكايات بلدته واقليمه فدّون ما يتناشده الشعب الساذج في حفلات الأعراس والمآتم وما ترويه الرّواة عن أبطال القرون الغابرة. غير أن فرعا من ذلك الأدب في ازدهار أعني الزّجل، الشّعر العامي الجميل الذي يُفصِح عن الروح الشعبية برشاقة وطلاوة وبلهجة التخاطب العادّي والمحادثة اليوميّة . . .

إن لكلّ إقليم بيانه الأدبي المرويّ الذي يترجم عن الرّوح القديم في أساطير وأناشيد باللغات العامية، وحكايات تضمّنت اعتقادات سرّية مقبلة عن أعماق الدّهور، وذكريات حبّ وحنان وتضحيه وتفجع ، ونفثات شعرية ذات سحر مستغرب حضان ألحان الشّعب وأساطيره وحكاياته تعبر عن خلقه القيّم وصبره واحتماله وتحدث عن عبقريّته الفطرية وعن آماله وأحلامه. ومن الخسارة الفادحة أن تهمل تلك الآثار وتلك الألحان لأنها صائرة شيئا فشيئا إلى النسيان والفناء .

عن مي زيادة

3 ـ حفلـــــة عـــــرس

قبل ليلة العرس بيومين تستدعى الاحباب من كُـلٍّ على أن تكون الملاقاة في أحد المساجد عند صلاة العصر لمن دعاه الزوج وأما المدعوون من أبي الزوجة فيقدمون إلى داره توا ثم يقدم أبو الزوج أو وكيله مع من دعاه لدار الزوجة وبعد الجلوس والدار مزينة وبوسطها جميع الجهاز الذي أحضر للعروس ليرفع لداره على هيئة منظمة يخطب الخطيب وهو أحد الشهود المتخذين الشهادة صناعة وتارة لبعض الأعيان يخطب أحد أهل المجلس الشرعي أو غيرهم من العلماء ويقع الايجاب والقبول ولا يكون من الزوج والزوجة بأنفسهما بل ان كان لهما أب فهو أولى أو ولي آخر أو وكيل. وبعد ذلك تقرأ الفاتحة من الحاضرين الذين يبلغون أحيانا إلى ألف فما دونها وتضيق بهم دار الزوجة وربما لا تتحملهم الدار لانه كثيرا ما لا يتفاهم الأصهار على عدد المدعوين وإن وقع التفاهم وكانت الدار لا تحملهم جعل العقد في أحد المساجد ليسع الجميع. ثم يسقى الحاضرون ماء محلى بالسكر فيه أنواع

الطيب. ثم يرشون بمياه الطيب وينصرفون إلى الخواص من الاحباء فيرفعون الجهاز على حيوانات ويطاف به في البلاد ليرى مبصر ويسمع واع وتفرش به بيت الزوج .

وقبل ليلة العرس بيوم تصنع وليمة بالحلويات الخفيفة على مائدة مستطيلة كبيرة في أحد البيوت حولها كراسي ويدعى إليها مئات من الناس من أول النهار إلى ما بعد نصفه كلما جاء فوج أدخل أعيانه ليروا بيت الزوج ثم أدخلوا جميعا إلى المائدة فيأكل كل شيئا يسيرا من الحلوى ويشرب قليلا من المشروبات الملونة الحلوة ويقرؤون الفاتحة وينصرفون. ثم ترفع المأكولات والمشروبات لتعود كأصلها ويدخل إليها فوج آخر وهكذا إلى الختام وقد يعوض عنها بعشاء في النصف الثاني من النهار وهو محتو على مطبوخ من اللحم والطير والسمك والحلويات على مائدة واحدة وتدخل عليه الناس أيضا كما مر غير أن الأكل منه أكثر من السابق وإن لم يكن حقيقيا للشبع وقد يعوض عن الجميع بوليمة ليلة العرس لمجرد أحباء الزوج وأقربائه. ثم يؤتى بالعروس بعد الغروب هي وقرابتها في كراريس يرسلها الزوج أو وليه ويذهب للاتيان بها أحد قرابات الزوج ويُهْدَى إلى العروس في ليلة العرس ما يسمى « قصان الدلال » والهدية على أقرباء الزوج وكذلك في ليلة الوطية الكبرى وهي قبل العرس

بثلاثة أيام لحنة العروس والمُهْدِي قرابة العروس كما تهدى العروس للزوج وبعض الرجال من قرابته كأبيه وأخيه شيئا من الملبوس. وبعد خروج العروس من دار أبيها تجتمع جماعة النسوة اللاتي يردن الذهاب لدار الزوج ويوقدن الشموع ويذهب معهن أقرباء العروس من الرجال ومن أتى لمصاحبتهم من أقارب الزوج لكن هؤلاء يمشون في مقدم الموكب والآخرون في آخره والنسوة في الوسط ويصرن يولولن في الطريق ويدققن الأبواب ويصرخن: يا سعد يا سعد! ثم يدخل الزوج على عروسه.

ولا يعرسون إلا ليلة الجمعة والاثنين والخميس ولا يعرسون في المحرم تشاؤما وبسبب ما تقدم من كثرة المصاريف عُضِلت بنات من يخشى على عرضه وتفقرت أقوام ولا حول ولا قوة إلا بالله.

محمد بيرم
(صفوة الاعتبار)

4 - عرس في قرية

لا يسمع المقبل على القرية الزاهية في هذا اليوم السعيد إلا دق الطبول وأنغام المزامير وغناء الشبان الحافلين وزعردة النساء الحافلات... تستقبله القرية مبتسمة وما كان لها ابتسام في غير أيام الأُنس والمسرات. ويعرضه الأَطفال وهم يتبخترون في ثياب جديدة مزركشة. وما كانت لهم زينة في غير أيام المواسم والأَعراس

ويؤم المقبل محل العريس ليهنىء الأَهل والأَقارب فيستقبله الجمع بالترحاب والممازحة ويجلس بينهم وهو ضاحك مداعب مسرور...

وكلما وفد على الجمع من أَلفوا منه الهزل والفكاهة في إحدى الحفلات الماضية صفقوا له وهتفوا باسمه فرحا بقدومه ووقف هو في وسطهم يرقص على نغمة تصفيقهم، وهم يصفقون وهو يرقص ويرقص، ويفتن في رقصه إلى أَن يعروه الفشل ويعييهم الضحك فيرتاح ويرتاحون ويهدأَ ويهدأون.

وسرعان ما قرب الزوال فأخذنا في تنظيم الموكب الموفد إلى أَهل العروس ليتسلّمها منهم ويعود بها إلينا.

نظم الموكب : هودج بسيط زيّن جمله بأَنواع الحرائر

المختلفة الألوان وكلل بحُلِيٍّ فضية وذهبية . فظن أنه هو العريس وخرج يتقدم الموكب وهو يجيل البصر يمنة ويسرة كأنه يفتش عن ناقة مجهولة لِتُزَفَّ إليه . . . !

وما إن وصلوا إلينا حتى اعتَلَتْ زغردة النسوة من ورائنا ترحيبا بقدوم العروس . ودوت الساحة دويا اختلط فيه دق الطبول بأنغام المزامير وطلقات البنادق بصهيل الخيل وغناء الشبان بزغردة النساء ونباح الكلاب بصياح الأطفال . . .

ولما استقرت العروس في بيتها وهدأ الموكب دعي جميع الحاضرين إلى الوليمة وملئت القصاع بالكسكسي الشهي وانقسم الناس جماعات كل جماعة دارت بقصعة تأكل وتتلذذ في جو ملؤه الصفاء والمودة . . .

فرغنا من الأكل وكان الليل قد أسدل علينا سُجُوف الظلام فأدخلنا العريس إلى بيته ليزف إلى عروسه وعدنا إلى ساحتنا المنبسطة لتقضية ليلتنا هذه بين لهو وزهو في حفلة طرب ريفية . . فيها الغناء وفيها الادب وفيها الفن . . .

وأقبل الصبح يغني، وقد أرسل رويدا رويدا ضياءه ونوره على البادية الجميلة الهادئة فجيء إلينا بقصاع العصيدة وهي آخر ولائم العرس . . .

ثم تفرقنا وآب كل إلى بيته .

علي بن هادية

5 - نواح في الافراح

قالت لي والدتي : « هلا ذهبت الى بيت قريبك فلان، والليلة « جِلْوَة » ابنته فتودعها مع المودعين فإني لا أرى زوجها يسمح لك برؤيتها بعد الزفاف . وقمت فجئت بيت قريبي فإذا هو مضاء بكل أنواره، منار بابتسامات رسمها الفرح على وجوه عائلة تزف عزيزتها. فلا تسمع إلا كلمات المجاملة وضحكات النسوة الفرحات و « زغاريطهن » تزيد الجو سرورا وفرحا.

ثم إذا الاصوات تخفت كالشمعة تنطفيء بغتة وإذا الوجوه واجمة والضحكات و« الزغاريط » تموت مختنقة في حناجر النسوة ويعقب هذا بكاء ودموع تنهمر. ماذا وقع؟ أي حادث ترى قلب فرحنا مأتما ؟ لا شيء .إنما هي العائلة - حسب العادة استقدمت جوقة طرب « للتعليل » على جلوة العروس و « قص دلالها ».

وفعلا فإن أصواتا ضعيفة كابية كامدة كالالوان التي أتت عليها الشمس ارتفعت « بتعليلة»:(لااله الا الله، والفرح واتانا كل من عادانا ، جانا وهنانا) في نغمة هي للعويل والنواح أقرب منها لاي شيء آخر. نغمة كان أجدر بها أن تُوقَّع في جنازة ميت من أن تغني في ليلة زفاف. ثم أتبعت الأصوات ذلك بـ : (دوح دوح دوح. ماندوحشي نمشي للحمام وما نروحشي) وهي عويل آخر ليس من شأنه الا أن يزيد في إيحاش فتاة خارجة من بيت نشأت فيه وكل ركن فيه آلاف من ذكريات طفولتها وشبابها وهي ستتركه إلى بيت مجهول وستغادر فيه أبوين حنونين خلقت منهما وترعرعت بين أحضانهما إلى عروس لا تعرف منه الا اسمه.

ومن لا يبكي وهو يستمع الى هذا النواح : « يا دار بابا تبقى على خير » نغمات بالرغم عن تفاهة معنى الكلام وقبح ألفاظه. دخلت قلوبنا وأخرجت أحسن ما فيها من فرح ورأيت العروس فإذا وجهها منتفخ وعيناها تنهمر دموعا وأصباغا وأنفها محمر. . .وقد أتى سيل الدمع على ما كان على وجهها من مساحيق. حقا إنه لمنظر مؤسف !

عـــلي الدوعاجي

6 ـ زائرات الزوايا

يزور النساء جميع المقامات والزوايا ويتفرغن يوم الجمعة لزيارة زاوية سيدي فتح الله التركي. فإن لهن جماعة من المداحات الغنّايات يسمينهن « الفقيرات » أو الربابية » أو « الماشطة ». وصورة عملهن أن إحداهن توقع على الرباب أو على الجرانة والاخريات يوقعن على الطار والدربوكة والدفوف ويترنمن بمديح يندر أن يستعذب منه شيئ وربما رقصت (شطحت) احدى الزائرات رقصا غير منتظم يدعو الى الاعتقاد بأنها في حالة عصبية شبيهة بالجنون بدعوى أن الجنون يسكنون رأسها واحيانا تتكلم وهي في تلك الحالة بلسان ذلك الجن الذي يسكن رأسها وتدّعي أن اسمه سيدي الشريف أو سيدي الاخضر أو غير ذلك من الاسماء. وقد تبدل بعض ملابسها الخارجية حالة الرقص بدعوى أن الذي يسكن راسها هو الذي حكم عليها بذلك

وتبلغ هذه الاحتفالات النسائية حدها من كثرة الزائرات والمتفرجات وتباع الحلويات وبعض الفواكه بواسطة عجائز هذه صناعتهن. ففي تلك الايام ترى أفواج الزائرات يهرعن إلى تلك الزوايا مستصحبات نذورهن المنوعة.

الصادق النرزقي

(الاغانى التونسية)

7 ـ سيدي المؤدب

كان المؤدب رجلا طيبا ولكنه قاس شديد وكان تقيا ولكنه بخيل. وكان يعلم عن جارته الارملة ما يعلمه كل الحيران: أرملة في الخامسة والعشرين جميلة زاهية ولكنها عفيفة وكان للمؤدب طفل ماتت أمه ساعة وضعه. فخطب الارملة وتزوجها فأصبح لسيدي المؤدب زوجة وللارملة ثلاثة أولاد.

وما تزوجت الارملة بالمؤدب حتى أصبحت الزاهية الضاحكة العابثة في مثل ورع المؤدب ومثل تقاه: تؤدي الصلاة في أوقاتها ولا تكلم طارقا من خلف الباب. ولم يكن لمؤدبنا هذا إلا عيب واحد أو على الاصح ضعف واحد هو حبه لجمع المال جَمْعًا لَمًّا والمال قوام الأعمال ولا يقام عنده الدين إلا بالدنيا.

كانت عادتنا أن نحتفل بأسبوع المولد على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وكنا ننشد القصائد المولدية طيلة الاسبوع السابق ليوم المولد. وفي اليوم السابع منه ـ ليلة المولد ـ يأتي « مفرق » الاوقاف ليوزع على جميع صبيان الكتاتيب نصف ريال لكل صبي حُبَسًا مُوقَفًا على أذكار المولد في الكتاتيب. وكنا ننشد يومئذ أناشيد واسماعنا مرهفة تتوقع وقع خطى المفرق فما

سمعنا خطى إلا ارتفعت أصواتنا في سلمها الموسيقي بقدر ارتفاع خطى المفرق على سلم الكتاب. وكان الظن السائد بيننا أن المفرق لا ينقُدُنا أنصاف ريالاتنا إلا إذا سمع (دوكاتنا وعراقاتنا وحجازاتنا) من نصف طريقه إلينا ولم نكن نعلم بالضبط ما كان يأخذه المؤدب من الحبس. إلا أنا كنا نراه يتسلم شيئا من المفرق (على البركة) ولا يعده إلا بعد قراءة الفاتحة وخروج المفرق. ففينا من يقول بأن المبلغ مائة ريال فضة. وفينا من يراها ريالات معدودة إلا أن الغالب على ظننا أن المبلغ ضئيل لانا كنا نرى المؤدب على ما عرف به من ورع - لا يتركنا نخرج بأنصاف ريالاتنا كاملة. فالعادة التي سنها بيننا هي أنه كان يجري علينا في ذلك اليوم امتحانا شديدا (وشديد جدا نظرا لانا كنا تركنا كل مراجعة طيلة سبعة أيام) ومن وَجَدهُ يتلكأ في سرد الآيات المطلوبة أغرمه غُرما ماليا يتراوح بين ثلث الريال وسدسه. ولكنه لا يتشدد في تقدير الغرم إلا على الاطفال الأثرياء وكان أباؤنا لا يرون في ذلك إلا دليلا على شدة اعتناء المؤدب بتعليمنا.

علي الدوعاجي

8 ـ عـــــــــاشوراء

الاحتفال بموسم عاشوراء بسيط جدا اذ يزورون فيه المقابر ويتصدقون فيه على الاموات بصدقات وافرة. ويخـرج ذَوُو الفضل منا والسّعةِ ما أَوجبه الله عليهم من الزكاة. وربما عمد بعض الاغنياء والسعة إلى جملة من أَبناء الفقراء فالبسهم الكساء المناسب وأَجرى ختانهم في احتفال لائق.

وفي هذا الموسم تصنع طبول صغيرة وطِيران ودرابك مزدانة بالصور الملونة يشترونها للصغار وتباع في هذا الموسم فواكه كثيرة يشتريها الناس بقصد التوسعة على العيال وإدخال السرور على الصغار. وربما صام بعضهم هذا اليوم ابتغاء الاجر والثواب من الله تعالى وفيه يكتحل النسوة والبنات وبعض الرجال بالاثمد. ومن عوائد النسوة أَن لا يولولن في هـذا الشهر كله ولا يباشرن الحركة وعلى الأَخص الخياطة والغزل والطرز يوم عاشوراء ويومين بعـده. ويلعب الاولاد في هذا الموسم بطلق النفط والبارود ويشعلون أَكداسا من الحشيش الشائح يتمططون عليها بعد التهابها وتسمى «اللهلبة» وكانوا في الماضي يلبسون أَحدهم من التماثيل ما يشابه جملا يسمونه « قعيد عاشوراء » ويطـوف به صغـار سفلـة القـوم في الحارات وهم يترنمون ببعض الاغاني الساقطة برنة متساوقة.

الصادق الرزقي
(الاغانى التونسية)

9 ـ الخرجات القادريه

القادرية طريقة الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي المتوفي ببغداد سنة 571 هـ. والذي يعبر عنه خصوصا من طرف أتباعه بالقطب الرباني والهيكل الصمداني وبمصباح أهل الحقيقة وبسلطان الصالحين وبراعي الحمراء وببودرباله وبولد أم الخير وبمصباح الظلام. ولهذه الطريقة انتشار عظيم جدا في كافة أنحاء القطر التونسي وبين سائر الطبقات. وفي كل مدينة أو قرية لا بد من وجود مقام يجتمع فيه أتباع سيدي عبد القادر للقيام بتلاوة اذكاره فيه. ويسمى هذا المقام زاوية سيدي عبد القادر أو زاوية القادرية...

أما خروج الجماعات بموكبهم الرسمي فلا يكون إلا لأمور مهمة من إقامة العمل بضريح أحد الأولياء كخروج جماعة القادرية بالحاضرة إلى زاوية السيدة المنوبية رضي الله عنها أو الخروج لوليمة ختان أو إيصال عروس إلى بيته عند أول دخوله على عروسه أو تشييع حاج أو استقباله أو ختمةٍ أو غير ذلك من الاحتفالات.

والخرجات عبارة عن خروج فقرة الزاوية بالذكر والمديح والأعلام والجراب والطاسات فعند تعيين اليوم المعد للخرجة يصدر شيخ الزاوية الإذن للباش شاوش بالتهيء لذلك. فمن أعمال

« الباش شاوش » المذكور التنبيه على جميع فقرة الزاوية بالحضور في الوقت المعين وتعريفهم بالجهة التي تقصدها الخرجة وذلك بواسطة الشاوش ليتهيأُ والها بلبس ثياب الزينة وتعطيل الشغل في ذلك اليوم أَو المدة. أَما «الباش شاوش» فإنه يجري التفقد على الماعون وهو النغرات والطيران والدفوف ويتفقد الحرير أي الأَعلام وغير ذلك من اللوازم فلا يأتي اليوم المعين حتى تكون جميع الاستعدادات حاضرة.

ففي ذلك اليوم تأتي الفقرة زرافات ووحدانا وقد تجملوا بثياب الزينة والأَعياد وتأتي العلاَّمة وكلهم متجملون بثياب في الأَكثر. ولباسهم هو« المحصور » أي المجرد عن لبس الجبة والبرنوس وعليهم كساوي غالية الثمن متركبة من شاشية وكشطة مطروزة بالحرير من عمل الهند وصدرية وفرملة وغليلة كرمسود ان كان الوقت حرا أَو ملف رصاصي اللون إن كان بردا وقد جعلوا على أَكتافهم كبوطا قصيرا يصل إلى محزم الرجل بطربوش وأَيد وقد اتَّشَحَت الكسوة والكبوط بالحرير على غاية من الاتقان في الطرز. أَما الكبوط فيكون محتويا على شَرَابات من الحرير المفتول فتلا محكما على شكل لطيف. وفي أَوساطهم شمالي الحرير الملونة أَومناطق الجلد الرفيع المطروزة بالذهب. وكل لباسهم على غاية

من النظام وربما عصبوا على الكبابط محارم الحرير (تقارط) الملونة. فيخرجون الحرير أي الأعلام ويركبونه في أعمدته ويضعون المحامل على أكتافهم وهي عبارة عن عصي مخروطة في نصفها حلقة من نحاس حيث توضع ذبابة مؤخر العلم مشدودة الطرفين بسير من الجلد مطروز بالحرير يضع العلام على كتفه. ويتقدمون بنظام حتى يقفوا أمام بعضهم ظهرا لوجه يبعد الواحد عن الآخر ميتروين أو ثلاثة على صفين يمينا وشمالا تاركين بينهما مسافة تتراوح بين الميتروين أو الثلاثة. ويتقدمهم باش علام واقفا وسط مقدمة الصفين على بعد ميتروين الباش سقّا، وقد ركب فرسا مزدانة اللجام والحرج بالرياحين وحمل عليه مشك (قربة) كبير مملوءا بالماء. وخلف الباش سقا جماعة السقائين وأكثرهم من الشبان المراهقيق قد لبسوا أحذية خفيفة حمراء وشدوا المحارم الحريرية على الكبابط التي لبسوها وبيد كل منهم طاسة من نحاس منتقشة نقشا حسنا قد شدت بسلاسل رقيقة من نحاس أصفر وزينت بالنور والزهور والرياحين وملئت ماء معطرا. فيجرون بينهم ألعابا من كَرٍّ و فَرٍّ فيجيلون تلك الطاسات على رؤوسهم بخفة عجيبة بدون أن تهرق منها قطرة ماء. ومن وراء السقائين بعض الشواش يحملون الحراب الملونة بالاخضر

والاحمر. وأمام هـؤلاء الذين يحـملون الحراب عـلّام وعشاق. فالعلام يحمل شبه لواء صغير معلقة فيه مبخرة من نحاس كبيرة كالطبق مشدودة لذلك اللواء بسلاسل. والعشاق بيده حقة بها البخور فيضع البخور من حين إلى آخر ويعشق أي يقول : «العاشق في النبي صليوا عليه ! يا ماذا تربح وتنال يا عبد تصلي على رسول الله ! قلبك عامر يا للي تصلي على النبي ! ثم يقول : « يا سلطان الصالحين ! يا بابا عبد القادر » ويقول : « سرك حاضر يا ولد أم الخير يا بابا محيي الدين يا جيلاني ! »

وخـلف هؤلاء كلهم جماعـة العمل ملتفين صفوفـا حول شيخهم وبأيديهم البنادر (الدفوف) والطيران والنغرات وخلفهم شيخ الطريقة وخلفه علام يحمل على رأس الشيخ علما أخضر فيشرعون في المديح بصفة ترسل وهزج قريب من الخفيف وفيه الخفيف أيضا. ويسير الموكب إلى المحل المقصود على هذا المنوال

الصادق الرزقي (بتصرف)
(الأغاني التونسية)

الحلاق

كنت ذات يوم متوجها الى محطة القطار لسفر دعانى ، اذ مررت بدكان بعض الحجامين فقلت فى نفسى : « بقيت نصف ساعة للرحيل فلا بأس ان ادخل وأحسن من زيى بعض الشىء » ثم قصدت الدكان وبادرت الى الدخول ولم افكر فى الخروج.

دخلت وسلمت واذا الحلاق مشغول . بين يديه رأس استرسل شعره وطالت لحيته فقلت فى نفسى : « قد يذهب نصف ساعتى ولا يفرغ الحجام من حلق هذا التيس » وهممت بالرجوع من حيث أتيت ولكن الحجام رد سلامى وانتصب أمامى . فصافحنى وعانقنى ولما رأى ما نويته من الخروج أقعدنى وقال : « لا تخش طول الانتظار ليس قبلك غير أخينا هذا وذاك الذى هناك » فتبعت اشارته بالبصر واذا بدوى أشعث أغبر جالس فى قاع الدكان قد تدلى شعره حلقات وانهالت لحيته طيات فقلت : « تختم والله منى الانفاس قبل ان تحلق هذه الرأس .» ثم جمعت الثياب وبادرت الى الباب فقال الحلاق : « أين الذهاب ؟»

قلت :« امر يدعونى » فحال دون الخروج ودونى وصاح :« امرأتى طالق ان تركتك تذهب قبل ان أحلق رأسك .» فبقيت حائرا أى الأمرين أختار الانطلاق وما وراءه من طلاق أم البقاء وما فيه من شقاء ؟ وكرهت ان أكون السبب فى فراق زوجين فجلست وانا اقول : لا حول ولا قوة الا بالله كتفنى هذا اللكع .

ورجع الحلاق الى صاحبه الذى كان بين يديه فشمر عن الساعدين وبل الكفين واستعاذ وبسمل وأقبل على الرأس دلكا وفركا توقعت منه آن المسكين سيصيح من الألم والوجع ولكن ذلك الجلف جعل يستلذ ويستزيد ويقول :« ايه .. ايه .. يا حطاب لقد خففت دماغى وأزلت صداعى رحم الله والديك وبارك لك فى كفيك زدنى زدنى زاد الله فى زادك .» فغمس الحطاب يديه فى الماء وأهوى على الرأس يدلكها حتى كاد ورب الكعبة يمحوها محوا وأوشك صاحبنا ان يذوب استلذاذا واستعذابا ثم بعد مدة ضاق فيها الصدر ونفد معها الصبر أخذ منديلا مسح فيه يديه ونشف به عرقه ثم أخرج موسى وذهب يحد شفرته على جلدة نيطت بحزامه وقد كانت كل حركاته بطيئة لا تبالى بجريان الساعة ولا تقدر لها قدرا ثم بسمل مره ثانية وشرع يحلق فقلت :« لاح الفرج وقرب المخرج » .

وأردت ان أقتل الوقت فأخذت جريدة كانت فى جيبى فما كدت أفتحها حتى انهالت على سؤالات الحلاق يستخبر عن الحرب وأين وصل الضرب وما وقع بين الروس والالمان وما جرى بين الصين واليابان وقبل ان أنبس بلفظة كان هو قد

تركنى كانه نسينى فوضع موساه ناحية وابتعد عن صاحب الرأس خطوة ثم انبعث يروى ما لديه من اخبار تلقاها من الاذاعة أو التقطها عن بعض الباعة ثم ما باح له به موظف كبير أو أسر به اليه خادم الوزير وأردف ذلك بشروحات مطولة أتبعها بتعليقات مذيلة فبقيت مبهوتا من تلك الغرارة فى الخلط والمهارة فى الخبط وفكرت لحظة ان أتظاهر له بالاهتمام حتى أرى أين يبلغ به الهذيان ولكن غلب على القلق وما بعثه فى من الحنق فلما لمح ما بى من الضيق وقد جف منه الريق عاد الى موساه فتناوله ورجع الى رأس الرجل يواصل حلقه فما بلغ نصفها حتى رأيته يهرول نحو الباب، يسلم ويرحب فالتفت واذا شيخ داخل طويل القامة عظيم الهامة كبير العمامة ذو شيبة وهيبة ٠

أكب عليه الحجام وقبل كتفه ثم قبل صدره ثم سبقه الى مقعد طويل عريض قد ارتفع فى صدر الدكان فنفضه وأصلح فرشه وأجلس عليه الشيخ وفتح خزانة أخرج منها وسادة جعلها وراء ظهره وجاء بأخرى وضعها تحت مرفقه فقلت فى نفسى : هذا الشيخ من اهل العلم والأدب وبقيت انتظر منه كلمة تشرح الصدر أو حديثا يعين على الصبر ٠

ولما جلس الشيخ وتم جلوسه وتنهد وتنحنح ارتياحا نادى الحلاق:« يا سالم » واذا شيء يتحرك ويضطرب تحت مقعد الشيخ ثم اندفع وقام واستوى فاذا هو طفل صغير قد كان كامنا تحت المقعد فصاح الحلاق فى وجهه :« أما رأيت سيدى الشيخ قد دخل وجلس منذ حين ؟» ثم لطمه لطمة كاد يقع لها الصبى على الارض وقال له : « اذهب وعجل بفطيرة سيدى الشيخ قبل ان أفتك بك ٠» فانطلق وغاب حصة ثم رجع بفطيرة فى خيط ، يتقاطر منها الزيت ، قدمها الى الشيخ فتناولها فى لمحة والتهمها فى لحظة ٠

هذا وقد رجع الحجام الى حجامته وخرج الصبى مرة أخرى ثم عاد وبيده قهوة فى فنجان توجه بها نحو الشيخ ومن سوء حظه لما مر بى عثر فى رجلى فانكب على الارض وسقط الفنجان وتبددت القهوة واذا الصبى يرتعش واذا الحلاق يرشق فيه عينين قد احمرتا كالجمرتين ثم وضع موساه وفتح الخزانة واخرج منها العصا وحبلا انفجر لرؤيتهما الطفل بكاء وصراخا والتجأ تحت المقعد فمد الحلاق يده واخرجه من هناك كالعصفور فتمسك بأذيال الشيخ واستغاث به وقد كان الشيخ غضب لضياع قهوته وكان يشهد حملة الحلاق على الصبى بعين ملؤها التشفى ، ولكن لما استجار به كره ان يخذل مسكينا تعلق باطرافه واحتمى باعطافه فأراد ان يتداخل بالشفاعة فقاطعه الحلاق مقسما :« ورأس سيدى الشيخ لأجلدنه خمسين جلدة ٠» فما سمع الشيخ تلك اليمين حتى عدل من التشفع وأسلم الطفل الى غضب الحلاق فطرحه على الارض وشد رجليه بالحبل شدا وأهوى على قدميه بالعصا جلدا وعدا كلما نزلت

العصا عاد الصراخ وارتفع العويل فرق قلبي لذلك المنكوب فمضى وقلت لجالده : « يكفيه ما أصاب بالله عليك ان تعفو عن المسكين وتقيله من بقية الخمسين ٠» فلم يلتفت الى ولم يعرني اذنا فأمسكت بساعده وقد ارتفع ليقع وقلت :« توسلت اليك برأس سيدي الشيخ ولحيته ان تقبل فيه شفاعتي ٠» فـرمى العصا من يده وقال : « والله لو لا انك كتفتني بهاته اللحية لما حططت له من الخمسين ضربة ٠» ثم رجع الى حلاقته وقام الصبي وقد جف من عينه الدمع وسكن ما به من الروع وذهب فاتى بقهوة اخرى أوصلها بسلامة فأخذها الشيخ وارتشفها ارتشافا وتلمظ وتمطق ثـم غارت يده في طيات برنسه وخرجت بكتاب تقادمت اعراقه وبليت اوراقه فقلت : « هذا والله كتاب نفيس سيكشف عني الضجر بما حواه من الدرر ٠»

بصق الشيخ على من كفر بالله ورسوله وتمخط وأخـرج من جيبه منظارا وضعه على انفه وأحكم وضعه ثم فتح الكتاب على ركبتيه وتنحنح وطفق يقرأ ٠٠٠ واذا بعنترة بن شداد يجوب الفيافي والقفـار وينشد الاشعار واذا به يحمل عـلى جيش كالبحر العجاج المتلاطم بالامـواج واذا الفرسان تتساقط لضرباته عشرات ومئات ٠٠٠ ولمـا ارتفـع القتام وقـوى الاصطدام واشتد الاحتدام احتبس الحلاق عن حلاقته واشرأب عنقه نحو الشيخ وأقبل يشرب كلامه شربا ٠

فبينما نحن كذلك في اشتباك المعركة واشتداد التهلكة اذ فتح الباب واندفع منه رجل منتفخ الخد يشكو ويصيح :« عجل يا حطاب وهات « الكلاب » فأوقفت تلك الهجمة رحى الحـرب وأطفأت نـار الضرب وسكت الشيخ عن كـره وأسرع الحطاب الى الخزانة واخذ منها كلابة ارتمى بها على المستغيث واولجهـا في فمه ثـم جذبها جذبة اقتلع بها ضرسه واخمد حسه فسقط الرجل على الارض مغشيا عليه وفمه يسيل دماء فصاح الحلاق :« هات الماء » ، ثم دارت به الجماعة فعالجوه وبالمـاء رشوه وبينما هم في ذهاب وايابٍ ، انسللت الى الباب ، ولـذت بالفرار فلمحني الحجام فنادانى :« على رسلك قد قرب دورك ، امراتي طالق ثلاثا ان ذهبت ٠» فقلت له :« والله لن ارجع ولو طلقتها تسعا ٠»

وما زلت أجرى لعلي أدرك القطار حتى وصلت الى المحطة ، ولكن هيهات !

محمد بكير

1 ـ الطريقة العلمية عند العرب

قد اهتدى العرب بثاقب فكرهم إلى توخي أنجع الأساليب العلمية لإدراك الغاية التي كتبوا على أنفسهم البلوغ إليها فإنهم أضافوا إلى محاسن طريقة إجالة العقل في ميدان النظر مزايا الاسلوب العلمي التجريبي فكونوا من امتزاج هذين المسلكين منهجا ربما كان المثل الأعلى لاستخراج الماديات من الخواطر التي تمر على الذهن سريعا ولقد أصابوا إذ لو اقتصروا على اعتماد الاسلوب النظري لبقيت عقولهم تسبح في بحر الخيال وهيهات أن يكون الخيال مدعاة للتقدم والرقي، إذا لم يكن مشفعا بمشاهدة الحوادث نفسها وتناول المادة بالتركيب والتحليل والتمحيص للوقوف عما لها من خاصيات وما تنطوي عليه من أسرار وهذا مؤدى الطريقة العلمية المرتكزة على التّجارب الحسّية وقد قال العلامة درابر المدرس بجامعة نيويورك في هذا الصدد ما يأتي في كتاب المنازعة بين العلم والدين : « لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا

عن الاسلوب الذي توخّوه في مباحثهم فإنّهم تحقّقوا أن الاسلوب العقلي لا يؤدّي إلى التقدّم وإن الامل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم في أبحاثهم الاسلوب التجريبي والدستور العملي... وهذا الاسلوب هوالذي أوجب لهم هذا الترقي الباهر في الهندسة وحساب المثلثات وأداهم إلى اكتشاف علم الجبر ودعاهم إلى استعمال الأرقام الهندسية الخ...

عن فريد وجدي

2 ـ العلم والحيـــــــــاة

قالت العصا :

ـ ما الذي جرى اليوم في الدنيا ؟ . . .هل أصاب الارض جدب فلم تنبت زرعا ؟ وهل انتشر فيها طاعون فلم يبق ضرعا ؟ في كل مكان في أنحاء العالم صراخ من ارتفاع تكاليف العيش. والعالم هو العالم، والارض هي الارض، والزرع هو الزرع، والضرع هو الضرع. ولم يزد تعداد سكان الارض كثيرا. وما زاد غير العلم الذي تقدم وتفوق. هذا العلم الذي يأتي كل يوم باختراع. أما استطاع أن يزيد في إنتاج الزرع والضرع بما يخفض من تكاليف المعيشة ؟ على العكس إن تقدم العلم قد صاحبه ارتفاع في تكاليف الحياة.

قلت :

ـ هذا صحيح. لان مطالب الحياة لم تعد مجرد زرع وضرع. ان العلم قد غير وجه الحياة العصرية. وخلق ضرورات جديدة. . . ولم يعد المجتمع الحديث بالبساطة التي كان عليها فيما مضى. . . إن العامل الصغير في مجتمع اليوم لا يكفيه مجرد الطعام واللباس والسكن ليعيش. . . إنه يرى من ضرورات حياته أن يدّخن وأن يذهب إلى السينما وأن يشترى الصحف وأن يكون في بيته جهاز راديو. هذا في مصر اليوم. أما في أوروبا وأمريكا فإن هذا العامل

له ضرورات معيشة أكثر من ذلك. وكلما ارتقى العلم كثرت الضرورات، وكلما كثرت الضرورات كثرت التكاليف وبهظت الاثمان وطالب العمال بزيادة الاجور ووقفت الحكومات في ذلك موقف المنزعج الحائر. لانها بزيادة الاجور تساعد على ارتفاع الاسعار، وبارتفاع الاسعار تعود المطالبة بزيادة الاجور وهلم جرا.

قالت العصا :

- إنّها إذن مشكلة تتفاقم ولا حل لها. لان تقدم العلم في اّطراد. وسوف يكون ارتفاع مستوى المعيشة في اّطراد أيضا.

قلت :

- حقا. ما من حل إلا أن يوجد العلم اختراعا مهمته إصلاح ما يفسده العلم !

توفيق الحكيم

(من كتاب عصا الحكيم)

3 ـ صناعة الـــــــورق

كان دخول الورق إلى أوروبا أول أمره على يد العرب، ولم يكن ذلك حتى القرن الثاني عشر. غير أن العرب أنفسهم كانوا قد تعلموا صناعة الورق من الصينيين في القرن الثامن. وتدلنا كثرة الكتب المخطوطة العربية التي ترجع إلى القرن التاسع على أن العرب سارعوا إلى نشر استخدام الورق للاغراض العلمية.

وصناعة الورق في أوروبا قد نشأت أولا على يد العرب في إسبانيا وصقلية في القرن الثاني عشر وكان المركز الرئيسي للصناعة مدينتي بلنسية وطليطلة بالاندلس. ومن إسبانيا انتقل فن صناعة الورق سريعا إلى فرنسا. ومن صقلية انتقل ذلك الفن إلى إيطاليا.

وتتألف صناعة الورق من ثلاث مراحل رئيسية هي : هرس المواد الخام إلى لباب أوعجينة. ثم بسط هذا اللباب في شكل صحف ثم تجفيف تلك الصحف حتى تصبح ورقا كامل الصنع.

وأهم الآلات التي تصنع الورق هى تلك التي تمزق المواد إلى قطع. فمنها آلة تمزق الخرق المغلاة وتسمى هذه الآلة الهرّاسة. فإذا أتمّت عملها يكون اللباب جاهزا للآلة الثانية وتسمى الدقاقة ووظيفتها أن تدق اللباب حتى تجعله صالحا للمرور على الآلة الثالثة التي فيها يتشكل اللباب بشكل الورق.

بينما يكون اللباب في الدقاقة يصب عليه غراء. وهذا الغراء هو الذي يمنع الورق من تشرب الحبر وقت الكتابة أو الطبع،ولو لا الغراء لكان كل الورق من نوع ورق النشاف. وزيادة على الغراء يضاف إلى اللباب الصلصال الصيني ليساعد على تلاصق سطح الورق في صورته النهائية، كذلك تضاف إليه صبغة زرقاء من شأنها أن تبيّض لونه.

وتستغرق عملية الهرس والدق معظم اليوم وعندئذ يكون اللباب جاهزا لآلة التوريق فتدفق من مراجله على حزام معدنى طويل مصنوع من نسيج من الاسلاك النحاسية. ومن خلال ثقوب ذلك الحزام يتصفى معظم ما في اللباب من الماء. وفوق هذا الحزام الذي طوله عادة خمسون أو ستون قدما يتكون بدون انقطاع فرخ كبير من الورق الذي لا بد من اتمام تجفيفه بعد مغادرته لذلك الحزام.

ويستعان على إكمال عملية التجفيف بتمرير الورق بعد مغادرته للحزام بين اسطوانتين معدنيتين تعصران منه قدرا آخر من الماء. ثم يمر بعد ذلك فوق اسطوانات ساخنة بقوة البخار لتجفف منه ما بقي فيه من الماء، وبذلك يسير الورق فوق إسطوانة بعد إسطوانة حتى يصبح سطحه في نعومة الحرير، جاهزا للفّه حول بكرات طويلة قد وضعت من طرف تلك الآلات العظيمة.

هيوبرت بـــــرد (بتصرف)

4 ـ الطب عند العرب

كانت أهم مبتكرات العرب في الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والجغرافيـة والكيمياء ، فضـلا عن التاريـخ والشرع والأدب وقد جمع الطبيب العربي إلى علمه بالطب المعرفة بما وراء الطبيعة وأصول الفلسفة والحكمة.

وخطا العرب في هذا العصر خطوات واسعة في الاستدواء بشتى العقاقير فهم أول من أوجد حوانيت لبيع الادوية وأقدم من أسس مدرسة للصَّيدلية وكان يُفْرَضُ على الصيادلة والاطباء منذ زمن المأمون والمعتصم اجتياز امتحان خاص، وعلى أثر سوء تصرف جرى من أحد الاطباء أوعز الخليفة المقتدر إلى سنان بن ثابت بن قرة وهو طبيب مشهور ، أن يمتحن كل الاطباء، ويعطي الاجازات الطبية لمن توفرت فيهم الاهليةُ فقط، فاجتاز الامتحان في بغداد ما يُنيف على ثمانمائة وستين . وبذلك تخلصت العاصمة من الدجالين .

ومما يدل على العناية بصحة أهل الريف ما أمر به علي ابن عيسى الوزير في عهد المقتدر من إرسال بعثات من الأطباء تحمل الأدوية، وتطوف أنحاء البلاد تعالج المرضى والمعوزين . وكانت بعثة من الاطباء تتفقد السجون يوميا .

فمن هذه الحقائق يظهر لنا اهتمام أَولياء الامر بالصحة العامة، وهو أَمر لم يكن معروفا في باقي أَقطار العالم آنذاك، وفي مطلع القرن التاسع (الميلادي) أَسس هرون الرشيد أَول مستشفى على الطراز الفارسي، ولم يطل الوقت حتى نشأ في العالم الاسلامي مستشفيات أخرى بلغ عددها أَربعةً وثلاثين.

وأشهر المؤلفين في الطب الذين ظهروا على اثر عصر الترجمة رجال فارسيو القومية عربيو اللغة، ولاثنين منهم شهرة هما : الرازي وابن سينا اسمان تزدان بهما القاعة الكبرى في مدرسة الطب في باريس.

ولعل الرازي أَعظم الاطباء، وأَشدهم ابتكارا، وأَكثرهم إنتاجا، ليس في الاسلام فقط، بل في القرون الوسطى قاطبة. وإليه ينسب اختراع الفتيلة في الجراحة.

ومن أَهم ما وضعه الرازي في الكيمياء « كتاب الاسرار » الذي تداولته فيما بعد أَيدي محررين عديدين. أَما رسائله فأشهرها رسالة في (الجُدَري والحصبة) وهي أَقدم ما كتب في هذا الموضوع، وتعد تحفة في علم الطب عند العرب، بيد أَن أَشهر مؤلفاته على الاطلاق « الحاوي » وهو موسوعة طبية حوت خلاصة ما كان في حوزة العرب من المعارف المستفادة من المصادر

اليونانية والفاريسية والهندية مع ما جاء به العرب أنفسهم من الابتكارات الخاصة الطريفة .

وأشهر الاطباء العرب بعد الرازي ابن سينا، وقد امتاز بمواهب باهرة، فبرع في الطب والفلسفة والشعر والفقه . وألف كتبا ورسائل كثيرة في هذه العلوم وغيرها . أما مؤلفه الجليل « القانون في الطب » فقد كان موسوعة جامعة احتلت مقاما ساميا في آداب ذلك العصر الطبية، وأصبحت كتابا مدرسيا تعتمد عليه دور العلم في أوروبا .

ومما يدل على سعة محتويات « القانون » أن قسما منه يبحث في نمو سبعمائة وستين من العقاقير والادوية، فلا عجب إذا أدرك هذا الكتاب تلك المنزلة التي أصبح فيها دليل طلاب العلوم الطبية في المشرق والمغرب حتى القرن السابع عشر، ولا يزال الناس في الشرق العربي يستعينون به أحيانا .

فيليب حـــتي

تاريخ العرب المطول (بتصرف)

5 ـ سحر واي سحر

في ذلك الزمان ـ زمان صِباي الباكر ـ كان لي مع السحر وقفة ثانية، ثم ثالثة. فقد عاد أَحد أَنسبائنا من البرازيل، وانتشر الخبر في البلدة أَنه جلب معه آلة عجيبة تغني من تلقائها وتغني كما يغني الناس بالتمام ـ ميجانا وعتابا وأَبو الزلف وأَغاني غيرها لاعهد لنا بها. وقُيِّضَ لي أَن أَرى تلك الآلة وأَن أَسمعها. فإذا بها صندوق صغير في أَعلاه بوق كبير وبجانبه مُسكة صغيرة ما أَن تدار باليد حتى يطفق الصندوق يغني. حقا إنه السحر بعينه إذ لم يكن من الممكن لاي الناس، مهما دق حجمه أَن يختبىء في ذلك الصندوق إذن من أين الغناء ؟

كان ذلك أول عهدي ـ وعهد بسكنتا ـ بالفونوغراف الذي لم يكن هو الآخر، قد تجاوز سن الطفولة.

وكانت وقفتي الثالثة مع السحر يوم اقتادتني أُمي إلى بيت أَحد أَبناء عمها العائد حديثا من الولايات المتحدة. وكان بيتا قديما من طراز بيتنا. فلم يدهشني فيه شيء. وأَدهشني بعد قليل، حتى كاد يذهب بلبي، أَن أَسمع طائرا يصيح : « كو ـ كو كو ـ كو ! » التفت وإذا على الحائط قبالتي علبة خشبية تدلت منها سلسلتان، واذا بطائر صغير يُطِلُّ من نافذة في أَعلاها وهو

يردد بانتظام« كو – كو » وينحني باحتشام بعد كل ترديدة .ثم ينتهي بأن يعود إلى داخل العلبة، ولاينسى أن يغلق خلفه باب النافذة التي أطل منها. لم يخفف من دهشتي شرح صاحب البيت للمذهولين مثلي من الحضور أن الطائر في الساعة كان يقوم مقام الجرس .فإذا ردد نغمته كذا أو كذا من المرات كان معنى ذلك أن الساعة هي كيت وكيت من النهار أو الليل فالأمر الذي حيرني فوق حيرتي بصوت الطائر هو أنه كان يقسم الساعات بانتظام فمن كان يوقظه في كل مرة ؟ ومن كان ينبئه أن الساعة الآن هي الثالثة وليست الثانية عشرة ؟ وكيف كان يفتح باب النافذة ثم يغلقه ويختفي وراءه؟ وماذا كان يفعل بين الساعة والساعة ؟

سحر وأي سحر ! و كيف كان لي أن أدري في ذلك الزمان أن ما حسبته سحرا لم يكن غير القطرة التي بها يبدأ الغيث ثم ينهمر ؟ السينما – السيارة – اللاسلكي – الطيارة – الراديو – التلفزيون – الرادار – القنابل الذرية والهيدروجينية– الأدمغة الالكترونية، ثم الأقمار الصناعية !

ميخائيل نعيمة

(سبعون)

6 ـ ذرة الفنـــــــاء

ذرة تَنسف العوالم نسفـــــا وتبيد الوجود حرقا وخسفـــا
دُبِّرت في الخفاء نهجـا الى السلـــم، فكانت لدابر السلم أَنفى
وارتجوا نارها مِجَنًّا من الحـر ب، فكانت أَمضَّ طعما،ورشفا
وابتغوها، وقاية،من بـــــوار فغدا لفحها البَوارَ، المصفَّـــى
رب داء، تلائم النفَس بلـــــــواه، وطِبٌّ يذيقها الموت صِرْفا
وعلاج يفوق شرا سقامـــــا وطبيب يعود ملقاه حتفـــا
وابتغاء الجديد ، داء عضـــال طالما أَرهق الأَنام، وشفَّـــا
والطموح العنيد، شر قديـــم طالما ثار بالأَناسِيِّ، عصفـــا
وإذا العلم لم يؤيَّد بحـلم فهو إبليس يُرْهِب الارض رجفا
وإذا الحكمة السَنِّيَةُ، لم تُكتَـــمْ عن الوغد، سامها الوغدعسفا
وإذا العلم لم يُتَوَّجْ بتقـــوى فهو شر الوحوش فتكا وعنفـا
وإذا الآلة الشنيعة سادت في الجماهير ، أَصبح النُّكْرُ عرفا
وانطوت عزة النفس وأَمست نخوة الروح في إسار ومنفى

* * * *

أَي جرم خباه من أَطلــق الذ رة في الكون تعمر الارض حتفا
أَي ويل، وأَي شر فظيـــــع جر من ساقها عروسا، وزَفـــا
تلك من أَمهرت حياة السرايـا في حياض الفناء، تنهل نزفا
تلك من توِّجت حِماما، وأَمست تستجيد البوار، قرطا وشنفـا
طيبها نكهة الرفات، وريـــا ها شميم اللحوم تهواه عـرفا
وعليها قلائد من فقـــار وعظام رصفن في الجيد رصفـا
قد علت هامة الجماجم كرسيـــا، وصفت هياكل الأَمس صفا
وانبرت تبرم الفناء وتقضي بسعير الدمار، صعقا وقذفـا

الصادق مازيغ

(مجلة الندوة)

الراديو يصفه اعرابى

زرت يوما صديقا جمع الله له الى النعمة والترف حلية الظرف والذكاء • وما ان كدت أطالعه بالسلام ويتلقانى بالتحية ، حتى قال لى :« انى سأريك الساعة شيئا عجبا لعله لم يخطر لك على قلب قط ! » قلت :« هات ما عندك » فتقدم الى خادمه ان يدعو الشيخ عدلان • وما لبثنا غير قليل حتى اقبل علينا شيخ من الاعراب أسمر اللون ، شديد السمرة ، خفيف اللحم ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد • أملى على شكله الستين ، ثم علمت انه قد أطل على الثمانين • وهو مع هذا مستوى القامة ، حتى كأن قامته الرمح المثقف • فحيا بتحية الاسلام فرددنا التحية بالتحية •

واقبل على صاحبى يعرف لى الرجل • قال : « انه من احدى بوادى نجد وهو يتنخس فى الدواب • على انه لم تهيأ له روية الحضر من قبل • بل لقد كان يرسل على ابله وخيله الى مصر وغير مصر ، ولده وبعض معشره ثم بدا له ان يفد معهم هذا العام ، ليشهد عيش الحضر قبل أن يدركه الأجل ووافق مقدمه حاجتى الى بعض الجياد وسألته ان يقيم عندى ما اقام فى مصر ، لما رأيت من ظرفه وخفة روحه ، ولطف حديثه ، وحسن بديهته •

ولقد بعثت الراديو ذات عشية فى حضرته ، فارتاع وشده وذهب الرعب بلبه كل مذهب ••• ثم اطمأن صاحبى فترة قصيرة وقال :« وعلى الشيخ عدلان ان يقص بقية الحديث » والتفت الى الرجل وسأله ان يتكلم ، فتعذر وتمنع • فعزم عليه الا تكلم •

فتنحنح الرجل وسعل سعالا رفيقا ، ثم أنشأ يتحدث فى لهجة بدوية كثيرا ما كان يلتوى على فيها اللفظ ، فيسويه لى بعض من حضر • قال :

« دعانى صاحبك ذات عشية الى ان اصعد اليه فلما استوينا فى مجلسنا من احدى الغرف ، أومأ الى ركنها ، فحولت بصرى فاذا دمية من خشب بتر ساقاها

فأقعدوها على منضدة · لها أنف صغير ولها اذنان دقيقتان · وقد توسط ما دون الجبين عين لها ، واعجباه ! واحدة · تمزقت حدقتها فتناثرت فى بياضها تناثر أكارع النمل على صفحة الرمل ولها فم يا حفيظ ! قد استهلك نصف وجهها سجوه بديباجة من حرير ، وليتهم سدوا عليها بمسامير من حديد ! وما أحسب والله هذه الدمية الا صنعت على صورة الجن ، لم تطبع على صورة الانسان !

ثم قام صاحبك اليها فعرك أذنها ، وسرعان ما أحمرت حدقتها ، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم ! ثم سمعت لها حسيسا ما لبث ان استحال زمزمة وهمهمة فخلت ، والله ان الارض قد زلزلت على ، وأحسست قلبى يتمشى من الروع فى صدرى حتى يصك حنجرتى فجمعت ثوبى للهرب · فجذب صاحبك فضل ردائى ، ولو قد أطلقنى ما أصبت المهرب ، فلقد تخاذلت عنى ساقاى وأظلم ما بينى وبين الطريق ···

ولما رأى صاحبك ما بى قال لى :« خفض عليك ياشيخ قلت : وهذا العفريت ! قال : لن ينالك منه مكروه ان شاء الله ، فلقد قيدوا ساقه وشدوا وثاقه ، فما يجد له من اساره فكاكا ، ولا يستطيع فى محبسه حراكا ··· وانثنى عنى الى الدمية فعرك أذنها الثانية فسرعان ما سكن هديرها وبطل زئيرها ، واذا العفريت يتحدث فى لين صوت واطمئنان نبرة كما يتحدث عرفاء القوم اذا اجتمع لهم فى الهينات القوم · واذا هو ينطق بالحكمة بعد الحكمة ، ويرسل العبرة فى عقب العبرة ، فافرخ ذلك من روعى حتى كادت ترتد الى نفسى والذى نفسى بيده لو كان حديث هذا العفريت مما يطعم لكان أحلى من الجلاب ، او لو كان مما يبصر لكان أصفى من العسجد المذاب ·

على ان صاحبك لم يلبث حتى يأتى على غاية حديثه فلقد قام الى دميته ، فعرك هذه المرة أنفها ، فجعلت عينها تدور فى محجرها ، ثم تركها فاستقرت ، ولم يرعنى الا ان أسمع من جوفها عزيف عود وصوت مزمار كأنما ينفخ فيه داود · وهما يتعطفان على نقر دف أحسبهم قد علقوا فيه صنوجا دقاقا · ووالله قد حسن ايقاعه وحلا نبره كأنما وكل الى طويس نقره · وسمعت معازف أخرى جعلت تتنغم وتترنم ، حتى خلتها من جودة الايقاع تتكلم · فشاع فى الطرب ، بقدر ما تداخلنى من الدهش والعجب !

ثم ارتفع صوت لولا البيان لقلت : سجع كنار أو شدو هزار · ولقد راح يشتد ثم يلين فيشف ، ويحلق ثم يهبط ويسف · وآنا يطرد ويستوى ثم اذا به ينثنى ويلتوى ويسترسل ثم يتعرج ويتعطف ، ويتقدم ثم ينحاز ويتحرف ، والكبد تتياسر معه وتتيامن ، والقلب يتطاير ثم يتجمع ويتطامن · والنفس يرتفع كلما ارتفع ، ، ويقع معه حيثما وقع !

وما برح العفريت فى شدوه وتسجيعه ، وترديده وترجيعه حتى ذهب الطرب بى كل مذهب وغلب على ولم أقو على شق ثوبى فجعلت ألدم صدرى وليت شعرى أفأمسى هذا العفريت يرد على المسامع صنعة اسحاق وغناء ابن جامع ؟ وما فرغ العفريت من غنائه ، حتى انشأ يقص علينا احدث الاحداث فى قواصى الارض وأدانيها ... فقلت لصاحبك : كيف للجنى بهذا وهو قيد أسره ، ورهن محبسه ؟ فقال : انما يوسوس له بهذه الانباء اخوانه من المردة والشياطين . قلت : الامر لا بد أن يكون هكذا ».

عبد العزيز البشرى

1 ـ التقدم الانساني

العلم قدرة، ولا فرار من التأثر بالعلم وآياته لأنه يحيط بنا في كل ناحية. سرح الطرف في جنبات بهو محاضرة عامة، فماذا ترى؟ أنوارا متلألئة استنبط العلم طاقتها من قوى كامنة في ذرات المادة المتناهية في الصغر. وجدرانا أقامها العلم سوّاها على أصول محكمة من الهندسة والطبيعة والكيمياء، وحريرا صنعه العلم من الخشب أو النفط فغلب دودة الحرير في ميدانها، وملابس أتقن العلم فتل أليافها وغزلها ونسجها بآلات كأنها الأحياء ـ العاقلة ذكاء ولكنها تفوق الأحياء العاقلة قوة ودقة ومضاء، وغير ذلك كثير. أو زر حقلا من حقول التجارب الزراعية، ترفيه الأسمدة الكيمياوية وقد حُبس فيها نتروجين الهواء الطليق، بقوة التركيب وحيل التأليف الكيميائي، وأصنافا من النبات والحيوان ثبّت فيها العلم الصفات والخواص المميزة التي يرغب فيها الإنسان، بالتوليد والتأصيل والانتخاب، وأمراضا في النبات والحيوان دانت أو ستدين حتما لصبر العلماء وذكائهم وشوقهم إلى استطلاع المجهول. أو تأمل جسد الإنسان، كيف مكن العلم الأطباء من أسرار حياته وقواعد صحته وأسباب مرضه ووسائل

علاجه. فمنذ قرن أو أكثر قليلا كان الانسان لا يعرف شيئا من الجراثيم التي تسبب الأمراض أو لا يكاد، وإذا نحن اليوم نعلم أن الهواء والتراب يعجان بهذه الاحياء الدقيقة المفيدة أحيانا في التخمير والتحليل والدباغة والتجبين وصنع العقاقير النافعة، المضرة أحيانا أخرى بما تنفثه في أجسام الأحياء من بواعث السقم. وقد أصبحت معرفتنا هذه سبيلنا إلى الانتفاع بها في نواح لا تكاد تحصى من الانتاج الصناعي والزراعي وإلى استعمال المطهرات ومضادات الفساد وأساليب التلقيح والحقن للوقاية وللعلاج، فنرد عوادي الاوبئة قبل وقوعها أو ندفع كوارث الامراض عن كثيرين من المصابين بها. أو خذ الطاقة المحركة التي أصبحت رهن تصرفنا، سواء أموزعة كانت فيما نراه متحركا كل يوم من سيارة أوطائرة أو حافلة، أو ما يوزع بغير أن نراه ولكننا نرى أثره، كالطاقة التي تتحول ضوءا في المصابيح، أو قوة محركة في المعامل. وليس المرء في حاجة إلى خيال جامح لكي يتصور تأثير استعمال الطاقة الميكانيكية في راحة الناس ونشاطهم، وأحوال العمل وسرعة المواصلات ووفرة المصنوعات أي في أحوال المعيشة بوجه عام وما يتيحه كل هذا من فرص للمتعة الاجتماعية والفكرية والفنية والرياضية إذا اهتدى الناس وأصابوا من أمرهم رشدا كل على حسب هواه، فالعلم في شتى مجاليه يؤثر في نواح متعددة من الثقافة العامة والخاصة.

فؤاد صروف (آفاق لا تحد)

2 ـ التطور البشري والالة

لنكن متفائلين بالعصر الآلي وما ينجم عنه، وليكن هذا التفاؤل على أساس أن العلم يتطور ، متجها أبدا وجهة الخير لأن القوة التي إليها مردّ الأمر كله في هذا الكون قوة خيِّرة في صميمها ، وبذرة الخير الكامنة في الطينة البشرية هي التي تدفع به دائما إلى التجدد والتطور، فهذا العالم ماض إلى الخير قدُما، وإن تعثرت خطاه بأشواك الشر حينا بعد حين.

وبرهان هذا ساطع كلّ السّطوع في تاريخ البشرية والحضارة منذ الأحقاب الخالية، منذ كان الكون سديما إلى أن انبسط أديم الأرض، ودبّ على ظهرها الإنسان وقامت هذه المدنيات العظيمة على أنقاض الكهوف والغابات.

وما برح التطور موصول الخطى، نحسّ به فيما ندرك من نواميس الطبيعة، وقوانين الحياة، وفيما نتخذ من وسائل الحضارة وأنظمة الاجتماع.

وهذا التطور ينتقل به المجتمع البشري من حسن إلى أحسن إلا أنه يقتضي مزاولة التجربة بعد التجربة، وهيهات أن يستقر

للحياة طور من أطوارها إلا بعد أن يثبت كفايته في ذلك الميزان العظيم : ميزان بقاء الأصلح . فالأحياء لا يبقى منها إلا ما يصلح أن يكون عونا على تطور الانسانيّة والمضّي بها إلى الأمام، والأنظمة على اختلاف أهدافها ومناحيها لا يستقر منها إلا ما هو كفء لتوفير الحياة المثلى .

وما أقسى هذه التجارب التي يزاولها الإنسان !

وما أكثر ما يكون فيها من تعسف وعنت !

ولكن ذلك كله لا مفر منه لكي تظفر البشرية بالانتقال من طور إلى طور يمضي بها خطوة في سبيل الخير العام .

والآلة ليست إلا وليدة ضرورة طبيعية أحّس بها الإنسان وهي نتيجة حتمية للتطور البشري الذي لم يكن منه بد، وإننا لنجد الآلة قد أتت بالمعجزات في مجال التحضر، وبها تأثرت مذاهب الاقتصاد ونظم الاجتماع، حتى أصبحت هناك قيم للحياة جديدة تلائم ذلك التطور الذي أدت إليه الآلة في عصرها الجديد.

وفي مقدورك أن توازن بين الإنسان القديم إذ كانت الآلة لم تخترع، أو على الأصح حين كانت الآلة في مظهرها العاجز المحدود وبين الإنسان الحديث إذ بلغت الآلة هذا المبلغ العظيم من القوة والجبروت، فإنك إذا أجريت هذه الموازنة، تجلى لك البون شاسعا بين الماضي والحاضر في مجال الرقي الثقافي والاجتماعي المادي والمعنوي، وإذن يستبين لك فضل الآلة فيما شمل الإنسانية من رخاء وانتعاش،وفيما فاض عليها من بركة وخير .

وهذه الآلة من صنع الإنسان توصل بها إلى أن يختصر المسافات وأن يختزل الأزمنة وأن يُسَخِّرَ بها ما في الأرض والسماء من قوى وعناصر. وهي في يده يحرّكها ، يحركها بإرادته ويسيطر عليها بحكمته . فإن وقف منها موقف الحزم والنبصر استطاع أن يفيد منها ما شاء، وإن أساء استعمالها، وأفلت منه زمامها فإنها تدمر مدنيته وتدمره معها . ولكن الأمل وثيق ألا يفقد الإنسان رشده، وإن يظل ضابطا للآلة في يده، حتى تكون طوع خيره. بها يتم نفع العالم، وعليها تقوم عمارة الكون.

وإن صحبة الإنسان للآلة فيما يمارس من أسباب عيشه، ومرافق حياته، ستخلق منه إنسانا جديدا يتخذ له في نظامه الاجتماعي طرازا جديدا، فإذا هو يتطور في نزعاته النفسية، وفي مطالبه العقلية، وفي ذوقه الفني، وفق التطور الحديث الذي تسبغه الآلة على المجتمع البشري.

محمود تيمور

3 ـ في المدنية الحديثة

لكل مدنية جانبـــان : جانب يصـح أن نسميه الجـانب المادي، وجانب يصحّ أن نسميه الجانب الروحي... لقد نجحت المدنية الحديثة في الجانب المادي نجاحا فوق ما كان ينتظر وفشِلت في الجانب الروحي فشلا أبعد مما كان ينتظر. فأما الذين يهمهم الرُّواء والمنظر وحسن الشكل والمتعة المادية فقد صفّقوا للمدنية الحديثه حتى كلّت أيديهم من التصفيق وبحّت أصواتهم من نداء الاستحسان. وأما الذين يهمهم من الإنسان روحه لا جسمه... فنالهم شيء غير قليل من اليأس. أما الماديّة فحدِّث عنها ولاحرج لقد حلقت الطيّارات في السماء وغاصت الغوّاصات في قاع الماء وأتت الكهرباء بالسحر الحلال... كيف أعُدّ، والمخترعات لا تحصى عددا والعجب منها لا ينتهي أبدا حتى ظننا أن العالم احتفظ بأسراره كلها منذ خلق ثم باح بها جميعا لرجال المدنية الحديثة فلم يعد لديه سرّ...

ولكن لا تخدعنّك هذه المظاهر فالمثال العاميّ يقول : « لا يعجبنّك البيت وتزويقه، فساكنه قد جف ريقه ». سرُّ هذا الشقاء كله طغيان جانب المادة على جانب الروح. سر هذا كله أن المدنيّة الحديثة عجزت عن أن تنظر إلى الإنسان كَوَحْدَة على الرغم من أنها قرّبت بطريق المواصلات والمعاملات بين أجزاء العالم. لقد قربت في المكان وباعدت بين السكان، تقدمت في علم الجغرافيا ولم تتقدم في علم الاجتماع. استكشفت الجبال والوديان والصحاري والأنهار والبحار، ولم تستكشف قلب الإنسان ، عملت على وحدة الإنسان جغرافيا، وعملت على تفريقه اجتماعيا فما أغرب شأنها وما أصحّ عينها وما أضعف ذكاءها لقد تساءلت المدنية كيف نعيش فحسّنت كيف نعيش ولكن لم تتساءل : لِمَ نعيش ؟ وكيف يجب أن نعيش ؟ وما الغاية التي من أجلها نعيش ؟ فلم تتقدم في هذا الباب شيئا.

أحمد أمين

المحـور الثـالث

الادب

1 ـ المثل صوت الشعب

يقول علماء اللغة العربية : إن كلمة المثل مأخوذة من قولك هذا مَثل الشيء ومثْله كما تقول : شَبَهُه وشِبْهه لأَن الأَصل فيه التشبيه، ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا. ويرى غيرهم أَن الكلمة ماخوذة من العبرية، ففيها كلمة « مَشَل » تدل على هذا المعنى أَوسع منه، فهم يطلقونها على الحكمة السائرة، وعلى الحكاية القصيرة ذات المغزى، وعلى الأَساطير.

وعلى كل حال فسنبحث في الأَمثال ـ فقط ـ من ناحية دلالتها العقلية، فمن أَمثال الأُمة نستطيع أَن نتفهم الدرجة التي وصلت إليها، ونستطيع أَن نعرف كثيرا من أَخلاقها وعاداتها.

وللأَمثال من هذه الناحية ميزة على الشعر، ذلك أَن الشعر تعبير طبقة من الناس في مستوى أَرقى من مستوى العامة. فالشعراء يعبرون عن شؤون القبيلة التي ارتسمت في أَذهانهم الراقية ـ نوعا من الرقي ـ وهم يعبرون بألفاظ مصقولة صقلا يستوجبه الشعر. أَما الأَمثال فكثيرا ما تنبع من أَفراد الشعب

نفسه، وتعبر عن عقلية العامة. ولذلك تجد كثيرا منها غير مصقول، أعني أنه لم يتخير لهـا ألفـاظ الأُدبـاء ولا العقلاء الراقين مثل قولهم : « أولُ ما أطلع ضب ذنبَه » وقولهم : « أم قُبيس وأبو قبيس، كلاهما يخلط خلط الحَيْس ». وربما كان هذا هو السبب في أن بعض الأمثال العربية يفهم معناها إجمالا لا تفصيلا. قال أبو هلال العسكري في كتابه جمهرة الأمثال في شرح « بعينِ ماَ أرينك » : « ان معناه (أعجل) ،وهو من الكلام الذي قد عرف معناه سماعا من غير أن يدل عليه لفظه ».

وقد ينبع المثل من طبقة راقية فيكون راقيا مصقولا، وقد ينبع من العامة فلا يكون كذلك. ومن أجل هذا عبر بعضهم عن المثل بأنه « صوت الشّعب » . ومن أجل هذا أيضا كانت دلالة الأمثال على لغة الشعب أصدق من دلالة الشعر.

رأى الباحثون في الأمثال أن هناك نوعا منها يكاد يكون شائعا بين الشعوب كلها، ونوعا آخر تختلف فيه الأُمة عن الأُخرى. فالنـوع الأول موضـوع البحث : كيف اتفقت الأُمم في هـذه الأمثـال، وخصـوصا في اللغـات ذات الأصـل الواحد كاللغات السامية ففيهـا أمثلـة متقـاربة. وفي بعض الأمثال العـربية مشابهة قـريبة لأمثـال سليمـان لا تختلف عنها إلا في صوغها في القالب العربي ، وتحويرها تحويرا طفيفا يتفق والذوق العربي . والنوع الثاني موضـع البحث : لـم كان كذلك في هذه الأُمة وكان غير ذلك في الأُمة الأُخرى ؟

فالأُمة الزراعية لها أَمثال مشتقة من زراعتها، والتجارية لها أَمثال مشتقة من تجارتها وهكذا . وإنك لتستطيع أَن تطبق ذلك على العرب باستعراضك أَمثالهم، فقد أَكثروا من الأَمثال المتعلقة بالإبل وشؤونها، فقالوا : « استنوق الجمل » و « إنما يجزى الفتى ليس الجمل » و « أغدة كغدة البعير؟» وهكذا أَمثالهم في اللبن والجزور. وإن أَنت استعرضت أَمثال قريش رأَيت فيها ما يدل على أَنهم قبيلة تجارية، كقولهم : « لا في العير ولا في النفّير » ونحو ذلك.

أَحمد أَمين

(فجر الاسلام ص 60)

2 ـ ان غدا لناظره قريب

أوّل من قال ذلك المثل قراد بن أجدع وذلك أن النعمان ابن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليَحموم فأجراه على إثر عَير فذهب به في الأرض ولم يقدر عليه وانفرد عن أصحابه وأخذته السماء فطلب ملجأ ودفع إلى بناء فإذا هو لرجل من طيء يقال له حنظلة ومعه امرأته فقال لهما :هل من مأوى؟ قال حنظلة نعم، فخرج إليه فأنزله ولم يكن للطائي غير شاة وهو لا يعرف النعمان فقال لإمرأته أرى رجلا ذا هيئة وما أخلقه أن يكون شريفا خطيرا فما الحيلة ؟ قالت : عندي شيء من طحين كنت ادخرته فاذبح الشاة لنتّخذ من لحمها مرقة مَضيرة، وأطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتال له شرابا فسقاه وجعل يحدّثه بقيّة ليلته. فلمّا أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ثم قال : « يا أخاطيء اطلب ثوابك أنا الْملك النعمان. قال أفعل إن شاء الله . ثم لحق الخيل فمضى نحو الحيرة. ومكث الطائي بعد ذلك زمنا حتى أصابته نكبة وجهد وساءت حاله . فقالت له امرأته لو أتيت الملك لأحسن إليك. فأقبل حتى انتهى إلى الحيرة، فوافق يوم بؤس النعمان، فإذا هو واقف في خيله في السلاح فلما نظر إليه النعمان عرفه وساءه مكانه . فوقف الطائي بين يدى النعمان فقال له : أأنت الطائي ؟ قال : نعم، قال : أفلا جئت في غير هذا اليوم ؟ قال: « أبيت اللعن»

وما كان علمي بهذا اليوم، قال : والله لو سنح لي في هذا اليوم قابوس ابني لم أجد بدا من قتله ، فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فإنّك مقتول. قال : « أبيت اللعن » وما أصنع بعد نفسي ! قال النعمان إنه لا سبيل إليها. قال : فإن كان لا بدّ فأجلني حتّى ألمّ بأهلي فأُوصي إليهم وأهيء حالهم ثم انصرف إليك. قال النعمان : فأقم لي كفيلا بموافاتك. فالتفت الطائي إلى شريك بن عمرو من قيس من بني شيبان ويكنى أبا الحوفزان وكان واقفا بجانب النعمان. فقال له :

يا أخا النعمان فكّ اليـ ـوم ضيفا قد أتى له
طالما عالج كرْب المو ت لا يُنعِم بالله

فأبى شريك أن يتكفّل به فوثب إليه رجل من كليب يقال له قراد بن أجدع فقال للنعمان : « أبيت اللعن » هو علي. قال النعمان : أفعلت؟ قال ؟ : نعم. فضمنه إياه. ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة، فمضى الطائي إلى أهله وجعل الأجل حولا من يومه ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل. فلمّا حال عليه الحول وبقي من الأجل يوم قال النعمان لقراد ما أراك إلا هالكا غدا. فقال قراد :

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غدا لناظره قريب

فلمّا أصبح النعمان ركب في خيله ورجله متسلحا كما كان يفعل حتى أتى « الغريين » فوقف بينهما، وخرج معه قراد وأمر بقتله، فقال له وزراؤه ليس لك أن تقتله حتى يستوفي يومه،

فتركه ، فكان النعمان يشتهي أن يقتل قرادا ليفلت الطائي من القتل. فلمّا كادت الشمس تغرب وقراد قائم مجرد في إزار على النطع والسياف إلى جنبه أقبلت امرأته تبكي وتنتحب فبينما هم كذلك إذ عرض لهم شخص من بعيد وقد أمر النعمان بقتل قراد، فقيل له ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو. فلمّا نظر إليه النعمان شق عليه مجيؤه فقال له : ما حملك على الرجوع بعد إفلاتك من القتل؟قال : (الوفاء) قال : وما دعاك إلى الوفاء ؟ قال : ديني. قال : نعم الدين يدعو إلى هذا الحق الجميل وعفا عن قراد والطائي وقال : والله ما أدري أيهما أوفى وأكرم أهذا الذي نجا من القتل فعاد، أم هذا الذي ضمنه ؟ والله لا أكون ألأم الثلاثة وترك النعمان القتل منذ ذلك اليوم وأبطل تلك السنة وأمر بهدم الغريين.

الميداني (مجمع الامثال)

3 ـ اندم من الكسعي

هو من بني كسع واسمه غامد بن الحارث، ومن حديثه أنه كان يرعى إبلا له بواد معشب، فبينما هو كذلك إذ أبصر نبعة في صخرة فأعجبته، فقال ينبغي أن تكون هذه قوسا،وأنشأ يقول :

يا ربي وفقني لنحت قوسي فإنها من لذتي لنفسي
وأنفع بقوسي ولدي وعرسي أنحتها صفراء مثل الورس
صفراء ليست كقسي النِّكس

ثم دهنها وخطمها بوتر، ثم عمد إلى ما كان برابتها فجعل منها خمسة أسهم وجعل يقلبها في كفه ويقول :

هن وربي أسهم حسان تلذ للرامي بها البنان
كأنما قوامها ميزان فابشروا بالخصب يا صبيان
إن لم يعقني الشؤم والحرمان

ثم خرج حتى أتى قُتْرة على موارد حمر فكمن فيها فمر قطيع منها فرمى عيرا منها فامخطه السهم (أنفذه فيه) وجازه وأصاب الجبل فأورى نارا فظن أنه أخطأه... ثم مكث على حاله فمر قطيع آخر فرمى منها عيرا فأمخطه السهم وصنع صنيع الأول ثم مكث على حاله فمر قطيع آخر فرمى منها عيرا فأمخطه السهم فصنع صنيع الثاني... ثم مكث مكانه فمر قطيع آخر فرمى عيرا منها

فصنع صنيع الثالث... ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا منها فصنع صنيع الرابع فأنشأ يقول :

أبعد خمس قد حفظت عدّها أحمل قوسي وأريد وردها

أجزى الاله لينها وشدها

والله لا تسلم عندي بعدها ولا أرجّي ما حييت رفدها

ثم عمد إلى قوسه فضرب بها حجرا فكسرها ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطروحة حوله ممرغة واسهمه بالدم مضرجة، فندم على كسر القوس فشد على ابهامه فقطعها وقال :

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذن لقتلت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وقال الفرزدق حين طلق زوجته نوار :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين لح به الضرار

ولو ضنت بها نفسي وكفي لكان عليّ للقدر اختيار

الميداني

« مجمع الامثال » (باختصار)

4 ـ الحديث ذو شجون

الحديث ذو شجون أي ذو طرق الواحد شجن بسكون الجيم والشواجن أودية كثيرة الشّجر، الواحدة شاجنة وأصل هذه الكلمة الاتّصال والالتفاف ومنه الشّجنة الشجرة الملتفّة الأغصان .يضرب هذا المثل في الحديث يتذكّر به غيره. وأول من قال هذا المثل ضبّة ابن أدّ وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد وللاخر سعيد. فنفرت إبل لضبّة تحت الليل فوجّه ابنيه في طلبها فتفرّقا فوجدها سعد فردّها ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب وكان على الغلام بردان فسأله الحارث ايّاهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه فكان ضبّة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد فذهب قوله مثلا يضرب في النجاح والخيبة فمكث ضبّة بذلك ما شاء الله أن يمكث ثم إنه حج فوافى عكاظ فلقي بها الحارث بن كعب ورأى عليه بردي ابنه سعيد فعرفهما فقال له : هل أنت مخبري ما هذان البردان اللّذان عليك ؟ قال : بلى

لقيت غلاما وهما عليه فسألته ايّاهما فأَبى علّي فقتلته وأَخذت برديه هذين فقال ضبة : أَسيفك هذا ؟ قال : نعم فقال : أَعطنيه أَنظر إليه فإني أَظنه صارما . فأَعطاه الحارث سيفه فلمّا أَخذه من يده هزّه وقال : الحديث ذو شجون ثم ضربه حتّى قتله . فقيل له ياضبّة أَفي الشّهر الحرام ؟ فقال : سبق السيف العذل . فهو أَول من سار عنه هذه الأَمثال الثلاثة . قال الفرزدق :

لا تأَمننّ الحرب إن استعارها كضبة إذ قال الحديث شجون

الميداني

(مجمع الأمثال)

5 ـ تجوع الحرة ولا تاكل بثديها

أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي وكان حليفا لعلقمة بن حفصة الطائي فزاره فنظر إلى ابنته الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها فقال : أتيتك خاطبا وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب فقال له علقمة : أنت كفء كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فأقم ننظر في أمرك ثم انكفأ إلى أمها فقال : إن الحارث سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا وقد خطب إلينا الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته فقالت المرأة لابنتها : أي الرجال أحب إليك : الكهل الجحجاح، الواصل المناح أم الفتى الوضاح ؟ قالت : بل الفتى الوضاح . فقالت : إن الفتى يغيرك وإن الشيخ يميرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير المن . قالت : يا أماه إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلأ . قالت : أي بنية ! إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب . قالت : إن الشيخ يبلي شبابي ويدنس ثيابي ويشمت بي أترابي .

فلم تزل أمها بهْا حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه فبينما هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه اذ أقبل اليه شباب من بني أسد يعتلجون فتنفست الصّعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء فقال : ما يبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ!! فقال لها ثكلتك أمك ! تجوع الحرة ولا تأكل بثديها ثم قال لها : وأبيك لَرُبَّ غارة شهدتها وسبيّة أرفدتها وخمرة شربتها .فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك .

وهذا المثل يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب .

الميداني

(مجمع الأمثال)

6 ـ جـزاء سنمّـــــار

قال الطالب الفتى لأُستاذه الشيخ :

ألا تحدثني عن سنمار هذا الذي كثر الحديث عنه في هذه الأيام من هو ؟ وما شأنه ؟ وفيم يكثر الناس عنه الحديث؟

قال الأُستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : « زعموا يا بنيّ أنّه رجل رومّي بنى للنعمان بن المنذر قصرا أو قصرين لا أدري، فلما أتّم عمله على أحسن وجه وأكمله، رضي النعمان عنه، ولكنّه أشفق أن يبني لغيره من الملوك مثل ما بنى له ، فأمر به فألقي من أعلى القصر فاندقت عنقه فمات . والنّاس يضربونه مثلا لمن يقدّم إلى الناس خيرا وإحسانا فيجزونه بالشّر والمساءة . ولكن في الدنيا أفرادا كثيرين يمكن أن يسمّى كل واحد منهم سنمار ولكنه يلقى من حالق فلا تندق عنقه، ويساق إليه الشرّ فلا يؤذيه، ويكاد لك الكيد فلا يبلغ منه شيئا تستطيع أن تسميه سنمار الخالد ، لأنه لا يبنى لأصحاب السطوة والبأس وإنّما

يبنى للشعوب، ولأنه لايبني للشعوب دورا ولا قصورا ولا شيئا من هذه الآثار التي يبلغها البلى ويدركها الفناء. وإنّما يبني لها فنّا وأدبا وفلسفة وعلما وإصلاحا . ألا تذكر مصارع النابغين من الأُدباء والعلماء والفلاسفة ؟

ألا ترى أنّك لا تزال تستمتع بآثارهم ؟

قال الطالب الفتى لأُستاذه الشيخ . وسيستمتع الناس معنا بآثارهم حتى يرث الله الأَرض ومن عليها .

طه حسين

(جنة الشوك)

7 – رجع بخفي حنين

قال أَبو عبيد : أَصله ! أن حُنينا كان اسكافا من أَهل الحِيرة فساومه أَعرابي بخفين فاختلفا حتى أَغضبه فـزَّاد غيظ الأَعرابى فلما ارتحل الاعرابي أَخذ حنين أَحد خفيه وطرحه في الطريق ثم ألقى الاخر في موضع آخر فلما مر الأَعرابي بأحدهما قال ما اشبه هذا الخف بخف حنين ولو كان معه الآخر لأَخذته ومضى فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأَول وقد كمن له حنين فلما مضى الأَعرابي في طلب الأَول عمد حنين إلى راحلته وما عليها فذهب بها وأَقبل الأَعرابي وليس معه إلا الخفان فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك فقال : جئتكم بخفي حنين. فذهب مثلا يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

الميدانـــــــى (مجمع الأمثال)

8 ـ زرغبا تزدد حبا

قال المفضل : أول من قال ذلك معاذ بن صرم الخزاعي وكانت أمه من عك وكان فارسا خزاعة وكان يكثر زيارة أخواله . قال : فاستعار منهم فرسا وأتى قومه فقال له رجل يقال له جحيش ابن سودة وكان له عدوا : أتسابقني على أن من سبق صاحبه أخذ فرسه ؟ فسابقه فسبق معاذ وأخذ فرس جحيش وأراد أن يغيظه . فطعن أيطل الفرس بالسيف فسقط فقال جحيش : لاَ أُمَّ لك قتلت فرسا خيرا منك ومن والديك فرفع معاذ السيف فضرب مفرقه فقتله ثم لحق بأخواله وبلغ الحي ما صنع فركب أخ لجحيش وابن عم له فلحقاه فشد على أحدهما فطعنه فقتله وشد على الآخر فضربه بالسيف فقتله . فأقام في أخواله زمانا ثم إنه خرج مع بني أخواله في جماعة من فتيانهم يتصيدون فحمل معاذ على عير فلحقه ابن خال له يقال له الغضبان . فقال : خل عن العير . فقال : لا ولا نعمت عين . فقال له الغضبان : أما والله لو كان فيك خير لما تركت قومك . فقال معاذ : زرغبا تزددْ حبا . فارسلها مثلا ثم أتى قومه فأراد أهل المقتول قتله فقال لهم قومه : لا تقتلوا فارسكم وإن ظلم فقبلوا منه الدية .

الميداني (مجمع الأمثال)

٩ ـ كل فتاة بابيها معجبة

يضرب في عجب الرجل برهطه وعشيرته. وأول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدي. وذلك أنها وثلاث نسوة من قومها خرجن فاقتعدن بروضة يتحدثن فيها. فوافين بها ليلا في قمر زاهر، وليلة طلقة ساكنة، وروضة معشبة خصبة. فلما جلسن قلن: «ما رأينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحا ولا أنضر.» ثم أفضن في الحديث فقلن: «أي النساء أفضل؟» قالت احداهن: «الخرود الودود الولود». قالت الاخرى: «خيرهن ذات الغَناء وطيب الثناء وشدة الحياء.» قالت الثالثة: «خيرهن السموع الجموع النفوع غير المنوع.» قالت الرابعة: «خيرهن الجامعة لأهلها الوادعة الرافعة لا الواضعة قلن: فأي الرجال أفضل؟» قالت احداهن: «خيرهم الحظي الرضي غير الحظال ولا التبال». قالت الثانية: «خيرهم السيد الكريم ذو الحسب العميم والمجد القديم» قالت الثالثة: خيرهم السخي الوفي الرضي الذي لا يغير الحرة ولا يتخذ الضرّة قالت الرابعة: «وأبيكن أن في أبي لنعتكن كرم الاخلاق والصدق عند التلاق والفلج عند السباق ويحمده أهل الرفاق».

قالت العجفاء عند ذلك « كل فتاة بأبيها معجبة . » وفي بعض الروايات ان إحداهن قالت : « إن أبي يكرم الجار، ويُعْظم النار، وينحر العشار بعد الحوار ويحل الأُمور الكبار » .فقالت الثانية إن أبي عظيم الخطر منيع الوزر عظيم النفر يحمد منه الورد والصدر» . فقالت الثالثة : « إن أبي صدوق اللسان كثير الاعوان، يروي السنان عند الطعان . » قالت الرابعة : « إن أبي كريم النزال منيف المقال كثير النوال، قليل السؤال ،كريم الفعال . « ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحي فقلن لها : « اسمعي ما قلنا واحكمي بيننا واعدلي . « ثم أعدن عليها قولهن : فقالت لهن : « كل واحدة منكن ماردة على الاحسان جاهدة لصواحباتها حاسدة ولكن اسمعن قولي : « خير النساء المبقية على بعلها، الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها مطلقة فهي تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها، فتلك الكريمة الكاملة . وخير الرجال الجواد البطل، القليل الفشل، إذ سأله الرجل ألفاه قليل العلل، كثير النقل. « ثم قالت : « كل واحدة منكن بابيها معجبة . »

الميداني (مجمع الأمثال)

10 ـ وافق شن طبقة

كان شنّ رجلا من دهـاة العرب وعقلائهم. فقال يوما : « والله لأُطوفن حتى أَجد امرأَة مثلي أَتزوّجها . » فبينما هو في بعض مسيره إِذ وافقه رجل في الطريق فسأَله شن: « أَين تريد »؟ فقال : « موضع كذا . » يريد القرية التي يقصدها شنّ.

فرافقه حتى إِذا جدّا في مسيرهما قال له شنّ : « أَتحملني أَم أَحملك ؟ » فقال له الرجل : « يا جاهل أَنا راكب وأَنت راكب، فكيف أَحملك أَو تحملني ؟ ». فسكت عنه شنّ.

وسارا حتى إِذا قربا من القرية إِذا بزرع قد استحصد،فقال شنّ : « أَترى هذا الزرع أُكل أم لا ؟ » فقال له الرجل :« يـا جاهل، ترى نبتا مستحصدا فتقول : أُكل أم لا ؟ » فسكت عنه شنّ.

حتى إِذا دخلا القرية لقيتهما جنازة، فقال شنّ : « أَترى صاحب هذا النّعش حيّا أَم ميّتا ؟ » فقال له الرجل : « ما رأيت

أَجهل منك ! ترى جنازة تسأَل عنها أَميّت صاحبها أَم حيّ »؟! فسكت شنّ وأَراد مفارقته، فأبى الرجل أَن يتركه حتّى يصير به إلى منزله، فمضى معه .

وكان للرجل بنت يقال لها طبقة، فلما دخل عليها أَبوها سأَلته عن ضيفه . فأَخبرها بمرافقته إياه، وشكا إليها جهله وحدثها بحديثه . فقالت : « يا أَبت، ما هذا بجاهل ! أَمّا قوله أَتحملني أَم احملك، فأَراد أَتحدثني أَم أحدثك حتى نقطع طريقنا . وأَما قوله : أترى هذا الزرع أُكل أم لا، فأَراد هل باعه أَهله فأَكلوا ثمنه أَملا . وأَما قوله في الجنازة، فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا ؟

فخرج الرجل فجلس إلى شنّ فحادثه ساعة، ثم قال : أَتحب أن افسّر لك ما سألتنى عنه ؟ قال : نعم .ففسّره فقال شنّ : ما هذا من كلامك، فأَخبرني عن صاحبه قال : ابنة لي .

فخطبها إليه، فزوجه إياها، وحملها إلى أَهله، فلمّا رأَوها قالوا : « وافق شنّ طبقة . »

الميدنـــــــي

1 ـ فصاحة القرآن

إن نظم القرآن على تصرف وُجُوهِهِ، واخْتِلاَفِ مَذَاهِبِهِ، خارج عن المعهود من نظامِ كلامِ العرب، ومُباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد.

وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر. وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة، يقع فيها أحيانا الاختلال والاختلاف والتعمد والتكلف والتجوز والتعسف وقد جاء القرآن على كثرته وطوله، متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله به تعالى فقال: « اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ منْهُ جُلُودُ الَّذِين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

وقُلُوبُهُم إِلَىَ ذِكْـرِ اللهِ « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا . » وإِنك تجد في كتاب الله الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهيج، ومعرض رشيق، ونظم أَنيق غير متعاص على الأَسماع، ولا ملتو على الأَفهام، ولا بمستكره في اللفظ، ليمر كما يمر السهم ويضيء كما يضيء الفجر، ويزخَر كما يزخر البحر، طموح العباب، جموح على الطارق المنتاب، كالروح في البدن، والنور المسبطرِّ في الأُفق، والغيث الشامل، والضياء الباهر، « لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

أَبو بكر الباقلاني

(اعجاز القرآن)

2 ـ تأثير القـــــرآن

آيات منزلة من حول العرش، فالأرض بها سماء هي منها كواكب بل هي الجند الإلهي قـد نشر له من الفضيلة علم وانضوت إليه من الأرواح مواكب، أُغلقت دونه القلوب، فاقتحم أقفالها وامتنعت عليه (أعراف) الضمائر فابتز (أنفالها) ،وكم صدوا عن سبيله صدا ومن ذا يدفع السبيل إذا هدر ؟ وتخاطر له سفهاؤهم كما تخاطرت الفحول بأذناب وفتحوا عليه من الحوادث كل شِدق فيه من كل داهية ناب .

ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضِرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب،

ومعـان بيـنا هـي عذوبة ترويك من مـاء البيان ، ورقـة تستـروح منها نسيـم الجنـان، ونور تبصر بـه

في مرآة الإيمان وجه الأَمان وبينما هي ترف بندى الحياة على زهرة الضمير وتخلق في أَوراقها من معاني العِبرة معنى العبير، وتهب عليها بأَنفاس الرحمة، فتنم بسر هذا العالم الصغير... ثم بينا هي تتساقط من الأَفواه تساقط الدموع من الأَجفان، وتدع القلب من الخشوع كأَنه جنازة ينوح عليها اللسان، وتمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أَنه صنف آخر من الإنسان. إذا هي بعد ذلك إطباق الحساب وقد انهارت قواعده، والتعمت ناره وقصفت في الجو رواعده، وإذا هي السماء وقد أَخذت على الأَرض ذنبها واستأذنت في صدمة الفزع ربها فكادت ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، وإنما هي عند ذلك زجرة واحدة، فإذا الخلق طعام الفناء وإذا الأَرض « مائدة »

مصطفى صادق الرافعي
(تاريخ آداب العرب)

3 ـ من صفات المؤمنين

وعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا .وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا . وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ. وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا. وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا .

الفرقان

(الايات من 63 الى 74)

4 ـ ايمـــــان ابراهيم

وَإِذْ قَالَ ابْرَاهيم لِأَبِيه ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ، إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَكَذَلِكَ نُرِي ابْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المشْرِكِينَ. وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِي، وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ، وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَيءٍ عِلْمًا، أَفَلاتَتَذَكَّرُونَ . وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ .وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ .

الأَنعـــــام

(الايات : من 74 الى 83)

5 ـ واعتصموا بحبل الله جميعا

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا. وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا. وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

آل عمـــــــران

(الآيات : 102 الى 103)

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ الَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينْ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

سورة الحجرات

(الايات من 8 الى 10)

6 ـ وبالوالدين احسانا

وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ. فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا، وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ،وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا .

الإســـــــراء

(الآيات : من 23 الى 28)

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

لقمـــان

(الآيات : من 14 الى 15)

7 ـ ميـــــلاد المسيح

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِانْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا. قَالَ: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا: يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ

إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

سورة مـــــريم

(الايات : من 16 الى 35)

8 ـ قصة الطوفان في القرآن

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ. وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ: إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ. فَسَوفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ حَتَّى إِذا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ. وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ. وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ. وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ. قَالَ: لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ. وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

هـــــود

(الآيات : من 36 الى 44)

9 ـ أمثال قرآنيـــــــة

1) نُـــــــورُ الله

اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ. الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ. نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

النـــــــور ص 24

(الآيتان : من 24 الى 25)

2) الْمُنَافِقُونَ

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

البـــــقرة ص 20

(الآيات : من 16 الى 20)

3) ــ الحق والباطل

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِية بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ .

الـــــــــــرعد

(الايات من : 16 الى 17)

4) الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِين بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ أُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ .

سورة ابراهيم

(الايتان من : 23 الى 25)

10ـ التصوير الفني في القرآن

التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن. فهو يعبّر بالصّورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النّفسية. ثّم يرتقي بالصّورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشّاخصة، أو الحركة المتجدّدة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النّفسية لوحة أو مشهد، وإذا النّموذج الإنساني شاخص حيّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية. فأمّا الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر فيردّها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة نَإِذَا أَضَافَ إليهَا الحوار فقد استوت لها كلّ عناصر التّخييل. فما يكاد يبدأُ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأوّل، الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ومثل يضرب، ويتخيل أنّه منظر يعرض وحادث يقع. فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات، المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث، وهذه كلمات تتحرّك بها الألسنة فتنمّ عن الأحاسيس المضمرة. إنّها الحياة هنا وليست حكاية الحياة.

فإذا ما ذكرنا أنّ الأداة التي تصوِّر المعني الذّهني والحالة النّفسية وتشخّص النّموذج الإنسانّي أو الحادث المروّي، إنّما هي ألفاظ جامدة لا ألْوان تصوّر، ولا شخوص تعبّر، أدركنا بعض أسرار الأعجاز في تعبير القرآن....

ويجب أن نتوسع في معنى التّصوير، حتّى ندرك آفاق التّصوير الفنّي في القرآن. فهو تصوير باللّون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيّل، كما أنّه تصوير بالنّغمة تقوم مقام اللّون في التّمثيل. وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السّياق، في إبراز صورة من الصور تتملاّها العين والأذن والحسّ والخيال، والفكر والوجدان. وهو تصوير حّي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجرّدة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات. فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية أو في مشاهد من الطّبيعة تخلع عليها الحياة.

سيد قطب

(التصوير الفنى فى القرآن)

11ـ القرآن بين النثر والشعر

...ولكنّكم تعلمون أن القرآن ليس نثرا ،كما أنه ليس شعرا ، إنّما هو قرآن ولا يمكن أن يسمّى بغير هذا الاسم . ليس شعرا وهذا واضح، فهو لم يتقيد بقيود الشعر . وليس نثرا لأنّه مقيّد بقيود خاصّة به، لا توجد في غيره، وهي هذه القيود التي يتّصل بعضها بأواخر الآيات وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصّة . فهو ليس شعرا ولا نثرا ، ولكنّه « كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير » فلسنا نستطيع أن نقول أنه نثر. كما نصّ هو على أنّه ليس شعرا .

كان وحيدا في بابه، لم يكن قبله ولم يكن بعده مثله . ولم يحاول أحد أن يأتي بمثله . وتحدّى النّاس أن يحاكوه، وأنذرهم أن لن يجدوا إلى ذلك سبيلا . وأراح الخطباءُ والكتاب أنفسهم من هذه المحاولة التي كانت في نفسها مستحيلة ، والتي كانت تعدّ مروقا وخروجا عن الدين .

وأنتم تعلمون أنّ أهمّ الأسباب للانتاج الأدبيّ إنّما هي المحاكاة؛ فإذا قال الشّاعر البليغ قصيدة وأُعجب الناس بها فمنهم من يرويها ومنهم من لا يكتفي بهذه اللّذة ، بل يحاول أن يحاكيها وياتي بأمثالها . وعلى هذا النحو ينتج الشعر ويكون للشعراء تلاميذ ومقلدون. فمن هذه النّاحية نستطيع أن نطمئن إلى أن القرآن لم يجد له مقلّدا ولم يجد له تلميذا. هو وحيد في بابه، لم يسبق ولم يلحق بما يشبهه .

وإذًا فمن الحق أن نضع القرآن في مقامه الخاصّ الذي لا يصح أن يقاس به شيء آخر .

طه حسين

(من حديث الشعر والنثر)

1 ـ الحـــــــديث

يراد بالسّنة أو الحديث ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قول أو فعل أو تقرير. وبعد عصر الرسول ضم إلى الحديث ما ورد عن الصّحابة، فالصّحابة كانوا يعاشرون النبي صلّى الله عليه وسلّم ويسمعون قوله ويشاهدون عمله ويحدثون بما رأوا وما سمعوا، وجاء التّابعون بعد فعاشروا الصّحابة، وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا، فكان من الاخبار عن رسول الله وصحابته « الحديث ».

للحـــديث قيمة كبرى في الدين تلي رتبة القرآن، فكثير من آيات القرآن مجملة أو مطلقة أو عامة، فجاء قول رسول الله أوعمله، فبيّنها أو قيّدها أو خصّصها. فالقرآن مثلا لم يبيّن تفاصيل الصّلاة، إنما أمر بها مجملة، وفعل النبي أوضح أوقاتها وكيفياتها. وحرم القرآن الخمر بقوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه» ولكن ما المراد بالخمر ؟ وأي المقادير يحرم ؟ ونحوذلك، كل هذا بيّنه الحديث .

كذلك كانت تعرض لرسول الله حـوادث يقضي فيـها، وأسئلة يجيب عنها، ومبادلة أخ وعطاء وتصرّف في الشؤون السلمية والحربية ، كل هذه كانت احيانا ينزل فيها قرآن، وأحيانا

لا يـــنزل، وهذا النوع الثاني كالأول مرجع للمـــشرعين، فاقتـــضى ذلك جميعه العناية بالحديث...

...فقد كان للحديث ـ سواء ما كان صحيحا أو موضوعا ـ أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الاسلامي؛فقد أقبل الناس عليه يتدارسونه إقبالا عظيما، وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه. وكل علماء الصحابة والتابعين كانت شهرتهم العلمية مؤسسة على التفسير والحديث ـ والحديث كان أوسع دائرة ـ وسبب حرص الناس على رواية الحديث، رحلة العلماء إلى أقاصي المملكة وطوافهم في البلدان، يأخذ بعضهم عن بعض، فكان من ذلك تبادل الآراء العلمية ووقوف علماء كل مصر على ما عـــند الآخرين حتى لتكاد الحركة العلمية توحد؛روى أحمد أن جابر بن عبد الله الانصاري بلغه عن عبد الله بن أنيس الجهني حديثا سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشترى بعيرا ثم شد رحله وسار إليه شهرا حتى قدم عليه الشام وسمعه منه. ولا تكاد تقرأ ترجمة كبير من المحدثين إلا وجزء عظيم من حياته يتضمن رحلته. أضف إلى ذلك ما كان بينهم من تراسل، فمالك بن أنس في المدينة يكتب إلى الليث بن سعد في مصر، والليث يرد عليه، ويتبادلان الحجاج في الحديث والفقه وهكذا.

أحمد أميـــــن

(فجر الاسلام)

2 ـ بـــــــــدء الوحي

عــن عائشة أَم المؤمنين أنها قالت : « أَول ما بدئ به رسول الله صــلّى الله عليه وســلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليهْ الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه ـ وهو التعبّد الليالي ذوات العدد ـ قبل أَن ينزع إلى أَهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملَك فقال : « اقرأ ». قال : « ما أَنا بقارىء. » قال: « فأَخذني فغطّني حتى بلغ منّي الجهد ثم أَرسلني فقال: « اقرأ » قلت :« ما أَنا بقارىء» .فأَخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أَرسلني فقال: « اقرأ » . فقلت : « ما أنا بقارىء ». فأَخذني فغطّني الثالثة ثم أَرسلني فقال : « اقرأ باسم ربّك الذي خلق، خلق الإِنسان من علق، اقرأ وربّك الأَكرم ». فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي

الله عنها فقال : « زملوني زملوني » . فزملوه حتى ذهب عنه الروْع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « لقد خشيت على نفسي » فقالت خديجة : « كلاَّ والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق » . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة – وكان امرأ تنّصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي – فقالت له خديجة : « يا ابن عم اسمع من ابن أخيك » فقال له ورقة : « يا ابن أخي ماذا ترى ؟ » فأخبره رسول الله خبر ما رأى، فقال له ورقة : « هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى . يا ليتني فيها جذعا، ليتني اكون حيّا إذ يخرجك قومك . « فقال رسول الله : « أَو مُخْرِجِيَّ هم .»قال : نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي . وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، » ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي . »

صحيح البخارى

3 ـ الدعوة الى الاسلام

1 ـ كتاب إلى قيصر الروم : « بسم الله الرحمان الرحيم من محمد بن عبد الله، إلى هرقل عظيم الرّوم. سلام على من اتّبع الهدى. أمـا بعـد فإني أدعوكم بدعاية الإسلام، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرّتين . فإن توليت فانما عليك إثم الأريسيين. قل يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ ولاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

2 ـ كتاب إلى كسرى ملك الفرس : « بسم اللهِ الرحمان الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتّبع الهدى ، وآمن باللهِ ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله . أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى

النّاس كافة لأُنذر من كان حيّا ويحقّ القـول على الكـافرين. أَسلم تسلم فإن أَبيت فإنما عليك إثم المجوس » .

3 ـ كتاب إلى النّجاشي ملك الحبشة : « بسم الله الرحمان الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة. سلام . أَمّا بعد فإنّي أَحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأَشهد أَن عيسى بن مـريم روح الله وكلمته أَلقاها إلى مريم البتول الطّيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه « كما خلق آدم بيده . وإني أَدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والمولاة على طاعته ، وأَن تتبعني وتوقن بالذي جاءني، فإنى رسول الله، وإنـي أَدعوك وجنودك إلى الله عـز وجـل، وقـد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى » .

عن صحيح البخاري

4 ـ المؤمن للمؤمن

قال صلى الله عليه وسلم :

1) إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم ؛يكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

2) لا تزال هذه الأُمة بخير، ما إذا قالت صدقت ، وإذا حكمت عدلت ، وإذا استُرحِمت رحمت

3) مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى .

4) المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

5) المسلم أَخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه .

6) لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا .

7) لا يؤمن أَحدكم حتى يحب لأَخيه ما يحب لنفسه .

الإنسان أَخو الإنسان حب أَم كره .

خيركـــم من يرجى خيره، ويؤمن شره . وشرّكم من لا يرجى خيره ولا يـؤمن شره . خيركم خيركم لاهله . بروا آباءكم تبركم أبناؤكم

صِلْ من قطعك وأَحسن إلى من أَساء إليك وقل الحق ولو على نفسك .

8) لا يحلّ لرجل ان يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيُعْرِض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام .

9) يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : انصر أَخاك ظالما أَو مظلوما، فقيل يارسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : ترده عن الظلم.

10) من لا يرحم لا يُرحم

صحيح البخارى

5 ـ مما يتحلى به المؤمن

قال صلى الله عليه وسلم :

1) عليكم بالصدق فإنه مع البرّ. وهما في الجنّة. وإيّاكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما في النار. وسلوا الله اليقين والمعافاة. ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا

2) ارحموا تُرحموا، واغفروا يغفر لكم. ويل لاقماع القول. ويل للمصرّين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون.

3) أفضل المؤمنين إسلاما، من سلم المسلمون من لسانه ويده. وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا. وأفضل المهاجرين من هاجر ما نهى الله عنه وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله.

4) أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمّن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكرا، ونطقي ذكرا، ونظري عبرا.

5) خير ما أعطي الرّجل المؤمن ، خلق حسن ، وشر ما أعطي الرّجل، قلب سوء في صورة حسنة. الجمال في الرجل اللسان.

عن صحيح البخاري

6 ـ الدعوة الى العمل

1) لأَن يأخذ أَحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب فيبيعها فيكفي الله بها وجهه خير له من أَن يسأل الناس أَعطوه أَو منعوه.
2) اليد العليا خير من اليد السفلى.
3) الرزق أَشد طلبا للعبد من أَجله
4) التمسوا الرزق في خبايا الأَرض.
5) أَعمل لدنياك كأنك تعيش أَبدا، واعمل لآخرتك كأَنك تموت غدا.
6) ما أَكل أَحد طعاما قط خيرا من أَن يأكل من عمل يده وإِن نبي الله داود عليه السلام كان ياكل من عمل يده
7) ما من مسلم يغرس غرسا أَو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أَو إِنسان أَو بهيمة إِلاّ كان له به صدقة.
8) كان صلى الله عليه وسلم في سفر فأَمر بإِصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله نحن نكفيك. وقال الآخر: علي بطبخها. فقال رسول الله: وعلي جمع الحطب فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك. قال: قد علمت أَنكم تكفونني ولكني أَكره أَن أَتميز عليكم فإِن الله تبارك وتعالى يكره من عبده أَن يراه متميزا بين أَصحابه، وقام رسول الله فجمع الحطب.

محمد رسول الله

7 ـ الراعي والرعية

1) ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة .

2) كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الامام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته .

3) الدين النصيحة، قلنا لمن، قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

4) سُئِلَ النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل وقد وضع رجله في الغزو . أي الجهاد أفضل ؟ قال كلمة حق عند سلطان جائر .

5) قال النبي : القضاة ثلاث، قاضيان في النار وقاض في الجنة، فرجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل قضى بين الناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة .

عن صحيح البخاري

8 ـ امثال من الحديث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

1) مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى إنها هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ.

2) مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

3) المؤمن هيّن ليّن كالجمل الانف إن قيد انقاد وإن انيخ على صخرة استناخ.

4) أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

5) إن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال :

هذا مكاني أَصنع فيه ما أَشاء ، فإِنْ أَخَذُوا على يـــده نجا ونجـــوا وإِن تركوه هلك وهلكوا .

6) مثل القائم على حدود الله والمداهن فيها كمثل قوم اسْتَهَمُوا على سفينة في البحر فأَصاب بعضهم أَعلاها وأَصابَ بعضهم أَسفلها فكان الذين في أَسفلها إِذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم ، فقال الذين في أَعلاها لا ندعكم تصعدون فتؤذونا، فقالوا : لو أَنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإِن يتركوهم وما أَرادوا هلكوا جميعا، وإِن أَخذوا على أَيديهم نجوا ونجوا جميعا .

عن صحيح البخارى

9 ـ البلاغة

... وإن كلامه صلى الله عليه وسلم : « هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونزُه عن التكلف، استعمل المبسوط في موضوع البسط، والمقصور في القصر، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي،فلم ينطق إلاعن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة، وشُدّ بالتاييد، ويسر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي أَلقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، وهو مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلّت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أَفحمه خطيب بل يبذّ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس اسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلَج إلا بالحقّ، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المؤاربة، ولا يهمز، ولا يلمز، ولا يبطىء، ولا يعجّلُ، ولا يسهب، ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أَعم نفعا، ولا أَصدق لفظا ، ولا أَعدل وزنا، ولا أَجمل مذهبا، ولا أَكرم مطلبا، ولا أَحسن موقعا، ولا أَسهل مخرجا، ولا أَفصح من معناه ولا أبين عن فحواه ـ من كلامه صلى الله عليه وسلم » .

الجاحظ

(البيان والتبيين)

ص 61 ج 2

1 ـ دواعي الخطابة الاسلامية

دين جديد يسعى في توطيد أركانه، وعقلية جاهلية يسعى في تغييرها، وعادات وتقاليد يعمل على استبدالها بعادات وتقاليد، ومادّية خشنة يُقيم مكانها صرحا للروح، وانفرادية يضم شتاتها في أُمّة ودولة، وظُلمة جهل يمزّق جلابيبها بنار الحماسة ونور المعرفة وخصوم وحسّاد يعمل على تحطيم عقباتهم، وصعاب شتى تقوم في وجهه يسعى في تذليلها، كلّ ذلك دعا إلى الخطابة ووجه موضوعاتها، ومهد أساليبها.

والخطابة كلمة الإقناع وطريق الإفهام، ورسول المعرفة إلى الأمية والجماهير، ومنبر التعليم والتدبير، وسلاح التّنفيد والتّهديد، والقوة التي تدفع بالجيوش إلى الفتح وبسط السلطان والرّاية التي تحمل اسم الرّسول الجديد وتعاليمه إلى القاصي والداني.

وقد عمَد إليها محمد نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وعمد

إليها خلفاؤه من بعده فراجت سوقها أيّما رواج، وإذا بالنبيّ صلى الله عليه وسلّم يقف على باب الكعبة يوم الفتح ويخاطب قريشا، ويدعوها إلى الإنقياد في ثقة وإيمان، وإذا به في آخر حَجَّة له يدعو إلى عبادة الله ويوصى بالتقوى ويحث على التسامح واحترام الحقوق، ويعلن أن الناس أخوة متساوون : وأن ليس لأحد فضل على غيره إلاّ بالتّقوى .

وسار على هذا خلفاؤه من بعده، فكانوا يهتفون باسم الدين والحق، وغايتهم أن يوطدوا أركان الإسلام، ويبسطوا سلطانه، ويحاربوا أعداءه والواقفين حجر عثرة في طريقه .

عن الموجز في الادب العربي

2 ـ في حجـــــة الـــــوداع

قال صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإن محمدا عبده ورسوله. أوصيكم بتقوى الله وأحثّكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير.

أما بعد، أيّها الناس اسمعوا مني أبيّن لكم فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيّها الناس إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.

ألاَ هل بلغت ؟ اللهم فاشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع وأن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس ابن عبد المطلب. وأن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به

دم عامر ابن أبي ربيعه بن الحارث ابن عبد المطلب، وأن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية. والعمد قَوَد، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أَلاَ هل بلغت؟ اللهم فاشهد

أَيّها الناس، الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أَيّها الناس إنّما النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا يحلّلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم الله « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السّماوات والأَرض، » وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأَرض منها أَربعة حرم « ثلاثة متواليات وواحد فرد، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

الاهل بلغت ؟ اللهم فاشهد

أَيها الناس، إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرىء مسلم مال أَخيه إلا عن طيب نفس منه.

أَلا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد

فلا تُرْجِعُنَّ بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني

قد تركت فيكم ما إن أَخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله

أَلا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

أَيها الناس، إن ربكم واحد، وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أَتقاكم إن الله عليم خبيـر. وليس لعربي على أَعجمي فضل إلا بالتقوى.

أَلاَ هل بلغت ؟ اللهم فاشهد

قالوا : نعم

قال فليبلّغ الشاهد الغائب.

أَيّها الناس، إن الله قد قسم لكلّ وارث نصيبه من الميراث (فلا يجوز لوارث وصية ولا تجوز وصية في أَكثر من الثلث) والولد للفراش وللعاهر الحجر. من أَدعى إلى غير أَبيه أَو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أَجمعين لا يُقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

(البيان والتبيين ج 2)

5 - في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إليه فوجدته موعوكا ، قد عصب رأسه فقال : خذ بيدي يا فضل. فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ثم قال : ناد في الناس فاجتمعوا إليه فقال :

« أما بعد، أيّها الناس فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأنّه قد دنا منّي خفوق من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فَلْيَسْتَقِدْ منه، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخش الشحناء من قلبي، فإنها ليست من شأني، ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ منّي حقا إن كان له، أو حلّلني فلقيت ربي وأنا طيب النفس وقد أرى أن هذا غير مغن عني حتى أقوم فيكم مرارا .

ثم نزل فصلّى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته الاولى، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم، فأعطاه عوضها ثم قال : « أيّها الناس، من كان عنده شيء فليؤدّه ولا يقل فضوح الدنيا، ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة . ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم. ثم قال : « وإن عبدا خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده »

فبكى أبوبكر، وقال : « فديناك بأنفسنا وآبائنا . »

4 ـ وصة لابى بكر

وصّى يزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام :

« إني قد وليتك لابلوك وأجربك وأخرّجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك وإن أسأت عزلتك. فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليّا له، وأقرب الناس من الله اشدهم تقربا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد فإياك وعُبيّةَ الجاهلية، فإن الله يبغضها، ويبغض أهلها. وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعِدْهم إياه. وإذا وعظتهم فأُوجز. فإن كثير الكلام يُنسى بعضه بعضا. وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصّل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشّع فيها. وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك، وهم جاهلون به ولا تريثهم فيروا خللك ويعلموا علمك وانزلهم في ثروة عسكرك وامنع مَن

قِبلك من محادثتهم، وكن أَنت المتولي لكلامهم ، ولا تجعل سرك لعلانيتك ، فيختلط أَمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتي من قبل نفسك، واسمر بالليل فى أَصحابك تأَتك الأَخبار، وتنكشف عندك الأَستار، وأَكثر حرسك ، وبددهم في عسكرك، وأَكثر مفاجأَتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه، فأَحسن أَدبه، وعاقبه في غير إفراط، وعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأُولى أَطول من الأَخيرة، فإنها أَيسر همًّا لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تلجنَّ فيها ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدقعا ، ولا تغفل عن أَهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم ـ ولا يكشفُ الناس عن أَسرارهم ـ واكتف بعلانيتهم ولا تجالس العباثين وجالس أَهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء ولا تجبن فيحبن الناس واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر . وستجدون أَقواما حبسوا أَنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أَنفسهم له » .

5 ـ من خطب ابى بكر

« حمد لله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال :

إن أشقى الناس في الدّنيا والآخرة الملوك، فرفع الناس رؤوسهم فقال : « ما لكم ايها الناس ؟ إنكم لطعّانون عجلون إنّ من الملوك من إذا ملك زهّده الله فيما في يده ورغبه فيما في يدي غيره، وانتقصه شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق فهو يحسد على القليل، ويتسخط الكثير، ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة البهاء لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة فهو كالدرهم القَسِيِّ والسَّراب الخادع، جذِل الظاهر، حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره، وضحى ظله، حاسبه الله فأشد حسابه، وأقل عفوه. ألا أن الفقراء هم المرحومون وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وانكم اليوم على خلافة نبوة، ومفرق محجة وسترون بعدي ملكا عضوضا، وأمة شَعاعا ودما مُفاحا. فإن كانت للباطل نَزوة ولأهل الحق جولة، يعفو بها الأثر، وتموت لها البشر، فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، والزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعة، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر، اي بلاد كم خُرْسة إن الله سيفتح أقصاها كما فتح أدناها» .

البيان والتبيين

(ج 2 ص 39)

6 ـ وصية ابى بكر لعمر

إنّي مستخلفك من بعدي وُموصيك بتقوى الله، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنّهار وعملا بالنّهار لا يقبله بالليّل. وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدّى الفريضة فإنّما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الحق في الدنيا، وثِقَلِه عليهم وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أَن يكون ثقيلا وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم الْقيامة باتباعهم الباطل وخفتِه عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أَن يكون خفيفا. ان الله ذكر أَهل الجنة فذكرهم بأَحسن أَعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذكرتهم قلت: إنّي أَخاف أن لا أَكون من هؤلاء. وذكر أَهل النار فذكرهم باسوء أَعمالهم ولمْ يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلت: إنّي لأرجو أَن لا أَكون من هؤلاء، وذكر آية الرّحمة مع آيات العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده إلى التّهلكة. فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أَحبَّ إليك من الموت وهو آتيك، وإن ضيّعت وصيتي فلا يكن غا ئب أَبغض إليك من الموت ولستَ بمعجز الله.

البيان والتبيين

(ج 2 ص 41)

7 ـ خطبة الولاية

إن الله عزّ وجلّ قد ولاّني أمركم وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم وإنّي أسأل الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره وأن يلهمني العدل في قَسْمِكم كالذي أمرني به. وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئا إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجلّ وليس للعباد منها شيء. فلا يقولنّ أحد منكم إن عمر تغير منذ ولي، أعقل الحق ن نفسي وأتقدّم وأبيّن لكم أمري. فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق فليؤذن، فإنما أنا رجل منكم. فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم، وحرماتكم وأعراضكم. وأعطوا الحق من انفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا إليّ، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة، وأنا حبيب إليّ صلاحُكم عزيز علي عَنَتكم. وأنتم أناس عامتكم حضر في بلاد الله، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه. وإن الله عزّ وجلّ قد وعدكم كرامة كثيرة، وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما رد بحضرتي بنفسي إن شاء الله لا أكِلُه إلى أحد ولا استطيع ما بعُد منه الا بالامناء واهل النصح منكم للعامة ولست اجعل امانتي الى احد سواهم إن شاء الله.

8 ـ من خطبة لعمر بن الخطاب

أيها الناس ! إنّه أتى عليّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنّما يريد الله وما عنده، ألا وإنه قد خيّل إليّ أن أقواما يقرأون القرآن يريدون به ما عند الناس، ألا فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم، فإنما كنا نعرفكم إذ الوحي ينزل، وإذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فقد رفع الوحي، وذهب النبي عليه السلام، فإنما أعرفكم بما أقول لكم : ألا فمن أظهر لنا خيرا، ظننا به خيرا وأثنينا به عليه، ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه .

أقْدِعوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طُلَعَة، وإيّاكم أن تدعوها تنزع بكم إلى شر غاية . إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة . ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

ألا وإني إنّما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسنتكم،

ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم، ويأخذوا أموالكم، ألا من رابه شـــيء من ذلك فليرفعه الي ، فوالذي نفسي بيده لاقتصنكم منه . فـــقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين أرأيت إن بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك فضربه، أتقتصه منه ؟ قال : نعم والذي نفس عمر بيده لاقتصنه منه، فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه.

البيـــان والتبيـــين

9 ـ علي يحث على الجهاد

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه (وهو من لباس التّقوى) ودرع الله الحصينة، وجُنّته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديّث بالصَّغار والقماءة وضرب على قلبه بالأَسهاب وأَديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسب، ومُنع النصف.

ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم في عقر دارهم قط إلاَّ ذلّوا ؛ فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنَّت عليكم الغارات ومُلكت عليكم الأَوطان. هذا أخو غامد قد وردت خيله الأَنبار وقد قتل حسّان البكرّي وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأُخرى المُعَاهَدة فينتزع حِجْلَها وقُلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه إلا بالاسترحام والاسترجاع ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كَلْم ولا أَريق لهم دم فلو أن امرأً مسلما مات من بعد هذا أَسفا ما كان عندي ملوما بل كان عندي به جديرا. فيا عجبا ـ والله ـ يميت القلب ويجلب الهمّ اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم

وفشلكم عن حقكم. فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى وفيئا يُنهب يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون، ولا تَغزون ويعصى الله وترضون فإذا آمرتكم بالسير إليهم أيام الصيف قلتم هذه حَمارَّة القيظ أَمهلنا حتى يسْبَخَ عنا الحرّ، وإذا آمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبَّارة القر أَمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقرّ ! فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون فأَنتم والله من السيف أَفرُّ.

يا أَشباه الرجال ولا رجال ! حلوم الأَطفال وعقول ربات الحجال، وددت أَني لم أَركم ولم أَعرفكم معرفة والله جرت ندما وأَعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأَتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التّهمام أَنفاسا. وأَفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: « إنّ ابن أَبي طالب رجـل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب ».

لله أَبوهم ! وهل أَحد منهم أَشدّ لها مراسا، وأَقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهأَنذا قد ذرّفت على السّتّين ولكن لا رأَي لمن لا يطاع.

جمهرة خطب العرب ج 1

(البيان والتبيين ج 2 ص 47)

10 ـ ما بين الجهل والعجز

إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان : رجل وكله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به ضالّ عن هدي من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته ورجل قمَش جهلا، موضع في جهال الأُمة، عادٍ في أغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة، قد سماه أشباه الناس عالما، وليس به ! بكّر فاستكثر من جمع، ما قّل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التلبس على غيره. فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأها حشوا رثا في رأيه، ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسيج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ . فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب. جاهل خيّاط جهالات، عاش ركاب عشوات، لم يعضّ على العلم بناضر

قــاطع، يذري الروّايات أذراء الريح الهشيم، لا مليء، والله، بإصدار ما ورد اليه، ولا هو أهل لما فوض اليه، لا يحسب العلم في شيء مما أنكره، ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا لغيره، وإن أظلم أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه. تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث.

إلى الله أشــكو من معشر يعيشون جهّالا، ويموتون ضُلالا، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعا ولا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر !

علي بن أبي طالب

11 ـ من وعـظ علي بن ابى طـالب

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ويرجّي التوبة بطول الأَمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينْهَى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم. يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكرِّه الموت له، إن سقم ظل نادما وإن صح أمن لاهيا. يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلِي، إن أصابه بلاء دعا مضطرا وإن ناله رخاء أعرض مغترا. تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستقين، يخاف على غيره بأَدنى من ذنبه. ويرجو لنفسه بأَكثر من عمله إن استغنى يَطِروفُتِن، وإن افتقر قنط ووهن. يقصِّر إذا عمل ويبالغ إذا سأَلَ، إن عرضت له شهوة اسلف المعصية، وسوَّف التوبة. وإن عرته محنة انفرج من شرائط الملة. يصف العبرة ولا يعتبر،

ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مدل. وفي العمل مقلّ. ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى. يرى الغنم مغرما والغرم مغنما. يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن. اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء. يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره. ويرشد غيره ويغوى نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه.

12 ـ البتـــــــــــــراء

أما بعد،فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء، والغيّ الموفي بأهله على النار،ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأُمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب العظيم لأهل معصيته، في الزمن السّرمدي الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه :من تركككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ما هذه المواخير المنصوبة، والضعيفة المساوية في النهار، المبصر،هذا والعدد غير قليل ؟ ألم يكن منكم نُهاة يمنعون الغواة عن دَلَج الليل وغارة النهار ؟ قرّبتم القرابة، وباعدتم الدِّين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلِس، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ، صنيعَ من لا يخاف عاقبة ، ولا يرجو معادا ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كُنُوسا في مكانس الريب حرام عليّ الطّعام والشراب حتى أسوّيها بالأرض هدما وإحراقا. إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا

بما صَلُح به أوله، لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف وإني أقسم بالله لآخذنّ الوليّ بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سُعَيْد أو تستقيم قناتكم ! إن كِذْبة المنبر بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلّت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها منّي فاغتمزوها فيّ، واعلموا أن عندي أمثالها . من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب من ماله . فاياي ودلج الليل، فأني لا أُوتى بمدلّج إلا سفكت دمه، وقد اجلتكم في ذلك، بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم. وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم إحداثا لم تكن، وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرّق قوما أغرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا . فكفّوا عنّي أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدي ولساني . ولا تظهر من أحدكم ريبة بخلاف ما عليه عامّتكم إلا ضربت عنقه . وقد كانت بيني وبين أقوام أحن، فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي. فمن كان منكم محسنا فليزد إحسانا، ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته . انّي لو علمت أن أحدكم قد قتله السّلّ من بغضي لم أكشف له قناعا . ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته ، فأذا فعل ذلك لم أناظره. فأستانفوا أموركم، وأعينوا

على أنفسكم، فربّ مبتئس بقدومنا سيسرّ ومسرور بقدومنا سيبتئس أيها الناس ! إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة : نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّلنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيأنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أنّي مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث . لست محتجبا عن طالب حاجة منكم، ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابانه، ولا مجمدا لكم بعثا . فادعوا الله بالصلاح لأيمتكم، فأنّهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تاوون، ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغيضهم فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شراً لكم. أسأل الله أن يعين كلاً على كلّ. وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على إذلاله . وايّم الله أن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاي .

زياد ابن ابيه

13 ـ خطبة الحجاج حين ولي العراق (سنة 75 هـ)

حدّث عبد الملك بن عمير الليثي قال :

بينما نحن في المسجد في الكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتى آت فقال : هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق. فاذا به قد دخل المسجد متعمّما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض : قبّح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق، حتى قال عمير بن ضابيء البرجمي : ألا أحصبه لكم ؟ فقالوا : أمهل حتى ننظر، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض، فقال :

« أنا ابن جلا وطلاع الثنايـــا متى أضع العمامة تعرفونـــي

ثم قال : يا أهل الكوفة أما والله إني لا أحمل الشر بحمله وأحذوه بنعله و أجزيه بمثله وإني لارى أبصارا طامحة واعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وكأني انظر إلى الدماء بين العمائم واللحي تترقرق. إني والله يا أهل العراق، ومَعْدِن الشقاق والنفاق ، ومساوي الاخلاق ما يُقعْقَعُ بالشّنان ولايغمرجانبي كَتَغْمار التين ،ولقد فُررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت إلى الغاية القصوى وان امير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نثر كنانته بين يديه فعَجم عيدانها فوجدني أمرّها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لانكم طالما أوضعتم في الفتن

واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سُنن الغيّ. أَما والله لالحونكم لحْوَ العصا ولاقر عنكم قرع الهَرْوه ولا عصبنكم عصْبَ السلمة ولأَضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأَنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون واني والله لا أَعد إلا وفيت ولا أَهم الا أَمضيت ولا أَخلق إلا فريت فاياي وهذه الشفعاء والزرافات والجماعات وقالا وقيلا وما تقول ؟ وفيم أَنتم وذاك ؟ أَما والله لتستقيمَن على طريق الحق أَو لادعنَّ لكل رجل منكم شغلا في جسده وان أَمير المؤمنين أَمرني بإعطائكم اعطياتكم وأَن أَوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أَبي صفرة وإني أَقسم بالله لا أَجد رجلا تخلف بعد أَخذ عطائه بثلاثة ايام الا سفكت دمه وانهبت ماله وهدمت منزله»

ثم قال ياغلام : « اقرا عليهم كتاب أَمير المؤمنين. فقرأَ بسم الله الرحمان الرحيم ،من عبد الله عبد الملك أَمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أَحد منهم شيئا ، فقال الحجاج : أكفف يا غلام. ثم أَقبل على النّاس فقال : يسلم عليكم أَمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا، هذا أَدب ابن نهيه أما والله لاؤدبنكم غير هذا الأَدب ولتستقيمُن، اقرأ يا غلام كتاب أَمير المؤمنين، فلما بلغ إلى قوله : سلام عليكم، لم يبق من في المسجد إلا قال : وعلى أَمير المؤمنين السلام. ثم نزل فوضع للناس اعطياتهم فجعلوا يأخذون.

عن جمهرة خطب العرب

14 ـ بعد ديـر الجماجم

يا أَهل العراق إن الشيطانقد استبطنكم فخالط اللحم والدّم والعصب والمسامع والأَطـراف والأَعضـاء والشَّغـاف . ثم أَفضى إلى الامخاخ والأَصماخ . ثمّ ارتفع فعشّش . ثم باض وفرّخ. فحشاكم نفاقا وشقاقا وأَشعركم خلافا . أَخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرَا تستشيرونه . فكيف تنفعكم تجربة أَو تعضكم وقعة أَويحجُركم اسلام أَوينفعكم بيان؟أَلستم أَصحابي بالأَهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم أَن الله يخذل دينه وخلافته ؟ وأَنا أَرميكم بِطرْفي وأَنتم تتسلّلون لو اذا وتنهزمون سراعا .ثمّ يوم الزاوية وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة اللهمنكم ونكوص وليكم عنكم .إذولّيْتم كالإبل الشوارد إلى أَوطانها، النّوازع إلى أَعطانها لا يسأَل المرء عن أَخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه حتّى عضّكم السّلاح وقصعتكم الرّماح ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم ؟ بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله .

يا أَهل العراق !... لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة . هل استخفكم ناكث أَو استغواكم غاو أَو استنصركم ظالم إلا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورضيتموه ؟

يا أَهل العراق ! أَلم تنهكم المواعظ أَلم تزجركم الوقائع ؟

الحجـــــاج

15ـ من مميزات الخطابه

لم تزدهر الخطابة في عصر من عصور الآداب العربية كما ازدهرت في هذا العصر لاعتماد الناس عليها في السّياسة والدين وقد جعلها الدّين الاسلامي فرضا من الفروض في الدعوة إليه وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد كانت الوسيلة في قمع الفتن وردّ البدع وكانت لسان القائد في جنده يستنهض بها عزماتهم والوالي في رعيته يستفزّ بها حميّتهم والزّعيم في شعبه يجمع بها شتاتهم إذ لم يكن غيرها من وسائل التبليغ ميسورا لذيوع الأُمّية وفقدان وسائل النشر .

وقد وجدت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بسبب اختلاف المسلمين وتعدد الفرق واختلاف الأحزاب مجالا واسعا للرّقي والسّبق لاعتماد كل حزب عليها في نشر نحلته وتأييد دعوته .

يميز الخطابة في هذا العصر ما يميز الآدابعامة فيه : من فخامة الألفاظ ومتانة التّركيب والتباعد عن حوشيّ الكلام .

ويميّزها أيضا أنها اقتبست من القرآن كثيرا ونهجت نهجه في الإرشاد والإقناع أنها تبدأ بحمد الله والصلاة على رسول الله حتى قيل لخطبة زياد المشهورة التي خطبها في العراق : « الخطبة البتراء » إذ لم يحمد الله ولم يصلّ على نبيه فيها. وقد كان هذا العصر أحفل العصور بالخطباء فقد كان جلّ الخلفاء والقوّاد وولاة الأمصار وزعماء الأحزاب المختلفة خطباء مصاقع. وفيما يحفظه تاريخ الآداب من آثار الخلفاء ولا سيما الإمام عليّ ومن خطب الحجاج ابن يوسف وزياد ابن أبيه وطارق بن زياد مصداق ما نقول.

أحمد الرفاعي
(عصر المامون)

1 ـ الى الكتـــــــاب

... بكم تنتظم للخلافــة محاسنهــا، وتستقيم أمورهــا، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم، تعمر بلدانهم، لا يستغنى الملك عنكم، ولا يوجد كاف إلا منكم. فموقعكم من الملوك موقع أَسماعهم التي بها يسمعون، وأَبصارهم التي بها يبصرون وأَلسنتهم التي بها ينطقون وأَيديهم التي بها يبطشون، فأَمتعكم الله بما خصكم به من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أَضفاه من النعمة عليكم. وليس أَحد من أَهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أَيها الكتاب، إذا كنتم على ما يأتي في هــذا الكتــاب مــن صفتكــم فــان الكــاتب يحتــاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الــذى يثق بــه في مهمــات أمــوره. أَن يكــون حليما في موضع الحلم، فهيمــا في موضــع الحكم، مقــدامــا في موضع الاقدام، محجاما في موضع الاحجام مؤثرا للعفاف، والعدل والانصاف، كتوما للاسرار، وفيّا عند الشدائد، عالما بما يأتي من النــوازل، يضع الأُمــور مواضعها، والطوارق أَماكنها، قد نظر في كل فنّ من فنون العلم فأحكمه، فإن لم يحكمه أَخذ منه بمقدار ما يكتفي به، يعرف بغريزة عقله، وحسن أَدبه، وفضل تجربته، ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة مــا يصــدر عنه قبــل صــدوره، فيعدّ لكل أمر عدّته وعتاده، ويهيء لكل وجه هيئته وعادته.

فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب، وتفقّهوا في الدين وابدؤوا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ، والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فأنه حلية كتبكم وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسموا إليه هممكم،ولا تضيعوا النظر في الحساب، فإنه قوام كتاب الخراج، وارغبوا بأنفسكم عن المطالع سنيّها ودنيِّها وسفاسف الأُمور ومحاقرها فإنها مذلّة للرّقاب مفسدة للمكتّاب ونزّهوا صناعتكم عن الدّناءات واربأوا بأنفسكم عن السَّعايا والنميمة وما فيه أهل الجهالات، وإيّاكم والكبر والصّلف والعظمة، فإنها عداوة مجتلبة مِن غير إِحْنَةٍ وتحابّوا في الله عز وجل في صناعتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أَلْيَقُ بأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم. وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه، وواسوه حتى يرجع إليه حاله ويثوب إليه امره، وإن أقعده أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه، وعظّموه، وشاوروه، واستظهروا بفضل تجربته وقدم معرفته، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه، واستظهر به ليوم حاجته إليه أحفظ منه على ولده وأخيه، فإن عرضت في الشغل محمدة فلا يضيفها إلا إلى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هُو مِن دونه، وليحذر السّقطة، والزّلة، والمللل عند تغيّر الحال فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى الفراء وهو لكم أفسد منه لها.

عبد الحميد الكاتب

2 ـ في وصف الصيـد

... وَإنّي أخبر أمير المؤمنين أنا خرجنا إلى الصيد بأَعدى الجوارح وأَثقف الضواري، أكرمها أَجنـاسا وأَعظمهـا أَجسامـا وأَحسنها أَلوانا وأَحدها أَطرافا وأَطولها أَعضاء، قد ثقفت بحسن الأَدب وعوّدت شدة الطلب وسبرت أَعلام المواقف، وخبرت المجاثم، مجبولةً على ما عوّدت ومقصورة على ما أُدّبت. ومعنا من نفائس الخيل المخبورة الفراهة من الشهرية الموصوفة بالنجابة والجري والصّلابة فلم نزل بأَخفض سير، وأَثقف طلب، وقد أَمطرتنا السماء مطرا متداركا، فربت منه الأَرض وزهر البقل، وسَكن القَتام من مُثار السَّنابك ومتشعبات الأَعاصير مهلة أَن سرنا غلوات، ثم برزت الشمس طالعة، وانكشفت من السحاب مسفرة فتلالأَت الأَشجار، وضحك النّوار، وانجلت الأَبصار، فلم نر منظرا أَحسن حسنا، ولا مرموقا أَشبه شكلا من ابتسام نور الشمس عن اخضرار زهرة الرياض، والخيل تمرح بنا نشاطا وتجذبنا أَعنّتها انبساطا، لم نلبث أَن علتنا ضبابة تقصر طرف الناظر، وتخفي سبل السلام، تغشانا تارة، وتنكشف أخرى، ونحن بأرض دمثة التراب، اشيبة الاطراف، مغدقة الفجاج، مملوءة صيدا من الضباء والثعالب والأَرانب، فأَدانا المسير إلى غابة دونها مألف الصيد،

ومجتمع الوحش، ونهاية الطلب قد جاوزناها ونحن على سبيل الطلب ممعنون، وبكل حرّة جونة متفرقون، فرجع بنا العود على البدء، وقد انجلت الضبابة، وامتدّ البصر، وأمكن النظر، فأذا نحن برعلة من ظباء وخلفة آرام يرتعن آنسات قد أحالتهن الضبابة عن شخصنا، وأذهلهن أنيق الرياض عن استماع حسّنا، فلم نعج إلا والضواري لائحة لهن من بعد الغايةومنتهى نظر الشاخص ثم حدّت الجوارح أجنحتها، واجتذبت الضواري مقاودها، فأمرت بإرسالها على الثقة بمحضرها، وسرعة الجوارح في طلبها، فمرت تحفّ حفيف الريح عند هبوبها، تسفّ الأرض سفّا كاشفة عن آثارها طالبة لخيارها حارشة بأظفارها قد مزّقتها تمزيق الريح الجراد فمن صائح بها وناهر، وهاتف بها وناعق، يدعو الكلب باسمه ويفديه بأبيه وأمه، وراكض تحت مفرّه، وخافق يطلبه الرمح، وطامح يمنعه، وسانح قد عارضه بارح، قد حيرتنا الكثرة وألهجتنا القدرة حتى امتلأت أيدينا من صنوف الصيد والله المنعم الوهّاب . . .

عبدالحميد الكاتب

3 ـ صروف الدهر

أرسل عبد الحميد الكاتب هذا الكتاب إلى أهله وهو منهزم مع مروان يعزّيهم عن نفسه : « أمّا بعد فإن الله جعل الدنيا محفوفة بالكره والسّرور، وجعل فيها أقساما مختلفة بين أهلها . فمن درّت له بحلاوتها، وساعده الحظ فيها سكن إليها ورضي بها وأقام عليها ومن قرصته بأظفارها ، وعضّته بأنيابها ، وتوطأته بثقلها ، قلاها نافرا عنها، وذمّها ساخطا عليها، وشكاها مستزيدا منها، وقد كانت الدنيا أذاقتنا من حلاوتها وأرضعتنا من درها أفاويق استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة وأعرضت عنا متنكرة ، ورمحتنا مولّية، فملح عذبها وأمرّ حلوها ،وخشن لينها ، ففرقتنا عن الأوطان، وقطّعتنا عن الإخوان فدارنا نازحة، وظيرنا نارحة، قد أخذت كل ما أعطت وتباعدت مثل ما تقربت، وأعطت بالراّحة نَصبا، وبالجذل هما، وبالأمن خوفا، وبالعزّ ذلاّ، وبالجدّة حاجة، وبالسرّاء ضرّاء وبالحياة موتا لاترحم من استرحمها، سالكة بنا سبيل من لا أوبة له، منفيّين عن الأولياء، مقطوعين عن الأحياء، فإن تتمّ البلية إلى أقصى مدتها، يكن آخر العهد بكم وبنا ، وإن يلحقنا ظُفر جارح من أظفار عدونا نرجع إليكم بذل الاسار، والذل شرٌّ جار، نسأل الله تعالى الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة، في دار آمنة، تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنه رب العالمين وأرحم الراحمين. »

عبد الحميد الكاتب

4 ـ رسالة الى عبد الله بن مروان

... إذا كنت من عدوك على مسافة دانية، وسنن لقاء مختصر، وكان من عسكرك مقتربا، قد شامت طلائعه. مقدّمات ضلالته، وحماة فتنته، فتأهب أهبة المناجزة، وأعد إعداد الحذر، وكتّب خيولك، وعبّىء جنودك، وإياك والمسير إلا في مقدمة وميمنة وميسرة وساقة، قد شهروا الأسلحة، ونشروا البنود والأعلام. وعرّف جندك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم قد أخذوا أهبة القتال، واستعدّوا للقاء ملتجئين إلى مواقفهم، عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم. وليكن ترحّلهم وتنزّلهم على راياتهم وأعلامهم ومراكزهم قد عرّف كل قائد منهم أصحابه مواقعهم، من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة لازمين لها، غير خلّين بما استنجدتهم له، ولا متهاونين بما أهبت بهم إليه، حتى تكون عساكرك في منهل تصل إليه، ومسافة تجتازها، كأنّها عسكر واحد في اجتماعها على العدو، وأخذها بالحزم ومسيرها على رايتها، ونزولها على مراكزها، ومعرفتها بمواضعها إن ضلّت دابة موضعها عرف أهل المعسكر من أيّ المراكز هي ومن صاحبها، وفي أي المحل حلوله منها، فردّت إليه هداية معروفة بسمت صاحب قيادتها. فإن تقدّمك في ذلك وإحكامك له طارح عن جندك مؤونة الطلب، وعناية المعرفة وابتغاء الضالة.

... إذا تدانى الصفان، وتواقف الجمعان، واحتضرت الحرب

وعبّأت أصحابك لقتال عدوهم، فأكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله، والتّوكّل على الله عز وجلّ والتفويض إليه، ومسالته توفيقك وإرشادك، وأن يعزم لك على الرُّشد المنجّي والعصمة الكافئة، والحيطة الشاملة .

ومر جندك بالصمت، وقلة التلّفت إلى المصاولة، وكثرة التكبير في أنفسهم والتسبيح بضمائرهم . وألاّ يظهروا تكبيرا إلاّ في الكرات والحملات، وعند كل زلفة يزدلفونها فأمّا وهم وقوف، فإن ذلك من الفشل والجبن . وليذكروا الله في أنفسهم ويسألوه نصرهم وإعزازهم وليكثروا من : لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغي، واكفنا شوكته المستحدة، وأيّدنا بملائكتك الغالبين ،واعصمنا بعونك من الفشل والعجز،إنك أرحم الراحمين .»

وليكن في عسكرك المكبرون بالليل والنّهار قبل المواقعة، وقوم موقوفون يحضّونهم على القتال، ويحرصونهم على عدوهم، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم، ويذكّرونهم الجنة ودرجاتها ونعيم أهلها وسكانها ، ويقولون : « اذكروا الله يذكركم واستنصروه ينصركم والتجئوا إليه يمنعكم »

أيّدك الله بالنّصر، وغلّب لك على القوّة، وأعانك على الرشد وعصمك من الزيّغ، وأوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الأصفياء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسائل البلغاء

الفهرس

الرقم	الموضوع	الكاتب او الكتاب	الصفحة
	المحور الاول : النفس		
	العقل والقلب واللسان		
1	العقل	كليلة ودمنة	4
2	تأثير الفكر فى اللغة	محمد الخضر حسين	6
3	الرأى والعقيدة	احمد أمين	7
4	ابن ثوابة يتعلم الهندسة	لياقوت الحموى	9
5	السمكات الثلاثة	كليلة ودمنة	11
6	العبقرية والقريحة	احمد حسن الزيات	12
7	الضمير	الدكتور ابراهيم مذكور	15
8	القلب	احمد أمين	17
9	قلب الشاعر	أبو القاسم الشابى	19
10	الغريزة الشاعرة	أبو القاسم الشابى	20
11	الشعر	فؤاد افرام البستانى	22
12	لغة الشعر	احمد أمين	24
13	حقيقة الفصاحة	ابن الاثير	25
14	اللغة العربية	حافظ ابراهيم	27
15	الفصحى والعامية	عباس محمود العقاد	30
	البلاغة فى نظر بشر بن المعتمر (للمطالعة)	ابن رشيق القيروانى	32

الرقم	الموضوع	الكاتب او الكتاب	الصفحة
	الاحاديث والمحاورات والخطب		
1	حديث عمرو بن معاوية	الجاحظ	33
2	المجنون وليلاه	ابو الفرج الاصفهانى	35
3	معاوية والانصار	ابو الفرج الاصفهانى	37
4	ابتسم	ايليا ابو ماضى	39
5	عكرشة بنت الاطرش	احمد فريد الرفاعى	41
6	الخطابة والعرب	الموجز فى الادب العربى	43
7	من روائع الحكمة فى الجاهلية	اكثم ابن صيفى	45
8	خطبة قس بن ساعدة	قس بن ساعدة	46
9	قبل فتح الاندلس	طارق بن زياد	48
10	خطبة عبد الله بن الزبير	عبد الله بن الزبير	50
11	خطبة محمد المهدى بن تومرت	ابن تومرت	51
	بين جيلين (للمطالعة)	امينة السعيد	53
	الاحاسيس والاخيلة والعواطف		
1	قرآن الفجر	مصطفى صادق الرافعى	55
2	الضحك	احمد أمين	57
3	بين البكاء والضحك	الجاحظ	58
4	صراع فى النفس	صفية ابو شادى	59
5	خائف متشجع	الجاحظ	60
6	فكرة الفنان	ابو القاسم الشابى	62
7	الخريف	جبران خليل جبران	64
8	كن جميلا ترى الوجود جميلا	ايليا ابو ماضى	66
9	على طريق العين	توفيق حسن الشرتونى	68
10	تحية واشتياق	ابو فراس	70
11	ولدى	احمد حسن الزيات	71

الرقم	الموضوع	الكاتب او الكتاب	الصفحة
12	رثاء	ابو تمام	73
13	بكاء الطفل	مى زيادة	75
14	رثاء كليب	المهلهل	77
15	رثاء جليلة لزوجها	ابن شرف القيروانى	79
16	رثاء الاندلس	ابو البقاء الرندى	80
17	أخى	ميخائيل نعيمة	82
	طريق العودة (للمطالعة)	خليل الهنداوى	84

الاخلاق والفضائل والرذائل

1	الخلق	المنفلوطى	88
2	اعظم الناس فى عينى	ابن المقفع	90
3	ترفع	الشنفرى	91
4	وفاء العرب	الابشيهى	92
5	وفاء السموءل	الاعشى الاكبر	94
6	كرم حاتم	ابن عبد ربه	95
7	غاية الكرم	ابو الفرج الاصفهانى	97
8	لا تعتذر بالعدم	الحطيئة	99
9	ارحموا عزيزا ذل		100
10	مروءة	الاتليدى	101
11	الصبر	محمد عبده	103
12	البخيل	عباس محمود العقاد	105
13	بخل ابى العتاهية	ابو الفرج الاصفهانى	107
14	المرونى والعراقى	الجاحظ	108
15	الضيف والناسك	ابن المقفع	109
16	المقلدون	جمال الدين الافغانى	111

الرقم	الموضوع	الكاتب او الكتاب	الصفحة

المحور الثاني : الحياة الفكرية

الفنون الجميلة

1	تقدير الجمال	احمد أمين	114
2	اختلاف الناس في الشعور بالجمال	عبد العزيز البشرى	116
3	علاقة الدين بالفن	ابراهيم المصرى	117
4	التقليد والفن	الزيات	119
5	بركة المتوكل	البحترى	121
6	زهراء الاندلس	المقرى	122
7	قصر المعتز	البحترى	124
8	فى متحف اللوفر	توفيق الحكيم	125
9	بين التماثيل	الياس مقدسى الياس	127

الغناء والموسيقى والرقص والتمثيل والمسرح والسنما والاذاعة

1	تاثير الغناء فى النفوس	الجاحظ	129
2	بين الالحان	طه حسين	132
3	الحكم فى الغناء	الاغانى	134
4	عازف الكمنجة	ميخائيل نعيمة	136
5	الكمنجة	امين مشرق	138
6	شبحان فى الصحراء	محمود المسعدى	140
7	راقصة	معروف الرصافى	143
8	ثوب راقصة	مصطفى خريف	144
9	التمثيل عند الغربيين	ميخائيل نعيمة	145
10	الحاكية	الجاحظ	147
11	المسرح	محمد المويلحى	148
12	الفن بين المسرح والسينما	محمود تيمور	150
13	الادب والسينما	توفيق الحكيم	153
14	الاذاعة	احمد حسن الزيات	155
	ابراهيم الموصلى وابليس (للمطالعة)	الاغانى	157

الرقم	الموضوع	الكاتب او الكتاب	الصفحة
	التراث الشعبي		
1	الفن الشعبى	كتاب التربيـة الفنية	159
2	اهميـة الادب الشعبى	مى زيادة	161
3	حفلة عـرس	محمد بيرم	162
4	عرس فى قرية	على بن هادية	165
5	نواح فى الافـراح	على الدوعاجى	167
6	زائرات الزوايا	الصادق الرزقى	169
7	سيدى المؤدب	على الدوعاجى	170
8	عـاشـوراء	الصادق الرزقى	172
9	الخرجات القادرية	الصادق المرزقى	173
	الحـلاق (للمطالعة)	محمد بكير	177
	العلم والمختـرعـات		
1	الطريقة العلمية عند العرب	فريد وجـدى	180
2	العلم والحيـاة	توفيق الحكيم	182
3	صناعة الورق	هيوبرت بـرد	184
4	الطب عند العرب	فيليب حتى	186
5	سحر واى سحـر	ميخائيل نعيمة	189
6	ذرة الفناء	الصادق مـزيـع	191
	الراديويصفه اعرابى(للمطالعة)	عبد العزيـز البشرى	193
	التقـدم الانسانـى		
1	التقـدم الانسانى	فؤاد صروف	196
2	التطور البشرى والآلة	محمود تيمور	198
3	فى المدنية الحديثة	احمد أمين	201

الرقم	الموضوع	الكاتب او الكتاب	الصفحة

المحور الثالث : الادب

امثال العرب

1	المثل صوت الشعب	احمد امين	204
2	ان غدا لناظره قريب	الميداني	207
3	اندم من الكسعي	»	210
4	الحديث ذو شجون	»	212
5	تجوع الحرة ولا تأكل بثديبها	»	214
6	جزاء سنمار	طه حسين	216
7	رجع بخفي حنين	الميداني	218
8	زر غبا تزداد حبا	»	219
9	كل فتاة بأبيها معجبة	»	220
10	وافق شن طبقة	»	222

القرآن الكريم

1	فصاحة القرآن	الباقلاني	224
2	تأثير القرآن	الرافعي	226
3	من صفات المؤمن	قرآن كريم	228
4	ايمان ابراهيم	»	229
5	واعتصموا بحبل الله جميعا	»	230
6	وبالوالدين احسانا	»	231
7	ولادة المسيح	»	232
8	قصة الطوفان	»	234
9	أمثال قرآنية	»	235
10	التصوير الفني في القرآن	سيد قطب	237
11	القرآن بين النثر والشعر	طه حسين	239

الرقم	الموضوع	الكاتب او الكتاب	الصفحة
	الحديث		
1	الحديث	احمد أمين	241
2	بدء الوحي	محمد رسول الله	243
3	الدعوة الى الاسلام	»	245
4	المؤمن للمؤمن	»	247
5	مما يتحلى به المؤمن	»	249
6	الدعوة الى العمل	»	250
7	الراعي والرعية	»	251
8	امثال من الحديث	»	252
9	البلاغة النبوية	الجاحظ	254
	خطب الرسول وبعض الخلفاء والولاة		
1	دواعي الخطابة الاسلامية	الموجز في الادب العربي	255
2	خطبته في حجة الوادع	الرسول (ص)	257
3	في مرض موته	»	260
4	وصية لابي بكر	ابوبكر	261
5	من خطب ابي بكر	»	263
6	وصية ابي بكر لعمر	»	264
7	خطبة الولاية	عمر	265
8	من خطبة لعمر	»	266
9	في الحث على الجهاد	علي	268
10	ما بين الجهل والعجز	»	270
11	من وعظ علي	»	272
12	البتراء	زياد	274
13	خطبة الحجاج حين ولي العراق	الحجاج	277
14	بعد دير الجماجم	»	279
15	من مميزات الخطابة	احمد الرفاعي	280
	رسائل عبد الحميد		
1	الى الكتاب		282
2	في وصف الصيد		284
3	صروف الدهر		286
4	من رسالة الى عبد الله بن مروان		287

www.lisanarb.com

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

دار كلو مبي للطباعة - ميلانو - ايطاليا